



روائع مدارج السالكين لابن قيم الجوزية



إعداد

د. تركي بن عبد الله الميمان

دار عطاءات العلم


اركض بقلبك

ح دار عطاءات العلم للنشر، ١٤٤٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الميمان ، تركي بن عبدالله
اركض بقلبك (روائع مدارج السالكين). / تركي بن عبدالله الميمان -. الرياض ، ١٤٤٥هـ
٣٤٦ ص ؛ ..سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٠-٠٠-٤
١- التصوف الاسلامي ٢- الوعظ و الارشاد أ.العنوان
ديوي ٢٦١ ١٤٤٥ / ٤١٦
رقم الإيداع: ١٤٤٥/٤١٦ ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٠-٠٠-٤

حقوق الطبع محفوظة

دار عطاءات العلم

info@ataat.com.sa
00966 559222543
@ ataat11

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

توزيع


دار الحضارة

المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد: 920000908 فاكس: 2702719 - 011
@daralhadarah 0551523173
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net



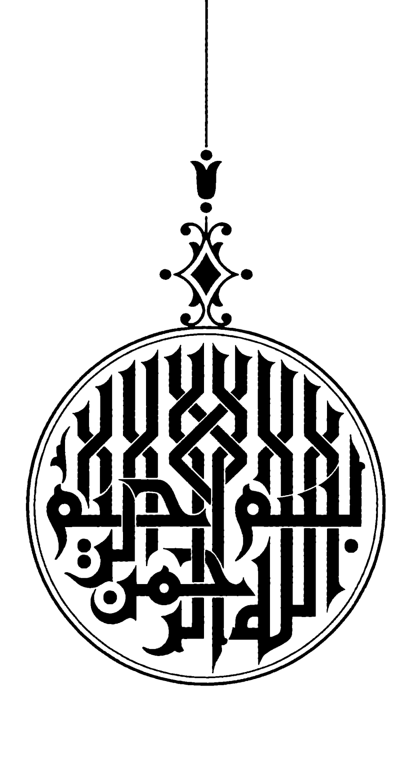
الإصدار رقم (١٣٨)



(رَوائِعُ مَدارِجِ السَّالِكِينَ لِابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ)

إِعْدَادُ
د. تُرْكِي بنِ عبدِ اللهِ الميمان




بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدمة

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ (القَلْبَ) هُوَ مَلِكُ الأَعضاء، فَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ، اسْتَقَامَتْ جُنُودُهُ![1] قال ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[2]. قال ابْنُ القَيِّم: (**أَعْمَال الْقُلُوبِ، فَرْضُهَا: أَفْرَضُ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوارِحِ، وَمُسْتَحِبُّهَا: أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ مُسْتَحِبِّهَا، وَعَمَلُ الْجَوارِحِ بِدُونِهَا: إِمَّا عَدِيمُ الْمَنْفَعَةِ، أَوْ قَلِيلُ الْمَنْفَعَةِ**)[3].

والنَّاسُ يَنْظُرُوْنَ إِلىٰ ظَاهِرِكَ، واللهُ يَنْظُرُ إِلىٰ قَلْبِكَ وباطِنِكَ![4] قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[5].

وَسَلامَةُ القَلْبِ: أَوْلَىٰ مِنْ سَلاَمَةِ الجِسْمِ[6]؛ فَإِنَّ الأَيَّامَ تَفْنَىٰ، والأَبْدَانَ تَبْلَىٰ، ولا تَبْقَىٰ إلا القُلُوْبُ النَقِيَّة، والنُّفُوْسُ الزَكِيَّة! ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]، قال ابنُ القَيِّم: (**هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِن الشِّرْكِ، وَالْغِلِّ، وَالْحِقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالشُّحِّ، وَالْكِبْرِ، وَحُبِّ الدُّنْيَا، وَالرِّيَاسَةِ**)[7].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٥١١-٥١٢).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)بنحوه.

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٢١). باختصار

(٤) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي (٤٧٩).

(٥) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٦) قال شيخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّة: (وَلِهَذَا كَانَتْ أَعْمَالُ الْقَلْبِ الْمُجَرَّدَةِ؛ أَفْضَلَ مِنْ أَعْمَالِ الْبَدَنِ الْمُجَرَّدَةِ). مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٢٤٥).

(٧) الداء والدواء (١٢١).

وَمِنْ هُنَا جَاءَ هذا الكتاب: تَثْبِيْتًا لِلْقُلُوْب، وَزَادًا في طَرِيْقِهَا إلىٰ عَلَّامِ الغُيوب؛ فَإِنَّ الطَّرِيقَ المُوْصِلَةَ إلىٰ اللهِ لا تُقْطَعُ بالأَقْدَام، وإنَّما بالقُلُوب. والشُّبُهَاتُ والشَّهَوَات؛ قُطَّاعُ الطَّرِيق![1]

وصَدَقَ القائل[2]:

رَكْضًا إلىٰ اللهِ بِغَيْرِ زَادٍ ... إلا التُّقَىٰ وَعَمَلِ المَعَادِ

---

(١) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي (٦٨٩). قال ابن تيميَّة: (الأَعْمَالُ لاَ تَتَفَاضَلُ بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِمَا يَحْصُلُ فِي الْقُلُوبِ حَالَ الْعَمَلِ!). مجموع الفتاوىٰ (٢٥/ ٢٨٢).

(٢) وهو الصحابيُّ الجليل: عُمَيْرُ بنُ الحُمَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر (٣/ ١٢١٤)، الإصابة، ابن حجر (٤/ ٥٩٤).

مَنْهَجُ الكِتَاب

١- اسْتِخْرَاجُ الفَوَائِدِ القَلْبِيَّةِ مِنْ كِتَابِ (مَدَارِجِ السَّالِكِيْن)[١] لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّة؛ لامْتِيَازِهِ في هَذَا البَابِ العَظِيم، ولا غَرْوَ في ذَلِك؛ فَهُوَ طَبِيْبُ القُلُوْبِ وَجَرَّاحُهَا، والبَارِعُ في عِلَاجِ أَدْوَائِهَا!

٢-الفَوَائِدُ المَنْقُوْلَةُ بالنَّصِّ: أَعْزُوْهَا إِلىٰ رَقْمِ الصَّفْحَةِ فقط، وما كانَ بِتَصَرُّفٍ (مِنْ زِيَادَةٍ أو نَقْصٍ أو تَقْدِيْمٍ أو تَأْخِيرٍ)؛ فأَعْزُوْهُ إِلىٰ رَقْمِ الصفحة، مَسْبُوْقًا بِكَلِمَةِ: (أُنْظُرْ).

٣-قُمْتُ بِتَصْنِيْفِ أَعْمَالِ القلوبِ بِحَسَبِ مَوْضُوْعَاتِهَا؛ فَقَسَّمْتُهَا إِلىٰ (سِتَّةٍ وَسَبْعِيْنَ) مَبْحَثًا.

٤- جَمَعْتُ الفَوَائِدَ المُتَشَابِهَةَ (في كُلِّ مَبْحَثٍ) تَحت عَنَاوِيْنَ فَرْعِيَّةٍ: تَجْمَعُ شَتَاتَهَا، وَتُوْضِحُ مُرَادَهَا.

٥- تَوَخَّيْتُ في كُلِّ فَائِدَة: الإِيْجَازَ والاِخْتِصَار؛ لِتَكُونَ أَدْعَىٰ للحِفْظِ والاِسْتِقْرَار.

واللهُ أَعلم، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ علىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وآلِه وصَحْبِه أَجْمَعِين

د. تركي بن عبد الله الميمان

للملاحظات والاقتراحات علىٰ البريد الإلكتروني

turky-am-@hotmail.com

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

المبحث التمهيدي(١)

قَوَاعِدُ إِصْلاحِ القَلْب

أولاً: القُرْآنُ الكَريم: فَهُوَ مَصْدَرُ التَّزْكِيَة والهِدَايَة؛ والحَامِي مِن الضَّلَال والغِوَايَه، والشِّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الأَدْوَاءِ القَلْبِيَّةِ والبَدَنِيَّة(٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧](٣).

ثانيًا: السُّنَّةُ النَّبَوِيَّة: فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ جاءَ لإِصْلاحِ القُلُوبِ والنُّفُوس؛ فَلا سَبِيلَ إِلىٰ تَزْكِيَتِهَا إلا علىٰ طَرِيْقَتِه، واتِّبَاعِ سُنَّتِه؛ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤]؛ فَمَنْ زَعَمَ طَرِيْقَةً تُخَالِفُ طَرِيْقَةَ النَّبِيِّ في التَّزْكِيَة؛ فَعَمَلُهُ مَرْدُوْد؛ قال ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ»**(٤).

ثالثًا: الأعمالُ الصالحة: فَإِنَّ الإِكْثَارَ مِنْ الطاعات؛ يُثَبِّتُ القُلُوْب! قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦]، وَمِنْ أَعْظَمِ الصَّالِحَات: **إِقَامَةُ الصَّلَوَات؛** فَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ الأَدْوِيَةِ وَالمُقَوِّيَاتِ الَّتِي تُعَالِجُ القَلْبَ وَتُقَوِّيْه، وَلِذَا كانَ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلىٰ الصَّلَاة؛ فَيَقُوْل: **«يَا بِلَالُ، أَقِمِ**

(١) وهذا المبحثُ التمهيدي ليس شروعًا في مقصودِ الكتاب، وإنما هُوَ تَمْهِيدٌ مُسْتَفَادٌ مِنْ عِدَّةِ مَرَاجِع.

(٢) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (٤/ ٣٢٢).

(٣) ذَكَرُ ابنُ القَيِّم: أَنَّ إِصْلاحَ القُلُوب؛ مُسَلَّمٌ إِلَىٰ الرُّسُلِ، وأَنَّ مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ بِالرِّيَاضَةِ وَالمُجَاهَدَةِ الَّتِي لَمْ يَأْتِ بِهَا الرُّسُلُ: فَهُوَ كَالمَرِيضِ الَّذِي عَالَجَ نَفْسَهُ بِرَأْيِه، وَأَيْنَ يَقَعُ رَأْيُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الطَّبِيبِ؟! انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها بنحوه.

الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا!»(١).

رابعًا: الإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ الله: فَلِلذِّكْرِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَنَعِيمِ القَلْبِ! قال ابنُ القَيِّم: (وَصَدَأُ القَلْبِ بِأَمْرَيْنِ: بالغَفْلَةِ والذَّنب. وجِلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ: بالاسْتِغْفَارِ والذِّكْر)(٢).

وقالَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَىٰ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ: فَإِذَا غَفَلَ: وَسْوَسَ، وإِذَا ذَكَرَ اللهَ: خَنَسَ!)(٣).

خامسًا: ذِكْرُ الموت: فَإِنَّهُ يَنْفُضُ غُبَارَ الغَفْلَةِ عَنِ القَلْب، ويُذِيبُ قَسْوَتَه، ويَبْعَثُهُ مِنْ رَقْدَتِه! قال ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ»(٤). يَعْنِي الْمَوْتَ. يَقُولُ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْم: (لَوْ فَارَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ قَلْبِي سَاعَةً؛ خَشِيتُ أَنْ يَفْسُدَ قَلْبِي!)(٥).

سادسًا: قَصَصُ الصَّالِحِين: مِن الأنبياءِ والمُرْسَلِين، والقُدُوَاتِ العامِلِيْن، مِن المُتَقَدِّمِيْنَ والمُعاصِرِيْن؛ فَهِيَ تُثَبِّتُ القَلْب، وتُقَوِّي العَزْم! ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠]. قال بَعْضُهُمْ: (الحكاياتُ: جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ، يُثَبِّتُ اللهُ بِهَا قُلُوبَ العَارِفِينَ مِنْ عِبَادِه!)(٦).

سابعًا: الابْتِعَادُ عَنْ الفِتَنِ والذُّنُوب: فَاحْذَرْ أَنْ تُصْغِيَ إِلىٰ شُبْهَةٍ، أو تَتَعَرَّضَ لِشَهْوَةٍ؛ فالذُّنُوبُ أَمْرَاضُ القُلُوبِ، ولا دَوَاءَ لها إِلَّا تَرْكُهَا!

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) الوابل الصيب (٤٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٨).

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢١١).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٤٣١).

(٦) أزهار الرياض، التلمساني (١/ ٢٢).

قال ﷺ: «تُعرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ: كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا[١]، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ»[٢].

ثامنًا: التَّوْبَةُ والاِسْتِغْفَار: فَإِنَّ دَاءَ القَلْبِ: الذُّنُوب. وَدَوَاؤُهُ: بِالاِسْتِغْفَارِ! وَكَمَا أَنَّ النَّجَاسةَ الحِسِّيَّةَ: تَزُوْلُ بالماءِ والأَحْجَار؛ فَإِنَّ نَجَاسَةَ الذُّنُوبِ المَعْنَوِيّة: تَزُولُ بِالتَّوْبَةِ والاسْتِغْفَار! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

قال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ: صُقِلَ قَلْبُهُ[٣]»[٤].

❁ **فَمَنْ بَنَىٰ قَلْبَهُ علىٰ هَذِهِ القَوَاعِدِ؛** ثَبَتَ علىٰ دَعَائِمَ رَاسِخَة، وفازَ بِجَنَّةِ الدُّنْيا والآخِرَة! قالَ شَيْخُ الإسلام: **(إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً؛ مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا؛ لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ)**[٥]. وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: **(إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ، أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ!)**[٦].

(١) (كالحَصِير): يَعْنِي أَن الفِتَنَ تُحِيطُ بالقلوب؛ فتَصِير القُلُوب كالمحصورِ المَحْبُوس. وَقِيلَ في مَعْنَىٰ (تُعرَضُ): أي أَنَّهَا تُلْصَقُ بِعَرْضِ الْقُلُوبِ، أَيْ: جَانِبِهَا، كَمَا يُلْصَقُ الْحَصِيرُ بِجَنْبِ النَّائِمِ، وَيُؤَثِّرُ فِيهِ شِدَّةُ الْتِصَاقِهَا بِهِ. وَمَعْنَىٰ: (عُودًا عُودًا) بِضَمِّ العَيْنِ: أي أَنَّ نَاسِجَ الْحَصِيرِ كُلَّمَا صَنَعَ عُودًا: أَخَذَ آخَرَ وَنَسَجَهُ؛ فَشَبَّهَ عَرْضَ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، بِعَرْضِ قُضْبَانِ الْحَصِيرِ عَلَىٰ صَانِعِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. وبِفَتْحِ العَيْنِ (عَوْدًا عَوْدًا): أَيْ تُعَادُ الفِتَنُ وَتُكَرَّرُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ! انظر: كشف المشكل، ابن الجوزي (١/ ٣٩٥)، شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ١٧١).

(٢) رواه مسلم (١٤٤).

(٣) صُقِلَ قَلْبُهُ: أي نُقِّيَ وطُهِّرَ.

(٤) رواه الترمذي (٣٢٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٥٤).

(٥) الوابل الصيب، ابن القيم (٤٨).

(٦) رسالة ابن القيم إلىٰ أَحَدِ إخوانه (٣٠). قال ابنُ القَيِّم: (وَكُلُّ مَنْ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ؛ يَشْهَدُ هَذَا، وَيَعْرِفُهُ ذَوْقًا!). مدارج السالكين (١/ ٤٥٢).

وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمُ الْقَلْبِ، وَهَلِ الْعَذَابُ إِلَّا عَذَابُ الْقَلْبِ!؟ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الإنفطار:١٣-١٤][1].

---

(١) انظر: الداء والدواء، ابن القيم (٧٦).

المبحث الأول

أَهَمِّيَّةُ أَعْمَالِ الْقُلُوْب

(١) وِلَادَةُ الْقَلْب

* أعمالُ القلوب: سَبَبٌ لوِلَادَةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، وَخُرُوجِهِمَا مِن ظُلْمَةِ الطَّبْعِ[١]؛ فَإِنَّ للرُّوْحِ نَشْأَةً قَلْبِيَّةً، يُوْلَدُ بِهَا القَلْبُ، وَيَنْفَصِلُ عَنْ مَشِيمَةِ النَّفْس؛ كَمَا يُوْلَدُ البَدَنُ، وَيَنْفَصلُ عَنْ مَشِيمَةِ الْبَطْنِ![٢].

(٢) شِفَاءُ الصُّدُور

* أعمالُ القلوب: سَبَبٌ لشِفَاءِ الصُّدُورِ، وعَافِيَتِهَا مِنْ دَاءِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمَةِ وَالْغَيِّ وَالسَّفَهِ، وسَبَبٌ للْيَقِينِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَسُكُونِ النَّفْسِ، وَحَيَاةِ الرُّوحِ[٣].

(٣) غِذَاءٌ رُوْحَانِي

* أعمالُ القلوب: غِذَاءٌ رُوحَانِيٌّ مَعْنَوِيٌّ، خَارِجٌ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ: مِن السُّرُورِ وَالْفَرَحِ، وَالِابْتِهَاجِ وَاللَّذَّةِ، وَالْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ؛ وَبِهَذَا الْغِذَاءِ كَانَ سَمَاوِيًّا عُلْوِيًّا![٤].

(٤) نَعِيمُ الطَّاعَة

* أَعمالُ القلوب: سَبَبٌ للتنعّمِ بالطَّاعَاتُ، وَالسُّرُورِ بِهَا؛ فيَتَلَذَّذُ بِهَا أَعْظَمَ مِن

(١) انظر: (٣/ ٧٠). وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْوِلَادَةُ بِسَبَبِ الرَّسُولِ ﷺ؛ كَانَ كَالْأَبِ لِلْمُؤْمِنِينَ. والشَّيْخُ وَالْمُعَلِّمُ وَالْمُؤَدِّبُ: أَبُ الرُّوحِ! وَالْوَالِدُ: أَبُ الْجِسْمِ! انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: (٣/ ١٣٤).

(٣) انظر: (٣/ ١٤٩).

(٤) انظر: (٢/ ٣٨٣).

اللَّذَّاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ؛ فَلَا يَجِدُ فِي الْعِبَادَةِ كُلْفَةً فِي حَقِّهِ(١).

(٥) مُضَاعَفَةُ العَمَلِ

❁ أَعمالُ القُلُوبِ: سَبَبٌ لمضاعَفَةِ العَمَلِ؛ فالْأَعْمالُ لَا تَتَفاضَلُ بِصُوَرِهَا وَعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ؛ فَتكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ وَاحِدَة، وَبَيْنَهُمَا فِي الفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ!(٢).

❁ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ: تُضَاعَفُ إِلَىٰ حَدٍّ مَعْلُومٍ؛ لِأَنَّ لَهَا حَدًّا تَنْتَهِي إِلَيْهِ. وَأَمَّا أَعْمَالُ الْقَلْوبِ: فَلَا يَنْتَهِي تَضْعِيفُهَا؛ فَهِيَ دَائِمَةٌ مُتَّصِلَةٌ، وَإِنْ تَوَارَىٰ شُهُودُ الْعَبْدِ لَهَا(٣).

(٦) قُوَّةُ القَلْب

❁ أَعمالُ القُلُوْب: إذا انْصبَغَ قَلْبُهُ بِهَا؛ كَانَ قَلْبُهُ فِي الْعَمَلِ وَالسَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ: أَقْوَىٰ مِنْ عَمَلِ جَوارِحِهِ!(٤).

(٧) نُوْرُ القَلْب

❁ أعمالُ القُلُوْبِ: سَبَبٌ لِإِيْقَادِ النُّوْرِ الَّذِي يَكْشِفُ لَلقَلْبِ عَنْ دَلَائِلِ الْإِيمَانِ، وَحقَائِقِ الْيقِينِ، وَيُمَيِّزُ لَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرُّشْدِ، وَالشَّكِّ وَالْيقِينِ(٥).

❁ أعمالُ القُلُوْبِ: سَبَبٌ لِنُوْرِ القَلْب، وحَيَاتِهِ، وَقُوَّته! فَنُوْرُ القَلْبِ: يَكْشِفُ

---

(١) انظر: (٣/ ١٥٧).

(٢) انظر: (١/ ٣٤٠).

(٣) انظر: (٢/ ٢١٨).

(٤) انظر: (٣/ ٣٠٥).

(٥) انظر: (٢/ ٤٧٥).

دَلَائِلَ الْإِيمَانِ. وَبِحَيَاةِ القَلْبِ: يَنْتَبِهُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَيَصِيرُ يَقْظَانًا. وَبِقُوَّةِ القَلْبِ: يَقْهَرُ الْهَوَىٰ، وَالنَّفْسَ، وَالشَّيْطَانَ[١].

(٨) حَيَاةُ القَلْب

* أعمالُ القُلُوبِ: سَبَبٌ لحَيَاةِ القَلْبِ الَّتِي تُوْجِبُ كَمَالَ يَقَظَتِهِ وَفِطْنَتِهِ، وَحُضُورِهِ وَانْتِبَاهِهِ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ[٢].

---

(١) انظر: (٢/ ٤٧٥).

(٢) انظر: (٢/ ٤٧٥).

المبحث الثاني
التَّوْحِـــيدُ[١]

(١) حَقِيقَةُ التَّوْحِيد

* كَمَالُ هَذَا التَّوْحِيدِ: هُوَ أَنْ لَا يَبْقَىٰ فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ أَصْلًا، بَلْ يَبْقَىٰ الْعَبْدُ مُوَالِيًا لِرَبِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ: يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ وَمَا أَحَبَّ، وَيُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَ وَمَا أَبْغَضَ![٢].

* لَيْسَ (إِسْقَاطُ الْأَسْبَابِ) مِن التَّوْحِيدِ! بَلِ الْقِيَامُ بِهَا وَاعْتِبَارُهَا وَإِنْزَالُهَا فِي مَنَازِلِهَا الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ فِيهَا؛ هُوَ مَحْضُ التَّوْحِيدِ[٣].

* لَيْسَ التَّوْحِيدُ مُجَرَّدَ إِقْرَارِ الْعَبْدِ: بِأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، بَل يَتَضَمَّنُ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ، وَالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ والإخلاصِ لَهُ، والِانْقِيَادِ لِطَاعَتِهِ؛ مَا يَحُولُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي، وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهَا[٤].

* لَا بُدَّ مِنْ قَوْلِ الْقَلْبِ واللِّسَانِ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ. وَقَوْلُ الْقَلْبِ: يَتَضَمَّنُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا وَالتَّصْدِيقِ بِهَا؛ مَا يُوجِبُ تَحْرِيمَ قَائِلِهَا عَلَىٰ النَّارِ[٥].

---

(١) بِحَسَبِ ما في القلب مِن التوحيدِ واليقينِ والإخلاص: تَعْظُمُ الحسنات، وتُغْفَرُ السيئات؛ وَمِنْ أَجْلِ ذلك؛ صَارَ المُدُّ مِن الصحابةِ: أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذهبًا مِنْ غَيْرِهِم!
انظر: المستدرك علىٰ مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام، محمد بن قاسم (١/ ٢٢٤).

(٢) (٣/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٣) (٣/ ٤٥٩).

(٤) انظر: (١/ ٣٣٩).

(٥) انظر: (١/ ٣٣٩). قال ابن القيم: (كُلُّ قَوْلٍ رَتَّبَ الشَّارِعُ مَا رَتَّبَ عَلَيْهِ مِن الثَّوَابِ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الْقَوْلُ التَّامُّ!). المصدر السابق.

* التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، وَعَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ هُوَ تَوْحِيدُ (الإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ)[١].

* تَصْحِيحُ الْقَصْدِ يَكُونُ بِشَيْئَيْنِ: إِفْرَادُ الْمَقْصُودِ، وَجَمْعُ الْهَمِّ عَلَيْهِ. وَحَقِيقَتُهُ: تَوْحِيدُ الْقَصْدِ وَالْمَقْصُودِ؛ فَمَتَىٰ انْقَسَمَ قَصْدُهُ أَوْ مَقْصُودُهُ؛ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا[٢].

(٢) أَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ

* الْمُشْرِكُونَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لَا رَبَّ وَلَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَلَمْ يَكُونُوا مُقِرِّينَ بِتَوْحِيدِ الإِلَهِيَّةِ (وَهُوَ الْمَحَبَّةُ وَالتَّعْظِيمُ)، بَلْ كَانُوا يُؤَلِّهُونَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ[٣].

* أَوَّلُ مَا يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ: بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، ثُمَّ يَرْتَقِي إِلَىٰ تَوْحِيدِ الإِلَهِيَّةِ، كَمَا يَدْعُو اللهُ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ بِهَذَا النَّوْعِ مِن التَّوْحِيدِ إِلَىٰ النَّوْعِ الآخَرِ[٤].

* هُمَا تَوْحِيدَانِ (لَا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِهِمَا): ١- تَوْحِيدُ الْمُرْسِلِ (وَهُوَ اللهُ) ٢- وَتَوْحِيدُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ؛ فَلَا يُحَاكِمُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَا يَرْضَىٰ بِحُكْمِ غَيْرِهِ[٥].

* التَّوْحِيدُ الْقَصْدِيُّ الإِرَادِيُّ: هُوَ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَعِبَادَتُهُ وَحْدَهُ، وَيُقَابِلُهُ: الشِّرْكُ[٦].

* لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ -بِنِهَايَةِ الْخُضُوعِ وَالْحُبِّ- سِوَىٰ اللهِ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَىٰ

---

(١) انظر: (٣/ ٣٦٨-٣٦٩).

(٢) (٣/ ٣٠٥).

(٣) انظر: (٣/ ٢٠).

(٤) انظر: (١/ ٤١٣).

(٥) انظر: (٢/ ٣٦٦).

(٦) انظر: (٢/ ٣٧٨).

وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَبَاطِلٌ؛ وهَذَا تَوْحِيدُ الْعِلْمِ[١].

(٣) أُصُوْلُ التَّوْحِيد

❁ هَذِهِ الْمَقَامَاتُ الثَّلَاثُ هِيَ أَرْكَانُ التَّوْحِيدِ: أَنْ لَا يَتَّخِذَ سِوَاهُ رَبًّا، وَلَا إِلَهًا، وَلَا غَيْرَهُ حَكَمًا[٢].

❁ أَسَاسُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ: إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَضِدُّهُ: التَّعْطِيلُ وَالنَّفْيُ؛ فَهَذَا التَّوْحِيدُ يُقَابِلُهُ التَّعْطِيلُ![٣]

(٤) أَهَمِّيَّةُ التَّوْحِيد

❁ مَقَامُ التَّوْحِيدِ أَوْلَى الْمَقَامَاتِ، وَهُوَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّه لَا يَصِحُّ مَقَامٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ مِفْتَاحُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ فَرْضٍ فَرَضَهُ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ[٤].

❁ التَّوْحِيدُ: هُوَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ؛ فَغَايَتُهَا كُلّهَا: التَّوْحِيدُ، وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعُلَمَاءِ وَالْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ السُّلُوكِ؛ لِقَصْدِ تَصْحِيحِهِ[٥].

❁ كُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ؛ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ؛ فَالْقُرْآنُ:

١ - إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ ٢ - وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ (وهَذِهِ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ)

٣- وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ تَوْحِيدِهِ ٤ - وإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ[٦].

---

(١) انظر: (٣/ ٣٤٥).

(٢) (٢/ ١٧٩).

(٣) انظر: (٢/ ٣٧٨).

(٤) انظر: (١/ ١٥٤).

(٥) (٣/ ٤٤٢).

(٦) انظر: (٣/ ٤١٧-٤١٨).

* الْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ[١].

* جَمِيعُ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ: إِنَّمَا تَنْبَنِي عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَسُخْطِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ؛ فَيَخْرُجُ حِينَئِذٍ مِنْ دَائِرَةِ الشِّرْكِ إِلَىٰ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ[٢].

* ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: أَجَلَّ شَهَادَةٍ، وَأَعْظَمَهَا، وَأَعْدَلَهَا، وَأَصْدَقَهَا، مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ![٣]

* الْغَافِلُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا **الْإِكْسِيرِ الْكِيمَاوِيِّ**، الَّذِي إِذَا وُضِعَ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ عَلَىٰ قَنَاطِيرَ مِنْ نُحَاسِ الْأَعْمَالِ؛ قَلَبَهَا ذَهَبًا![٤]

(٥) فَوَائِدُ التَّوْحِيدِ

* يُغْفَرُ لِصَاحِبِ التَّوْحِيدِ مَا لَا يُغْفَرُ لِصَاحِبِ الْإِشْرَاكِ، وَكُلَّمَا كَانَ تَوْحِيدُ الْعَبْدِ أَعْظَمَ: كَانَتْ مَغْفِرَةُ اللهِ لَهُ أَتَمَّ[٥].

* مَشْهَدُ التَّوْحِيدِ: أَجَلُّ الْمَشَاهِدِ وَأَرْفَعُهَا، فَإِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِمَحَبَّةِ اللهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، وفَوَّضَ إِلَيْهِ أُمُورَهُ كُلَّهَا: فَإِنَّهُ لَا يَبْقَىٰ فِي قَلْبِهِ مُتَّسَعٌ لِغَيْرِهِ![٦]

* أَصَحُّ الْقُلُوبِ وَأَسْلَمُهَا وَأَصْفَاهَا؛ مَن اتَّخَذَ اللهَ وَحْدَهُ إِلَهًا وَمَعْبُودًا؛ فَكَانَ أَحَبَّ

---

(١) (٣/ ٤١٨).

(٢) انظر: (٢/ ١٨٢).

(٣) انظر: (٣/ ٤١٨).

(٤) (١/ ٣٤١).

(٥) انظر: (١/ ٣٣٨).

(٦) انظر: (٢/ ٣٠٧).

إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَخْوَفَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَرْجَىٰ لَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ![١].

* القَلْبُ الفَارِغُ مِنَ التَّوْحِيدِ: قَلْبٌ جَائِعٌ غَيْرُ شَبْعَانَ؛ فَإِذَا رَأَىٰ أَيَّ طَعَامٍ: هَفَّ إِلَيْهِ! وَأَمَّا مَن امْتَلأَ قَلْبُهُ بِأَعْلَىٰ الْأَغْذِيَةِ وَأَشْرَفِهَا: فَإِنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ مَا دُونَهَا![٢].

* إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ التَّوْحِيدِ؛ تَجَلَّتْ بِهَا ظُلُمَاتُ النَّفْسِ وَالطَّبْعِ، فَسَافَرَ الْقَلْبُ فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ؛ فَهُوَ يَنْتَقِلُ مِنْ عِبَادَةٍ إِلَىٰ عِبَادَةٍ، مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْبُودٍ وَاحِدٍ[٣].

(٦) كَلِمَةُ التَّوْحِيد

* أَشِعَّةُ (لَا إِلَهَ إِلَّا الله)؛ تُبَدِّدُ مِنْ ضَبَابِ الذُّنُوبِ وَغُيُومِهَا، بِقَدْرِ قُوَّةِ ذَلِكَ الشُّعَاعِ وَضَعْفِهِ. وَتَفَاوُتُ أَهْلِهَا فِي ذَلِكَ النُّورِ -قُوَّةً وَضَعْفًا-؛ لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ[٤].

* مِنَ النَّاسِ مَنْ نُورُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ فِي قَلْبِهِ: **كَالشَّمْسِ**، وَمِنْهُمْ: **كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ**، وَمِنْهُمْ: **كَالمشْعَلِ الْعَظِيمِ**، وَآخَرُ: **كَالسِّرَاجِ الْمُضِيءِ**، وَآخَرُ: **كَالسِّرَاجِ الضَّعِيفِ**![٥]

* تَظْهَرُ أَنْوَارُ الناسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ بِحَسَبِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: عِلْمًا، وَعَمَلًا، وَمَعْرِفَةً، وَحَالًا[٦].

* كُلَّمَا عَظُمَ نُورُ كَلِمَةِ التوحيد؛ أَحْرَقَ مِنَ **الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ**، بِحَسَبِ قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ![٧].

---

(١) انظر: (١/ ٤١٢-٤١٣).

(٢) انظر: (٢/ ٣٠٧).

(٣) انظر: (٣/ ٢٣٩).

(٤) انظر: (١/ ٣٣٨).

(٥) انظر: (١/ ٣٣٨).

(٦) انظر: (١/ ٣٣٨-٣٣٩).

(٧) انظر: (١/ ٣٣٩).

(٧) قَوَادِحُ التَّوْحِيد

* **عِلَّةُ التَّوَكُّلِ**: الْتِفَاتُ القَلْبِ إِلَىٰ مَنْ لَيْسَ لَهُ شِرْكَةٌ فِي مُلْكِ الْحَقِّ، وَلَا يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ[١].

* لَا يُمْكِنُ مُدْمِنُ الْكَبِيرَةِ، وَالْمُصِرُّ عَلَىٰ الصَّغِيرَةِ؛ أَنْ يَصْفُوَ لَهُ التَّوْحِيدُ، حَتَّىٰ لَا يُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا؛ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ![٢]

* (الْمَسْأَلَةُ) فِي الْأَصْلِ: حَرَامٌ، وَإِنَّمَا أُبِيحَتْ لِلْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ؛ لِأَنَّهُ بَذَلَ سُؤَالَهُ وَفَقْرَهُ لِغَيْرِ اللهِ؛ وأَرَاقَ مَاءَ وَجْهِهِ، وَذَلَّ لِغَيْرِ خَالِقِهِ، وَذَلِكَ يَهْضِمُ مِنْ حَقِّ التَّوْحِيدِ، وَيُضْعِفُ قُوَّتَهُ[٣].

* **الْإِصْرَارُ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ**: يُوجِبُ مِنْ خَوْفِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ اللهِ، وَرَجَائِهِ وَحُبِّهِ وذُلِّهِ لِغَيْرِ اللهِ، وَتَوَكُّلِهِ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ؛ مَا يَصِيرُ بِهِ مُنْغَمِسًا فِي بِحَارِ الشِّرْكِ![٤]

* **ذُلُّ الْمَعْصِيَةِ**: لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِالْقَلْبِ؛ فَيُورِثُهُ خَوْفًا مِنْ غَيْرِ اللهِ، وَمَحَبَّةً لِغَيْرِ اللهِ، وَاسْتِعَانَةً بِغَيْرِهِ؛ فَيَكُونُ عَمَلُهُ لَا بِاللهِ وَلَا لِله، وَهَذَا حَقِيقَةُ الشِّرْكِ![٥]

* **عُبَّادُ الْأَصْنَامِ**: كَانَتْ آلِهَتُهُمْ مِنَ **الْحَجَرِ**، وَغَيْرُهُمْ: اتَّخَذُوهَا مِنَ **الْبَشَرِ**! فَهَذِهِ حَالُ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا، يَزْعُمُ أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ١٣٦).

(٢) (١/ ٣٣٦).

(٣) انظر: (٢/ ٢٢٢).

(٤) انظر: (١/ ٣٣٦).

(٥) انظر: (١/ ٣٣٦).

(٦) انظر: (١/ ٣٤٨-٣٤٩).

(٨) أَسْبَابُ الشِّرْك

❁ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ، تَقْطَعُ شَجَرَةَ الشِّرْكِ مِنْ قَلْبِ مَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا:

١ -لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ.

٢- وَلَا يَأْذَنُ اللهُ بالشفاعَةِ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ.

٣- وَلَا يَرْضَىٰ مِن الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ، وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ(١).

❁ قَطَعَ اللهُ كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تعَلَّقَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ جمِيعًا، قَطْعًا يَعْلَمُ مَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَرَفَهُ: أَنَّ مَن اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا أَوْ شَفِيعًا؛ فَهُوَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا!(٢)

❁ الْمُشْرِكُ: إِنَّمَا يَتَّخِذُ مَعْبُودَهُ؛ لِمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِن النَّفْعِ، وَالنَّفْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ: ١- مَالِكٍ ٢- أو شَرِيكٍ لِلْمَالك ٣- أو مُعِينٍ له

٤- أو كَانَ شَفِيعًا عِنْدَهُ؛ فَنَفَىٰ اللهُ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ(٣).

❁ ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:٢٢]: فَكَفَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ: نُورًا وَبُرْهَانًا، وَتَجْرِيدًا لِلتَّوْحِيدِ، وَقَطْعًا لِأُصُولِ الشِّرْكِ؛ لِمَنْ عَقَلَهَا(٤).

---

(١) انظر: (١/ ٣٥٠).

(٢) (١/ ٣٥١).

(٣) كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣]. انظر: (١/ ٣٥١).

(٤) انظر: (١/ ٣٥١).

المبحث الثالث

الإِخْــــلاصُ

(١) حَقِيْقَةُ الإِخْلَاصِ

* **الإِخْلَاصُ**: تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ مَا يَشُوبُهُ مِنْ إِرَادَاتُ النَّفْسِ: كَطَلَبِ مَدْحِ الخَلْقِ، وَالْهَرَبِ مِنْ ذَمِّهِمْ، أَوْ طَلَبِ أَمْوَالِهِمْ وَخِدْمَتِهِم وَمَحَبَّتِهِم، أو طَلَبِ قَضَائِهِمْ حَوَائِجَهُ[١].

* قَالَ تعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]. قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: (**هُوَ أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ. وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلهِ. وَالصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ السُّنَّةِ**)[٢].

* **أَهْلُ الإِخْلَاصِ**: مُعَامَلَتُهُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِوَجْهِ اللهِ وَحْدَهُ، لَا يُرِيدُونَ مِن النَّاسِ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَلَا ابْتِغَاءَ الْجَاهِ عِنْدَهُم، وَلَا طَلَبَ المَحْمَدَةِ وَالْمُنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَا هَرَبًا مِنْ ذَمِّهِمْ[٣].

* قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَف: (**أَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ عَلَىٰ النَّفْسِ؟**)، فَقَالَ: (**الإِخْلَاصُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ!**)[٤].

(٢) عَلَامَاتُ الإِخْلَاصِ

* الْعَبْدُ يَقْوَىٰ إِخْلَاصُهُ لِلهِ؛ حَتَّىٰ لَا يُحِبَّ أَنْ يَطَّلِعَ أَحَدٌ عَلَيْهِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ

---

(١) انظر: (٢/ ٩٣).

(٢) انظر: (٢/ ٨٨-٨٩).

(٣) انظر: (١/ ١٠٤).

(٤) (٢/ ٩٢).

إِذَا غَلَبَهُ الْبُكَاءُ، وَعَجَزَ عَنْ دَفْعِهِ؛ قَالَ: (**لَا إِلَهَ إِلَّا الله، مَا أَمَرَّ الزُّكَامَ!**)[1].

* كَانَ حِرْصُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ عَلَىٰ تَخْلِيصِ الْأَعْمَالِ مِنْ شَوَائِبِ النُّفُوس، لَا عَلَىٰ كَثْرَةِ الْعَمَلِ؛ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: (**لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ قَبِلَ مِنِّي عَمَلًا وَاحِدًا؛ لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن الْمَوْتِ!**)[2].

* مَنْ كَانَ عَامِلًا عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَعَلَىٰ الصِّدْقِ مَعَ اللهِ: لَمْ يُبَالِ أَيَّ ثَوْبٍ لَبِسَ، وَلَا أَيَّ عَمَلٍ عَمِلَ؛ **إِذَا كَانَ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ**[3].

* **أَهْلُ الْإِخْلَاصِ**: عَدُّوا النَّاسَ بِمَنْزِلَةِ أَصْحَابِ الْقُبُورِ، **لَا يَمْلِكُونَ لَهُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا!**[4]

(٣) أَسْبَابُ الإِخْلَاص

* الَّذِي يُخَلِّصُ العامِلَ مِنْ **رُؤْيَةِ عَمَلِهِ**: **مُشَاهَدَتُهُ لِمِنَّةِ اللهِ عَلَيْهِ، وَفَضْلِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ بِاللهِ لَا بِنَفْسِهِ!**[5]

* **دَوَاءُ الرِّيَاءِ** بِـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وَ**دَوَاءُ الْكِبْرِ** بِـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[6].

* **يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ**: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: **تَدْفَعُ الرِّيَاءَ**، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: **تَدْفَعُ الْكِبْرِيَاءَ**)[7].

---

(١) انظر: (٣/ ٣٧٤).

(٢) انظر: (٣/ ٣٩٠).

(٣) انظر: (٢/ ٢٦٣).

(٤) (١/ ١٠٤).

(٥) انظر: (٢/ ٩٣).

(٦) (١/ ٧٨).

(٧) (١/ ٧٨).

۞ الَّذِي يُخَلِّصُ العَبْدَ مِنْ رِضَاهُ بِعَمَلِهِ: **مُطَالَعَةُ عُيُوبِ العَمَلِ وَآفَاتِهِ، وعِلْمُهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ مِنْ حُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَنَّه أَضْعَفُ وَأَعْجَزُ وَأَقَلُّ مِنْ أَنْ يُوَفِّيهَا!**(١)

۞ قَالَ الشَّافِعِيُّ: (رِضَا النَّاسِ: **غَايَةٌ لا تُدْرَكُ؛ فَعَلَيْكَ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ نَفْسِك فَالْزَمْهُ**)(٢).

۞ مَا ضَعُفَ مَنْ ضَعُفَ، وَتَأَخَّرَ مَنْ تَأَخَّرَ؛ **إِلَّا بِحُبِّهِ لِلْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ، وَثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَنُفْرَتِهِ مِنْ ذَمِّهِمْ لَهُ**؛ فَإِذَا زَهِدَ فِي هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ: تَأَخَّرتْ عَنْهُ الْعَوارِضُ كُلُّهَا!(٣)

(٤) فَوَائِدُ الإِخْلَاصِ

۞ (الْمُخْلِصُ) يَصُونُهُ اللهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَإِرَادَةِ وَجْهِهِ، وَخَشْيَتِهِ وَحْدَهُ، وَرَجَائِهِ وَحْدَهُ، وَالطَّلَبِ مِنْهُ، وَالذُّلِّ لَهُ، وَالِافْتِقَارِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ(٤).

۞ **قُلُوبُ الْغَافِلِينَ**: مَعْدِنُ الذُّنُوبِ، وَلَكِنْ مَعَ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ وَالْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ؛ يَسْتَحِيلُ صُدُوْرُ الذَّنْبِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤](٥).

۞ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (**مُصَانَعَةُ وَجْهٍ وَاحِدٍ؛ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ مُصَانَعَةِ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، إِنَّكَ إِذَا صَانَعْتَ ذَلِكَ الْوَجْهَ الْوَاحِدَ؛ كَفَاكَ الْوُجُوهَ كُلَّهَا!**)(٦).

(١) انظر: (٢/ ٩٤-٩٥).

(٢) (٢/ ٢٨٦).

(٣) (٢/ ٢٨٧).

(٤) (٢/ ٢٩).

(٥) انظر: (٢/ ٢٠٥).

(٦) (٢/ ٢٨٦).

(٥) قَوَادِحُ الإِخْلَاصِ

* الْقَلْبُ يَعْرِضُ لَهُ مَرَضَانِ عَظِيمَانِ، إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُمَا الْعَبْدُ؛ تَرَامَيَا بِهِ إِلَىٰ التَّلَفِ وَلَا بُدَّ، وَهُمَا: **الرِّيَاءُ، وَالْكِبْرُ**(١).

* إِرَادَةُ غَيْرِ اللهِ بِشَيْءٍ مِنَ الأَعْمَالِ، وَتَعَلُّقُهَا بِالْحُظُوظِ؛ وَعَدَمُ اسْتِقَامَتِهَا عَلَىٰ الْحَقِّ: دَلِيلٌ عَلَىٰ شِدَّةِ فَقْرِ النَّفْس(٢).

* **الْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ**، لَا يَكُونُ مِنْ عَارِفٍ بِهِمُ الْبَتَّةَ! بَلْ مِنْ جَاهِلٍ بِشَأْنِهِمْ، وَجَاهِلٍ بِرَبِّهِ؛ فَمَنْ عَرَفَ اللهَ وَعَرَفَ النَّاسَ؛ آثَرَ مُعَامَلَةَ اللهِ عَلَىٰ مُعَامَلَتِهِمْ(٣).

* كُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ شَيْءٍ مِن الْحَقِّ وَجَحَدَهُ؛ وَقَعَ فِي بَاطِلٍ وَلَا بُدَّ، وَمَنْ رَغِبَ عَنِ الْعَمَلِ لِوَجْهِ اللهِ وَحْدَهُ؛ ابْتَلَاهُ اللهُ بِالْعَمَلِ لِلْخَلْقِ!(٤)

* **الْوُقُوفُ عِنْدَ مَدْحِ النَّاسِ وَذَمِّهِمْ**: عَلَامَةُ انْقِطَاعِ الْقَلْبِ، وَخُلُوِّهِ مِن اللهِ، وَأَنَّهُ لَمْ تُبَاشِرْهُ رُوحُ مَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَذُقْ حَلَاوَةَ التَّعَلُّقِ بِهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ(٥).

* يَعْرِضُ لِلْعَامِلِ فِي عَمَلِهِ ثَلَاثُ آفَاتٍ:

١- رُؤْيَتُهُ وَمُلَاحَظَتُهُ ٢- وَطَلَبُ الْعِوَضِ عَلَيْهِ ٣- وَرِضَاهُ بِهِ وَسُكُونُهُ إِلَيْهِ(٦).

* الرِّيَاءُ وَالتَّصَنُّع، وَعِبَادَةُ النَّفْسِ، وَإِيثَارُ مُرَادِهَا: كُلُّهَا بِسَبَبِ الرُّسُومِ وَالْقُيُودِ،

---

(١) (١/ ٧٨).

(٢) انظر: (٢/ ٤٢١).

(٣) انظر: (١/ ١٠٤).

(٤) انظر: (١/ ١٨٣).

(٥) (٢/ ٩).

(٦) (٢/ ٩٣).

الَّتِي حَبَسَتْ أَرْبَابَهَا عَنِ السَّيْرِ مِنْ قُلُوبِهِم إِلَىٰ اللهِ[١].

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]: هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ، أَوْ أُرِيدَ بِهَا غَيْرُ وَجْهِ اللهِ![٢]

---

(١) انظر: (٢/ ٢٦٣).

(٢) (٢/ ٨٩).

المبحث الرابع
اليَقَـــظَـةُ

(١) حَقِيقَةُ اليَقَظَة

❁ اعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ -قَبْلَ وُصُولِ الدَّاعِي إِلَيْهِ- فِي نَوْمِ الْغَفْلَةِ؛ فَصَاحَ بِهِ النَّاصِحُ، وَأَذَّنَ بِهِ مُؤَذِّنُ الرَّحْمَنِ: (**حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ**)؛ فَأَوَّلُ مَرَاتِبِ هَذَا النَّائِمِ: الْيَقَظَةُ وَالِانْتِبَاهُ مِنَ النَّوْمِ![1].

❁ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ: **الْيَقَظَةُ**: وَهِيَ انْزِعَاجُ الْقَلْبِ، لِرَوْعَةِ الِانْتِبَاهِ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ[2].

❁ **الْغَفْلَةُ وَالْيَقَظَةُ**: يَكُونَانِ فِي الْحِسِّ وَالْعَقْلِ وَالْقَلْبِ؛ فَمُسْتَيْقِظُ الْقَلْبِ وَغَافِلُهُ: كَمُسْتَيْقِظِ الْبَدَنِ وَنَائِمِهِ![3]

(٢) فَوَائِدُ اليَقَظَة

❁ إِذَا انْتَبَهَ الْمُسْلِمُ وَأَبْصَرَ؛ أَجْمَعَ الْقَصْدَ عَلَىٰ سَفَرِ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ اللهِ، فَأَخَذَ فِي أُهْبَةِ السَّفَرِ، وَتَعْبِئَةِ الزَّادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ[4].

❁ يَقَظَةُ الْقَلْبِ: تَبْعَثُ عَلَىٰ **الْحَيَاةِ مَعَ اللهِ** -الَّذِي لَا غِنَىٰ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ-؛ فَهُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَقُوَّتِهِ، بَلْ وَمِنْ حَيَاتِهِ![5]

---

(١) انظر: (١/ ١٦٠-١٦١).

(٢) (١/ ١٤٢).

(٣) (٣/ ٢٦٦).

(٤) انظر: (١/ ١٥٠).

(٥) انظر: (٣/ ٢٦٧).

❁ مَنْ أَحسَّ بِيَقَظَةِ القَلْب؛ فَقَدْ أَحسَّ -وَاللهِ- بِالْفَلَاحِ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْغَفْلَةِ؛ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ: شَمَّرَ لِله بِهِمَّتِهِ إِلَىٰ السَّفَرِ إِلَىٰ الجَنَّة[1].

❁ بِحَسَبِ كَمَالِ يَقَظَةِ الإِنْسَانِ: يَكُونُ عَزْمُهُ، وَبِحَسَبِ قُوَّةِ عَزْمِهِ: يَكُونُ اسْتِعْدَادُهُ[2].

❁ المُؤْمِنُ يَرَىٰ مَعَ **نُورِ الْيَقَظَةِ؛** فَلَا يُطْفِئُ نُورَهَا بِظُلْمَةِ الْغَفْلَةِ، بَلْ يَسْتَدِيمُ يَقَظَتَهُ[3].

❁ إِذَا اسْتَفَاقَ شَاهِدُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفِكْرِ، وَوَجَدَ الْقَلْبُ حَلَاوَةَ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ: خَرَجَ مِنْ جُمْلَةِ النِّيَامِ الْغَافِلِينَ[4].

❁ إِذَا قَوِيَتْ **الْحَيَاةُ فِي الْقَلْبِ؛** فإنه لَا يَنَامُ إِذَا نَامَ الْبَدَنُ، وَكَمَالُ هَذِهِ الْحَيَاةِ: كَانَ لِنَبِيِّنَا ﷺ، وَلِمَنْ أَحْيَا اللهُ قَلْبَهُ: بِمَحَبَّتِهِ، وَاتِّبَاعِ رِسَالَتِهِ[5].

(٣) أَضْرَارُ الغَفْلَة

❁ الْغَفْلَةُ: **نَوْمُ الْقَلْبِ**، وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِن الْأَيْقَاظِ فِي الْحِسِّ: نِيَامًا فِي الْوَاقِعِ؛ فَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ![6]

❁ **الْغَفْلَةُ**: هِيَ نَوْمُ الْقَلْبِ، وَهِيَ حِجَابٌ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ كُشِفَ هَذَا الْحِجَاب

(١) انظر: (١/ ١٤٢).

(٢) انظر: (١/ ١٤٣).

(٣) انظر: (٢/ ١١٠).

(٤) انظر: (٣/ ٧١-٧٢).

(٥) انظر: (٣/ ٢٦٦).

(٦) (٣/ ٢٦٦).

بِالذِّكْرِ، وَإِلَّا تكَاثَفَ حَتَّىٰ يَصِيرَ حِجَابَ بِطَالَةٍ ومَعَاصٍ، وبِدَعٍ وشَكٍّ وَتَكْذِيبٍ![1].

❋ **انْقِبَاضُ القَلْبِ**: قَدْ يَكُونُ عُقُوبَةً عَلَىٰ غَفْلَةٍ، أَوْ خَاطِرِ سُوءٍ، أَوْ فِكْرَةٍ رَدِيئَةٍ[2].

❋ أَهْلُ الْغَفْلَةِ عَنِ اللهِ، وَالِابْتِدَاعِ فِي دِينِ اللهِ؛ هُمْ **أَهْلُ الْبَلَاءِ** حَقًّا، فَإِذَا رَآهُمُ الْمُسْلِمُ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَلَيْهِ؛ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي قَلْبِهِ، وَعَرَفَ قَدْرَهَا[3].

❋ لَوْلَا حِجَابُ الْغَفْلَةِ وَالْعَوَائِدِ وَالْهَوَىٰ وَالْمُخَالَفَاتِ؛ لَذَاقَ الْقَلْبُ أَعْظَمَ الْأَلَمِ بِتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِ اللهِ، وَلَذَاقَ أَعْظَمَ اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ بِتَعَلُّقِهِ بِهِ![4].

❋ بَعْضُ النَّاسِ لَا يَصْلُحُ للهِ عَلَىٰ عَافِيَةٍ وَلَا ابْتِلَاءٍ! **فَالْعَافِيَةُ**: تُلْقِيهِ إِلَىٰ مَسَاخِطِهِ. **وَالْبَلَاءُ**: يَدْفَعُهُ إِلَىٰ جُحُودِ نِعْمَتِهِ، وَشِكَايَتِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ![5].

---

(١) انظر: (٣/ ٢٦٨).

(٢) انظر: (٣/ ٢٧٥).

(٣) انظر: (١/ ١٦٤). قال ابنُ القَيِّم: (حَتَّىٰ إِنَّ مِنْ تَمَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: رُؤْيَةَ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ!). المصدر السابق.

(٤) (٣/ ٣٥٦).

(٥) انظر: (١/ ٢١١).

المبحث الخامس

العَـــــزْمُ

(١) حَقِيقَةُ العَزْمِ

❁ حَقِيقَةُ العَزْمِ: هُوَ اسْتِجْمَاعُ قُوَىٰ الْإِرَادَةِ عَلَىٰ الْفِعْلِ(١).

(٢) أَسْبَابُ العَزْمِ

❁ مَنِ اسْتَحْكَمَ قَصْدُهُ: صَارَ عَزْمًا جَازِمًا، مُسْتَلْزِمًا لِلشُّرُوعِ فِي السَّفَرِ، مَقْرُونًا بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ؛ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران:١٥٩](٢).

❁ لَا تَصِحُّ الْعَزَائِمُ إِلَّا لِمَنْ أَشْرَقَ عَلَىٰ قَلْبِهِ أَنْوَارُ آثَارِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَتَجَلَّتْ عَلَيْهِ مَعَانِيهَا، وَكَافَحَ قَلْبَهُ حَقِيقَةُ الْيَقِينِ بِهَا(٣).

❁ صُحْبَةُ أَرْبَابِ الْعَزَائِمِ، وَالْمُشَمِّرِينَ إِلَىٰ اللَّحَاقِ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ؛ يَعْرِفُ به الإِنْسَانُ مَا مَعَهُ مِن زِيَادَةِ الإيمانِ وَنُقْصَانِه(٤).

(٣) أَهْلُ العَزْمِ

❁ أَرْبَابُ الْعَزَائِمِ وَالْبَصَائِرِ؛ أَشَدُّ مَا يَكُونُونَ اسْتِغْفَارًا: عُقَيْبَ الطَّاعَاتِ؛ لِشُهُودِهِمْ تَقْصِيرَهُمْ فِيهَا(٥).

(١) انظر: (١/ ١٥٢).

(٢) انظر: (١/ ١٥٢).

(٣) انظر: (١/ ١٦٥).

(٤) (١/ ١٩٢).

(٥) (١/ ١٩٢).

❁ أَرْبَابُ الْعَزَائِمِ فِي السَّيْرِ: يَجْمَعُوْنَ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَظَوَاهِرِهَا، وَبين أَرْوَاحِهَا وَحَقَائِقِهَا[١].

❁ أَصْحَابُ الْعَزَائِمِ، يَبْذُلُونَ وُسْعَهُمْ فِي طَلَبِ **الْأَرْضَىٰ إِلَىٰ اللهِ**: عِلْمًا وَمَعْرِفَةً، فَإِنْ أَعْجَزَهُمْ: قَنِعُوا بِالظَّنِّ الْغَالِبِ، فَإِنْ تَسَاوَىٰ عِنْدَهُمُ الْأَمْرَانِ: قَدَّمُوا أَرْجَحَهُمَا مَصْلَحَةً[٢].

❁ أَرْبَابُ الْعَزَائِمِ: لَا تَسْتَفِزُّهُمُ (السَّرَّاءُ)؛ فَتَغْلِب شُكْرَهُمْ، وَلَا تُضْعِفُهُمُ (الضَّرَّاءُ)؛ فَتَغْلِبَ صَبْرَهُمْ[٣].

---

(١) انظر: (١/ ٤٧٠).

(٢) انظر: (١/ ٥٠٥). قال ابنُ القيِّم: (وَلِتَرْجِيحِ الْمَصَالِحِ رُتَبٌ مُتَفَاوِتَةٌ:
١- فَتَارَةً تتَرَجَّحُ بِعُمُومِ النَّفْعِ. ٢- وَتَارَةً تتَرَجَّحُ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ.
٣- وَتَارَةً تتَرَجَّحُ بِمُخَالَفَةِ النَّفْسِ. ٤- وَتَارَةً تتَرَجَّحُ بِاسْتِجْلَابِ مَصْلَحَةٍ لَا تَحْصُلُ مِنْ غَيْرِهَا
٥- وَتَارَةً تتَرَجَّحُ بِأَمْنِهَا مِن مَفْسَدَةٍ لَا تُؤْمَنُ فِي غَيْرِهَا؛ فَهَذِهِ خَمْسُ جِهَاتٍ مِن التَّرْجِيحِ، قَلَّ أَنْ يُعْدَمَ وَاحِدَةٌ مِنْهَا). المصدر السابق.

(٣) انظر: (٢/ ٣٧١).

المبحث السادس
المُحَاسَبَةُ

(١) حَقِيقَةُ الْمُحَاسَبَة

❁ الْمُحَاسِبَةُ: هِيَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا لَهُ وَعَلَيْهِ؛ فَيَسْتَصْحِبُ مَا لَهُ، وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مُسَافِرٌ سَفَرَ مَنْ لَا يَعُودُ![١]

❁ أَمَرَ اللهُ الْعَبْدَ أَنْ يَنْظُرَ مَا قَدَّمَ؛ هَلْ يَصْلُحُ مَا قَدَّمَهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ بِهِ، أَوْ لَا؟ ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨][٢].

(٢) أَهَمِّيَّةُ الْمُحَاسَبَة

❁ يَنْبَغِي مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ؛ حَتَّىٰ تَعْرِفَ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَلَا يَدَعُهَا تَسْتَرْسِلُ فِي الْحُقُوقِ اسْتِرْسَالًا، فَيُضَيِّعَهَا وَيُهْمِلَهَا[٣].

(٣) فَوَائِدُ الْمُحَاسَبَة

❁ زَكَاةُ النَّفْسِ وَطَهَارَتُهَا؛ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ مُحَاسَبَتِهَا؛ فَلَا تَزْكُو وَلَا تَطْهُرُ وَلَا تَصْلُحُ الْبَتَّةَ إِلَّا بِمُحَاسَبَتِهَا؛ فَبِمُحَاسَبَتِهَا يَطَّلِعُ عَلَىٰ عُيُوبِهَا وَنَقَائِصِهَا؛ فَيُمْكِنُهُ السَّعْيُ فِي إِصْلَاحِهَا[٤].

❁ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ: عَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ؛ فَخَرَجَ مِنْهُ، وَتَنَصَّلَ مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ[٥].

---

(١) (١/ ١٨٧).

(٢) انظر: (١/ ١٨٧).

(٣) انظر: (٢/ ٤٧٧).

(٤) انظر: (٢/ ٤٧٧).

(٥) انظر: (١/ ١٨٧).

❁ إذا قَايَسْتَ بَيْنَ نِعَمِ اللهِ وَجِنَايَةِ نَفْسِكَ؛ ظَهَرَ لَكَ أَنَّ النَّفْسَ مَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَنَّهُ لَوْلَا فَضْلُ اللهِ؛ لَمَا كَانَ لَهَا وُصُولٌ إِلَىٰ خَيْرٍ الْبَتَّةَ، وأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا عَفْوُهُ وَرَحْمَتُهُ، أَوِ الْهَلَاكُ وَالْعَطَبُ![1]

---

(١) انظر: (١/ ١٨٨).

المبحث السابع

التَّـــوْبَةُ

(١) حَقِيقَةُ التَّوْبَة

* حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ: هِيَ **النَّدَمُ** عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي، **وَالْإِقْلَاعُ** عَنْهُ فِي الْحَالِ، **وَالْعَزْمُ** عَلَىٰ أَنْ لَا يُعَاوِدَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ(١).

* مِنْ مُوجِبَاتِ التَّوْبَةِ الصَّحِيحَةِ: أَنَّهَا تَكْسِرُ الْقَلْبَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ كَسْرَةً تَامَّةً، قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَأَلْقَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ طَرِيحًا ذَلِيلًا خَاشِعًا!(٢)

* **التَّوْبَةُ**: اسْمٌ جَامِعٌ لِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، وجَمِيعُ مَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ النَّاسُ مِن الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ؛ هُوَ تَفَاصِيلُ التَّوْبَةِ وَآثَارُهَا(٣).

* مَا أَصْعَبَ **التَّوْبَةَ الصَّحِيحَةَ**، وَمَا أَسْهَلَهَا بِاللِّسَانِ وَالدَّعْوَىٰ! وَمَا عَالَجَ الصَّادِقُ شيئًا: أَشَقَّ عَلَيْهِ مِن التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ الصَّادِقَةِ(٤).

(٢) أَهَمِّيَّةُ التَّوْبَة

* مَنْزِلُ التَّوْبَةِ: أَوَّلُ الْمَنَازِلِ، وَأَوْسَطُهَا، وَآخِرُهَا؛ فَلَا يُفَارِقُهُ الْعَبْدُ السَّالِكُ، وَلَا يَزَالُ فِيهِ إِلَىٰ الْمَمَاتِ!(٥)

* التَّوْبَةُ: هِيَ **بِدَايَةُ الْعَبْدِ وَنِهَايَتُهُ**، وَحَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ ضَرُورِيَّةٌ، كَمَا أَنَّ

---

(١) (١/ ١٩٩).

(٢) انظر: (١/ ٢٠٤).

(٣) انظر: (١/ ٣١٤).

(٤) انظر: (١/ ٢٠٥).

(٥) (١/ ١٩٦).

حَاجَتَهُ إِلَيْهَا فِي الْبِدَايَةِ كَذَلِكَ(١).

❁ عَلَّقَ اللهُ الْفَلَاحَ بِالتَّوْبَةِ، فَلَا يَرْجُو الْفَلَاحَ إِلَّا التَّائِبُونَ!(٢) ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١](٣).

❁ قَسَّمَ اللهُ الْعِبَادَ إِلَىٰ تَائِبٍ وَظَالِمٍ، وَمَا ثَمَّ قَسْمٌ ثَالِثٌ الْبَتَّةَ! ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١](٤).

❁ غَايَةُ الْمَقَامَاتِ وَنِهَايَتُهَا: هُوَ التَّوْبَةُ وَالْعُبُودِيَّةُ الْمَحْضَةُ(٥).

(٣) فَوَائِدُ التَّوْبَة

❁ لَوْلَا تَنَسُّمُ رُوحِ التَّوبة؛ لَحَالَ الْيَأْسُ بَيْنَ الإنسانِ وَبَيْنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٦).

❁ الِاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ: مُنَافٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مِن الِاعْتِذَارِ فِي شَيْءٍ، وأَمَّا الِاعْتِرَافُ: فَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ التَّوْبَةِ(٧).

❁ التَّائِبُ قَدْ بُدِّلَ كُلَّ سَيِّئَةٍ (بِنَدَمِهِ عَلَيْهَا): حَسَنَةً؛ فَصَارَ لَهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ: حَسَنَةٌ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ؛ فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَلْطَفِ الْوُجُوهِ!(٨).

---

(١) (١/ ١٩٦).

(٢) انظر: (١/ ١٩٦).

(٣) قال ابنُ القَيِّم: (وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةٍ مَدَنِيَّةٍ، خَاطَبَ اللهُ بِهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَخِيَارَ خَلْقِهِ: أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ، بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ، وَهِجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ!). (١/ ١٩٦).

(٤) انظر: (١/ ١٩٦).

(٥) (٣/ ٤٠٨).

(٦) انظر: (٣/ ٤٠٩).

(٧) انظر: (١/ ٢٠٢).

(٨) انظر: (١/ ٣١١).

* لَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ[١].

* مِنْ حِكَمِ اللهِ فِي تَقْدِيرِ الذَّنْبِ: أَنْ يُكَمِّلَ لِعَبْدِهِ مَرَاتِبَ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالِافْتِقَارِ إِلَيْهِ[٢].

(٤) أَحْكَامُ التَّوْبَةِ

* مَنْ تَابَ مِنَ الذَّنْبِ: بَقِيَ عَلَيْهِ تَوْبَةٌ أُخْرَىٰ، وَهِيَ تَوْبَتُهُ مِنْ **تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ**، وَقَلَّ أَنْ تَخْطُرَ هَذِهِ بِبَالِ التَّائِبِ! وَلَا يُنْجِي مِنْ هَذَا إِلَّا تَوْبَةٌ عَامَّةٌ؛ فَإِنَّ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ؛ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْلَمُهُ[٣].

* التَّوْبَةُ لَا تَصِحُّ مِنْ ذَنْبٍ، مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ آخَرَ مِنْ نَوْعِهِ، وَأَمَّا التَّوْبَةُ مِنْ ذَنْبٍ، مَعَ مُبَاشَرَةِ آخَرَ لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِهِ، وَلَا هُوَ مِنْ نَوْعِهِ: فَتَصِحُّ[٤].

* عَلَّقَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَبُولَ التَّوْبَةِ بِالِاسْتِغْفَارِ وَعَدَمِ الْإِصْرَارِ، دُونَ الْمُعَاوَدَةِ. **وَالْإِصْرَارُ**: عَقْدُ الْقَلْبِ عَلَىٰ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ مَتَىٰ ظَفِرَ بِهِ، فَهَذَا الَّذِي يَمْنَعُ مَغْفِرَتَهُ[٥].

* **اسْتِمْرَارُ التَّوْبَةِ**: شَرْطٌ فِي صِحَّةِ كَمَالِهَا وَنَفْعِهَا، لَا شَرْطٌ فِي صِحَّةِ مَا مَضَىٰ مِنْهَا؛ لأن التَّوْبَةَ عِبَادَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ بِتَعَدُّدِ الذُّنُوبِ، فَكُلُّ ذَنْبٍ لَهُ تَوْبَةٌ تَخُصُّهُ[٦].

---

(١) (١/ ٢٣٩).

(٢) انظر: (١/ ٢٢٣).

(٣) انظر: (١/ ٢٨٣).

(٤) كَمَا إِذَا تَابَ مِن (الرِّبَا)، وَلَمْ يَتُبْ مَنْ (شُرْبِ الْخَمْرِ) مَثَلاً؛ فَإِنَّ تَوْبَتَهُ مِن (الرِّبَا) صَحِيحَةٌ، وَأَمَّا إِذَا تَابَ مِن تَنَاوُلِ (الْحَشِيشَةِ) وَأَصَرَّ عَلَىٰ (شُرْبِ الْخَمْرِ)، أَوْ بِالْعَكْسِ؛ فَهَذَا لَا تَصِحُّ تَوْبَتُهُ. انظر: (١/ ٢٨٥).

(٥) انظر: (١/ ٢٩٢).

(٦) انظر: (١/ ٢٩٢).

❁ مَنْ تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا خَالِصَةً؛ عَادَتْ إِلَيْهِ حَسَنَاتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ حُكْمُهُ حُكْمَ الْمُسْتَأْنِفِ لَهَا، بَلْ يُقَالُ لَهُ: تُبْتَ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ(١).

(٥) عُبُودِيَّةُ التَّوْبَة

❁ عُبُودِيَّةُ التَّوْبَةِ: مِنْ أَحَبِّ الْعُبُودِيَّاتِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ التَّوْبَةُ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ؛ لَمَا ابْتُلِيَ بِالذَّنْبِ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيْهِ!(٢).

❁ عُبُودِيَّةُ التَّوْبَةِ: فِيهَا مِن الذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ، وَالْخُضُوعِ، وَالتَّمَلُّقِ لِلهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ؛ مَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كَثِيرٍ مِن الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَإِنْ زَادَتْ فِي الْقَدْرِ وَالْكَمِّيَّةِ عَلَىٰ عُبُودِيَّةِ التَّوْبَةِ(٣).

❁ قَدَّرَ اللهُ الذَّنْبَ عَلَىٰ العَبْدِ وَابْتَلَاهُ بِهِ؛ لِتَكْمُلَ مَرَاتِبُ عُبُودِيَّتِهِ بِالتَّوْبَةِ (الَّتِي هِيَ مِنْ أَحَبِّ عُبُودِيَّاتِ عَبْدِهِ إِلَيْهِ)، وكَذَلِكَ تَكْمِيلُهَا بِالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ(٤).

❁ لَوْ عُطِّلَت الذنوبُ؛ لَتَعَطَّلَتْ عُبُودِيَّةُ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارُ مِنْهَا، وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ(٥).

(٦) التَّوْبَةُ والِاسْتِغْفَارُ

❁ الِاسْتِغْفَارُ: يَتَضَمَّنُ التَّوْبَةَ، وَالتَّوْبَةُ: تَتَضَمَّنُ الِاسْتِغْفَارَ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَدْخُلُ فِي مُسَمَّىٰ الْآخَرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ(٦).

(١) انظر: (١/ ٢٩٣).

(٢) انظر: (١/ ٣٠٦).

(٣) (١/ ٣٠٦).

(٤) انظر: (٢/ ٥٢).

(٥) انظر: (٢/ ١٩٢).

(٦) (١/ ٣١٥).

* عِنْدَ اقْتِرَانِ الِاسْتِغْفَارِ بالتَّوْبَةِ؛ **فَالمَقْصُوْدُ بالِاسْتِغْفَار**: طَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ مَا مَضَىٰ، **وَالتَّوْبَة**: طَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ مَا يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ[1].

* **الِاسْتِغْفَارُ**: طَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ الذَّنب. **والتَّوْبَةُ**: الْعَزْمُ عَلَىٰ أَنْ لَا يَفْعَلَهُ. **وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ**: يَتَنَاوَلُ النَّوْعَيْنِ: رُجُوعٌ إِلَيْهِ لِيَقِيَهُ شَرَّ مَا مَضَىٰ، وَرُجُوعٌ إِلَيْهِ لِيَقِيَهُ شَرَّ مَا يُسْتَقْبَلُ[2].

* **الِاسْتِغْفَارُ**: مِنْ بَابِ إِزَالَةِ الضَّرَرِ. **وَالتَّوْبَةُ**: طَلَبُ جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ؛ **فَالْمَغْفِرَةُ**: أَنْ يَقِيَهُ شَرَّ الذَّنْبِ. **وَالتَّوْبَةُ**: أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْوِقَايَةِ مَا يُحِبُّهُ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسْتَلْزِمُ الْآخَرَ عِنْدَ إِفْرَادِهِ[3].

* **الِاسْتِغْفَارُ**: هُوَ التَّوْبَةُ بِعَيْنِهَا، مَعَ تَضَمُّنِهِ طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مِن اللهِ، وَهُوَ: مَحْوُ الذَّنْبِ، وَإِزَالَةُ أَثَرِهِ، وَوِقَايَةُ شَرِّهِ[4].

(٧) التَّوْبَةُ النَّصُوْح

* النُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ: تَخْلِيصُهَا مِنْ كُلِّ غِشٍّ وَنَقْصٍ وَفَسَادٍ، وَإِيقَاعُهَا عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ. وَالنُّصْحُ: ضِدُّ الْغِشِّ[5].

* **نُصْحُ التَّوْبَةِ**: الصِّدْقُ فِيهَا، وَالْإِخْلَاصُ، وَتَعْمِيمُ الذُّنُوبِ بِهَا، وَهَذِهِ التَّوْبَةَ: تَسْتَلْزِمُ الِاسْتِغْفَارَ، وَتَمْحُو جَمِيعَ الذُّنُوبِ، وَهِيَ أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِن التَّوْبَةِ[6].

---

(١) انظر: (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: (١/ ٣١٥).

(٣) (١/ ٣١٥).

(٤) انظر: (١/ ٣١٤).

(٥) انظر: (١/ ٣١٦).

(٦) انظر: (١/ ٣١٧).

(٨) أَسْرَارُ التَّوْبَة

* تَوْبَةُ الْعَبْدِ: مَحْفُوفَةٌ بِتَوْبَةٍ مِن اللهِ عَلَيْهِ قَبْلَهَا، وَتَوْبَةٍ مِنْهُ بَعْدَهَا؛ فَإِنَّهُ تَابَ عَلَيْهِ أَوَّلًا: **تَوْفِيقًا وَإِلْهَامًا**، ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ ثَانِيًا: **قَبُولًا وَإِثَابَةً**[١].

* التَّوْبَةُ مَحْفُوفَةٌ بِمُحَاسَبَتَيْنِ: **مُحَاسَبَةٍ قَبْلَهَا** تَقْتَضِي وُجُوبَهَا، **وَمُحَاسَبَةٍ بَعْدَهَا** تَقْتَضِي حِفْظَهَا[٢].

* الْعَبْدُ تَوَّابٌ، وَاللهُ تَوَّابٌ، **فَتَوْبَةُ الْعَبْدِ**: رُجُوعُهُ إِلَىٰ سَيِّدِهِ. **وَتَوْبَةُ اللهِ نَوْعَانِ**: إِذْنٌ وَتَوْفِيقٌ، وَقَبُولٌ وَإِمْدَادٌ[٣].

* التَّوْبَةُ لَهَا مَبْدَأٌ وَمُنْتَهًى؛ **فَمَبْدَؤُهَا**: الرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ بِسُلُوكِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، **وَنِهَايَتُهَا**: الرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي الْمَعَادِ، وَسُلُوكُ صِرَاطِهِ الَّذِي نَصَبَهُ، مُوصِلًا إِلَىٰ جَنَّتِهِ[٤].

* **التَّوْبَةُ**: نِهَايَةُ كُلِّ عَارِفٍ، وَغَايَةُ كُلِّ سَالِكٍ، وَكَمَا أَنَّهَا بِدَايَةٌ؛ **فَهِيَ نِهَايَةٌ!** وَالْحَاجَةُ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ؛ أَشَدُّ مِن الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فِي الْبِدَايَةِ[٥].

* مَنْ رَجَعَ إِلَىٰ اللهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ **بِالتَّوْبَةِ**؛ رَجَعَ إِلَيْهِ فِي الْمَعَادِ **بِالثَّوَابِ!** ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧١][٦].

* خَلَقَ اللهُ خَلْقًا يَعْصُونَهُ؛ لِيَعْرِفَ أَوْلِيَاؤُهُ كَمَالَ مَغْفِرَتِهِ وَإِمْهَالِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِقُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ؛ فَظَهَرَ كَرَمُهُ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ، وَلُطْفِهِ فِي الْعَوْدِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ[٧].

---

(١) انظر: (١/ ٣١٩).

(٢) انظر: (١/ ١٨٧).

(٣) انظر: (١/ ٣٢٠).

(٤) انظر: (١/ ٣٢٠).

(٥) (٣/ ٤٠٢).

(٦) انظر: (١/ ٣٢٠).

(٧) انظر: (٣/ ٣٧٠).

(٩) أَسْبَابُ المَغْفِرَة

❁ **لِأَهْلِ الذُّنُوبِ ثَلَاثَةُ أَنْهَارٍ يَتَطَهَّرُونَ بِهَا:**

١- نَهْرُ التَّوْبَةِ ٢- وَنَهْرُ الْحَسَنَاتِ

٣- وَنَهْرُ الْمَصَائِبِ؛ فَإِنْ لَمْ تَفِ: طُهِّرُوا **فِي نَهْرِ الْجَحِيمِ** يَوْمَ الْقِيَامَةِ![1]

❁ **يُعْفَىٰ لِلْمُحِبِّ،** وَلِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ، مَا لَا يُعْفَىٰ لِغَيْرِهِ، وَيُسَامَحُ بِمَا لَا يُسَامَحُ بِهِ غَيْرُهُ[2].

❁ **انْظُرْ إِلَىٰ مُوسَىٰ** عليه السلام: رَمَىٰ الْأَلْوَاحَ -الَّتِي فِيهَا كَلَامُ اللهِ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ- فَكَسَرَهَا، وَرَبُّهُ تَعَالَىٰ يَحْتَمِلُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ؛ **لِأَنَّهُ قَامَ لِلهِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةَ**[3].

❁ **انْظُرْ إِلَىٰ يُونُسَ** عليه السلام: (حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْمَقَامَاتُ الَّتِي لِمُوسَىٰ عليه السلام)، غَاضَبَ رَبَّهُ مَرَّةً؛ فَأَخَذَهُ وَسَجَنَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ لَهُ مَا احْتَمَلَ لِمُوسَىٰ[4].

❁ **فَرْقٌ** مَنْ يَأْتِي بِذَنْبٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْمَحَاسِنِ مَا يَشْفَعُ لَهُ، وَبَيْنَ مَنْ إِذَا أَتَىٰ بِذَنْبٍ: جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِكُلِّ شَفِيعٍ![5].

❁ **الِاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ**: مُنَافٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الِاعْتِذَارِ فِي شَيْءٍ، وَأَمَّا الِاعْتِرَافُ: فَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ التَّوْبَةِ[6].

---

(١) انظر: (١/ ٣١٩). قال ابنُ القيِّم: (فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا: أَدْخَلَهُ أَحَدَ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الثَّلَاثَةِ؛ فَوَرَدَ الْقِيَامَةَ طَيِّبًا طَاهِرًا؛ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَىٰ التَّطْهِيرِ الرَّابِعِ). المصدر السابق.

(٢) (١/ ٣٣٧).

(٣) انظر: (١/ ٣٣٧).

(٤) (١/ ٣٣٧).

(٥) (١/ ٣٣٧).

(٦) انظر: (١/ ٢٠٢).

المبحث الثامن

الإِنَـــابَـةُ

(١) حَقِيقَةُ الإِنَابَة

* الْإِنَابَةُ: جَامِعَةٌ لِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ وَالْخَشْيَةِ؛ فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُنِيبًا إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمَا[١].

(٢) أَنْوَاعُ الإِنَابَة

* الْإِنَابَةُ إِنَابَتَانِ: **إِنَابَةٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ**، وَهِيَ: إِنَابَةُ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا. وَالْإِنَابَةُ الثَّانِيَةُ: إِنَابَةُ أَوْلِيَائِهِ، وَهِيَ: **إِنَابَةٌ لِإِلَهِيَّتِهِ**، إِنَابَةَ عُبُودِيَّةٍ وَمَحَبَّةٍ[٢].

(٣) أَسْبَابُ الإِنَابَة

* لَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْمُنِيبِ إِلَّا مَن اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَرْبَعُ: ١-مَحَبَّةُ اللهِ، ٢-وَالْخُضُوعُ لَهُ، ٣-وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، ٤-وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ[٣].

(٤) عَلَامَاتُ الإِنَابَة

* **تَوَجُّعُ القَلْبِ وَانْصِدَاعُه**؛ دَلِيلٌ عَلَىٰ إِنَابَتِهِ إِلَىٰ اللهِ، بِخِلَافِ مَنْ لَا يَتَأَلَّمُ قَلْبُهُ، وَلَا يَنْصَدِعُ مِنْ عَثْرَتِهِ؛ فَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَىٰ فَسَادِ قَلْبِهِ وَمَوْتِهِ![٤]

* **التَّوَجُّعُ لِعَثْرَةِ الْمُؤْمِنِ إِذَا عَثَرَ**، وَعَدَمُ الشَّمَاتَةِ بِهِ؛ دَلِيلٌ عَلَىٰ رِقَّةِ القَلْبِ وَإِنَابَتِهِ[٥].

---

(١) انظر: (١/ ١٥٦).

(٢) انظر: (١/ ٤٣٣).

(٣) انظر: (١/ ٤٣٣).

(٤) انظر: (١/ ٤٣٥).

(٥) انظر: (١/ ٤٣٥).

❁ **مِنْ عَلَامَاتِ الْإِنَابَةِ:** أَنْ تَتْرُكَ الِاسْتِهَانَةَ بِأَهْلِ الْغَفْلَةِ، وَأَنْ تَرْجُوَ لَهُم الرَّحْمَةَ، وَتَخْشَىٰ عَلَىٰ نَفْسِكَ النِّقْمَةَ![1].

---

(١) انظر: (١/ ٤٣٧).

المبحث التاسع

الهِـــدَايَةُ

(١) حَقِيْقَةُ الهِدَايَة

* الْهُدَىٰ: يَتَضَمَّنُ ثَلْجَ الصُّدُورِ بِالْيَقِينِ، وَطُمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ بِهِ، وَسُكُونَ النَّفْسِ إِلَيْهِ، وَحَيَاةَ الرُّوحِ بِهِ(١).

* تتَضَمَّنُ الهدايةُ: العِلْمَ بالْحَقِّ، وَإِلْهَامَنا لَهُ، واتِّبَاعَه، والْقِيَامَ بِمُوجَبِه، ثُمَّ الثباتَ عَلَيْهِ إِلَىٰ الْوَفَاةِ(٢).

(٢) أَنْوَاعُ الهِدَايَة

* آخِرُ مَرَاتِبِ الهداية: هِيَ الْهِدَايَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ **طَرِيقِ الْجَنَّةِ**، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُوَصِّلُ إِلَيْهَا(٣).

* مَنْ هُدِيَ فِي الدُّنيا إِلَىٰ الصِراطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ هُدِيَ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُوصِلِ إِلَىٰ جَنَّتِهِ فِي الآخرة. وَعَلَىٰ قَدْرِ ثُبُوتِه وسَيْرِهِ هُنَا؛ يَكُونُ ثُبُوتُهُ وسَيْرُهُ هُنَاكَ(٤).

* **التَّحْدِيثُ**: مَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِ الْهِدَايَةِ. وَالْمُحَدَّثُ: هُوَ الَّذِي يُحَدَّثُ فِي سِرِّهِ

---

(١) (٣/ ١٤٩).

(٢) انظر: (١/ ٣٢).

(٣) انظر: (١/ ٣٢).

(٤) فَمِنْهُمْ: مَنْ يَمُرُّ كالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرِّكَابِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَسْعَىٰ سَعْيًا، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمْ: الْمَخْدُوشُ الْمُسَلَّمُ، وَمِنْهُمْ: الْمُكَرْدَسُ فِي النَّارِ؛ فَلْيَنْظُرِ الْعَبْدُ سَيْرَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الصِّرَاطِ مِنْ سَيْرِهِ عَلَىٰ هَذَا، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]. انظر: (١/ ٣٣).

بِالشَّيْءِ؛ فَيَكُونُ كَمَا يُحَدَّثُ بِهِ[١].

❁ هِدَايَةُ اللهِ لِعَبْدِهِ قَبْلَ الِاهْتِدَاءِ؛ فَيَهْتَدِي بِهِدَايَتِهِ، فَتُوجِبُ لَهُ تِلْكَ الْهِدَايَةُ: هِدَايَةً أُخْرَىٰ يُثِيبُهُ اللهُ بِهَا هِدَايَةً عَلَىٰ هِدَايَتِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْهُدَىٰ: الْهُدَىٰ بَعْدَهُ، كَمَا أَنَّ مِنْ عُقُوبَةِ الضَّلَالَةِ: الضَّلَالَةَ بَعْدَهَا[٢].

(٣) أَهَمِّيَّةُ الهِدَايَة

❁ اضْطِرَارُ الْعَبْدِ إِلَىٰ **سُؤَالِ الهداية**، فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ فَإِنَّ الْمَجْهُولَ لَنَا مِنَ الْحَقِّ أَضْعَافُ الْمَعْلُومِ[٣].

❁ الْهُدَىٰ وَالسَّعَادَةُ مُتَلَازِمَانِ، وَالضَّلَالُ وَالشَّقَاءُ مُتَلَازِمَانِ! ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣][٤].

❁ **سُؤَالُ الْهِدَايَةِ**: أَفْرَضُ دُعَاءٍ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ، وَأَوْجَبُهُ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي كُلِّ صَلَاةٍ؛ لِشِدَّةِ ضَرُورَتِهِ وَفَاقَتِهِ إِلَىٰ الْهِدَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ، وَلَا يَقُومُ غَيْرُ هَذَا السُّؤَالِ مَقَامَهُ[٥].

❁ **طَرِيقُ الْهِدَايَةِ**: تَصْعَدُ بِصَاحِبِهَا إِلَىٰ أَعْلَىٰ عِلِّيِّين، **وَطَرِيقُ الضَّلَالَةِ**: تَهْوِي بِسَالِكِهَا فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤][٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٤٧٤).

(٢) انظر: (١/ ٣٢٠).

(٣) انظر: (١/ ٣٢-٣٣).

(٤) (١/ ٣٧).

(٥) انظر: (١/ ٧٦).

(٦) انظر: (١/ ٤٠).

(٤) أَسْبَابُ الهِدَايَة

❁ سُؤَالُ الْهِدَايَةِ: مُتَضَمِّنٌ لِحُصُولِ كُلِّ خَيْرٍ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ[١].

❁ سُؤَالُ اللهِ الْهِدَايَةَ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ: أَجَلُّ الْمَطَالِبِ، وَنَيْلُهُ: أَشْرَفُ الْمَوَاهِبِ[٢].

❁ قُمْ لِلهِ قَوْمَةَ مُفَكِّرٍ فِي نَفْسِهِ فِي الْخَلْوَةِ، مُتَجَرِّدٍ عَنِ الْهَوَىٰ وَالْحَمِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، صَادِقٍ فِي طَلَبِ الْهِدَايَةِ مِن اللهِ، فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُخَيِّبَ عَبْدًا هَذَا شَأْنُهُ![٣]

(٥) مَوَانِعُ الهِدَايَة

❁ قَدْ يُبْصِرُ الْعَبْدُ الْحَقَّ، وَلَا تُوجَدُ مِنْهُ الْهِدَايَةُ! كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧] فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- بَصَّرَهُمْ؛ فَآثَرُوا الضَّلَالَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ![٤]

❁ مَا مَنَعَ اللهُ فَضْلَهُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ كَامِلَةٍ، فَهُوَ لَا يَضَعُ فَضْلَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَفَسَدُوا، وَلَوْ عَلِمَ فِي الْكُفَّارِ خَيْرًا لَهَدَاهُمْ[٥].

---

(١) (١/ ٣٣).

(٢) (١/ ٤٧).

(٣) انظر: (١/ ٨٤).

(٤) (٣/ ٤٥٧).

(٥) انظر: (٢/ ٤٥٠).

المبحث العاشر

الاعْتِصَـــامُ

(١) حَقِيقَةُ الاعْتِصَام

❁ الِاعْتِصَامُ: مِن الْعِصْمَةِ، وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِمَا يَعْصِمُكَ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ الْمَحْذُورِ وَالْمَخُوفِ(١).

❁ الِاعْتِصَامُ بِاللهِ: هُوَ التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالِامْتِنَاعُ بِهِ، وَالِاحْتِمَاءُ بِهِ، وَسُؤَالُهُ: أَنْ يَحْمِيَ الْعَبْدَ وَيَمْنَعَهُ، وَيَعْصِمَهُ، وَيَدْفَعَ عَنْهُ(٢).

❁ **حَقِيقَةُ الِاعْتِصَامِ بِاللهِ وَبِحَبْلِهِ:** هو الْحُبُّ الْكَامِلُ، الْمُمْتَزِجُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالْقُرْبِ، بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَلْبِ إِلَّا الْمَحْبُوبُ وَمُرَادُهُ(٣).

(٢) أَنْوَاعُ الِاعْتِصَام

❁ الِاعْتِصَامُ بِاللهِ نَوْعَانِ: **الأول:** اعْتِصَامُ تَوَكُّلٍ وَاسْتِعَانَةٍ وَتَفْوِيضٍ، وَاسْتِسْلَام. **وَالثَّانِي:** اعْتِصَامٌ بِوَحْيِهِ: وَهُوَ تَحْكِيمُهُ دُونَ آرَاءِ الرِّجَالِ وَمَقَايِيسِهِمْ، وَمَعْقُولَاتِهِمْ، وَأَذْوَاقِهِمْ(٤).

❁ الدِّينُ كُلُّهُ فِي الِاعْتِصَامِ بِاللهِ وَبِحَبْلِهِ: عِلْمًا، وَعَمَلًا، وَإِخْلَاصًا وَاسْتِعَانَةً، وَمُتَابَعَةً، وَاسْتِمْرَارًا عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ(٥).

---

(١) انظر: (١/ ٤٥٧-٤٥٨).

(٢) انظر: (١/ ٤٥٩-٤٦٠).

(٣) انظر: (١/ ٤٦٦).

(٤) انظر: (٣/ ٣٠٣).

(٥) انظر: (٣/ ٣٠٣).

(٣) فَوَائِدُ الاِعْتِصَام

❁ مَنْ كَمُلَتْ عِصْمَتُهُ بِاللهِ؛ لَمْ يَخْذُلْهُ أَبَدًا! ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨][1].

❁ مَنْ اعْتَصَمَ بِاللهِ: تَوَلَّاهُ اللهُ، وَنَصَرَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَشَيْطَانِه.

وَكَمَالُ النُّصْرَةِ عَلَىٰ الْعَدُوِّ؛ بِحَسَبِ كَمَالِ الاِعْتِصَامِ بِاللهِ![2]

❁ **مَدَارُ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ**: عَلَىٰ الاِعْتِصَامِ بِاللهِ، وَالاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهَاتَيْنِ الْعِصْمَتَيْنِ![3]

❁ **السَّائِرُ إِلَىٰ اللهِ**، مُحْتَاجٌ إِلَىٰ هِدَايَةِ الطَّرِيقِ، وَالسَّلَامَةِ فِيهَا؛ فَالاِعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ: يُوجِبُ لَهُ الْهِدَايَةَ. وَالاِعْتِصَامُ بِاللهِ: يُوجِبُ لَهُ الْقُوَّةَ وَالْعُدَّةَ الَّتِي تَحْصُلُ بها السَّلَامَةُ[4].

❁ يَدْفَعُ اللهُ عَنْ عَبْدِهِ إِذَا اعْتَصَمَ بِهِ: كُلَّ سَبَبٍ يُفْضِي بِهِ إِلَىٰ الْعَطَبِ؛ فَيَدْفَعُ عَنْهُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَكَيْدَ عَدُوِّهِ، وَشَرَّ نَفْسِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ أَسْبَابَ الشَّرِّ بَعْدَ انْعِقَادِهَا[5].

❁ بِحَسَبِ قُوَّةِ الاِعْتِصَامِ بِهِ وَتَمَكُّنِهِ؛ يَدْفَعُ اللهُ عَنِ العَبْدِ أَسْبَابَ الْعَطَبِ[6].

---

(١) انظر: (١/ ١٩٨).

(٢) انظر: (١/ ١٩٨).

(٣) (١/ ٤٥٨).

(٤) انظر: (١/ ٤٥٨).

(٥) انظر: (١/ ٤٦٠).

(٦) انظر: (١/ ٤٦٠).

(٤) الاِعْتِصَامُ بِحَبْلِ الله

❋ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّهَا حَبْلُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ؛ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ**)[١].

❋ الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ: يَحْمِي مِنَ الْبِدْعَةِ، وَآفَاتِ الْعَمَلِ[٢].

---

(١) (١/ ٤٥٨).

(٢) (١/ ٤٥٩).

المبحث الحادي عشر
التَّـــوَكُّـــلُ

(١) حَقِيْقَةُ التَّوْكُلِ

* **التَّوَكُّلُ**: هو الْإِيمَانُ بِتَفَرُّدِ اللهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالضُّرِّ وَالنَّفْعِ، فلَا يَكُونُ أَمْرٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ (شَاءَهُ النَّاسُ أَمْ أَبَوْهُ)؛ فَيُوجِبُ هَذَا: الاعْتِمَادَ عَلَيْهِ، والثِّقَةَ بِهِ[١].

* **التَّوَكُّلُ**: مَحْضُ الِاعْتِمَادِ وَالثِّقَةِ إِلَىٰ مَنْ لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَعِلْمُ الْعَبْدِ بِتَفَرُّدِ الْحَقِّ وَحْدَهُ بِمِلْكِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وأَنَّهَا بِيَدِهِ وَحْدَهُ، لَا بِيَدِ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مُشَارِكٌ فِي ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ الْكَوْنِ![٢].

* **مَقْصُودُ التَّوَكُّلِ**: تَسْلِيمُ الْأَمْرِ إِلَىٰ مَنْ هُوَ لَهُ، وَعَزْلُ نَفْسِهِ عَنْ مُنَازَعَاتِ مَالِكِهِ، وَاعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ، وَخُرُوجُهُ عَنْ تَصَرُّفِهِ بِنَفْسِهِ، إِلَىٰ تَصَرُّفِهِ بِرَبِّهِ[٣].

* **التَّفْوِيضُ** قَبْلَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ، **وَالرِّضَا** بَعْدَهُ؛ هُوَ ثَمَرَةُ التَّوَكُّلِ[٤].

* **حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ**: الْقِيَامُ بِالْأَسْبَابِ، وَالِاعْتِمَادُ بِالْقَلْبِ عَلَىٰ الْمُسَبِّبِ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهَا بِيَدِهِ[٥].

* **مَنْزِلَةُ التَّوَكُّلِ**: أَوْسَعُ الْمَنَازِلِ وَأَجْمَعُهَا، وَلَا تَزَالُ مَعْمُورَةً بِالنَّازِلِينَ؛ لِسَعَةِ مُتَعَلَّقِ التَّوَكُّلِ، وَكَثْرَةِ حَوَائِجِ الْعَالَمِينَ، وَوُقُوعِهِ مِن الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، وَالْأَبْرَارِ

---

(١) انظر: (١/ ١٠٣).

(٢) انظر: (٢/ ١٣٦).

(٣) انظر: (٢/ ١٢٨).

(٤) انظر: (٢/ ١٢٣).

(٥) (٣/ ٤٦٢).

وَالْفُجَّارِ، وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ! [١].

* **التَّوَكُّلُ**: اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَىٰ اللهِ، وَاسْتِنَادُهُ إِلَيْهِ، وَسُكُونُهُ إِلَيْهِ؛ بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ فِيهِ سُكُونٌ إِلَىٰ الأسباب[٢].

* **حَالُ الْمُتَوَكِّلِ**: كَحَالِ الطِّفْلِ الرَّضِيعِ فِي سُكُوْنِهِ وَطُمَأْنِيْنَتِهِ بِثَدْيِ أُمِّهِ: لَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ، وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ الْتِفَاتٌ إِلَىٰ غَيْرِهِ![٣].

* قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (**الْمُتَوَكِّلُ: كَالطِّفْلِ، لَا يَعْرِفُ شَيْئًا يَأْوِي إِلَيْهِ إِلَّا ثَدْيَ أُمِّهِ؛ كَذَلِكَ الْمُتَوَكِّلُ، لَا يَأْوِي إِلَّا إِلَىٰ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ**)[٤].

* **التَّفْوِيضُ**: هُوَ رُوحُ التَّوَكُّلِ وَلُبُّهُ وَحَقِيقَتُهُ، وَهُوَ إِلْقَاءُ أُمُورِهِ كُلِّهَا إِلَىٰ اللهِ، وَإِنْزَالُهَا بِهِ: كَتَفْوِيضِ الِابْنِ الْعَاجِزِ الضَّعِيفِ، كُلَّ أُمُورِهِ إِلَىٰ أَبِيهِ الْعَالِمِ بِشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ![٥].

(٢) أَنْوَاعُ التَّوَكُّلِ

* **أَفْضَلُ التَّوَكُّلِ**: التَّوَكُّلُ فِي الْوَاجِبِ، **وَأَنْفَعُهُ**: التَّوَكُّلُ فِي التَّأْثِيرِ فِي مَصْلَحَةٍ دِينِيَّةٍ، أَوْ دَفْعِ مَفْسَدَةٍ دِينِيَّةٍ؛ وَهُوَ تَوَكُّلُ الْأَنْبِيَاءِ وَوَرَثَتِهِمْ فِي إِقَامَةِ دِينِ اللهِ[٦].

* النَّاسُ فِي التَّوَكُّلِ؛ عَلَىٰ حَسَبِ هِمَمِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ: فَمِنْ مُتَوَكِّلٍ عَلَىٰ اللهِ فِي حُصُولِ الْمُلْكِ، وَمِنْ مُتَوَكِّلٍ فِي حُصُولِ رَغِيفٍ![٧].

---

(١) انظر: (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: (٢/ ١٢١).

(٣) انظر: (٢/ ١٢١).

(٤) (٢/ ١٢١).

(٥) انظر: (٢/ ١٢٢).

(٦) انظر: (٢/ ١١٤).

(٧) انظر: (٢/ ١١٤).

❁ **أَوْلِيَاءُ اللهِ**: يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ فِي الْإِيمَانِ، وَنُصْرَةِ دِينِهِ، **وَغَيْرُهُمْ** يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ الْإِثْمِ![1]

❁ **هِمَمُ الصحابةِ فِي التَّوَكُّلِ**؛ أَعْلَىٰ مِنْ هِمَمِ مَنْ بَعْدَهُمْ؛ فَإِنَّ تَوَكُّلَهُمْ كَانَ فِي فَتْحِ الْقُلُوبِ؛ فَهَبَّتْ نَسَمَاتُ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ قُلُوبِ أَتْبَاعِهِمْ؛ فَمَلَأَتْهَا يَقِينًا وَإِيمَانًا[2].

❁ أَكْمَلُ الْمُتَوَكِّلِينَ بَعْدَ الصحابة: هُوَ مَنِ اشْتَمَّ رَائِحَةَ تَوَكُّلِهِمْ مِنْ مَسِيرَةٍ بَعِيدَةٍ، أَوْ لَحِقَ أَثَرًا مِنْ غُبَارِهِمْ![3]

(٣) فَوَائِدُ التَّوَكُّلِ

❁ قَوْلُه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ [هود:٥٦]: أَيْ هُوَ رَبِّي: فَلَا يُسْلِمُنِي وَلَا يُضَيِّعُنِي، وَهُوَ رَبُّكُمْ: فَلَا يُسَلِّطُكُمْ عَلَيَّ، وَلَا يُمَكِّنُكُم مِنِّي![4]

❁ مَنْ صَدَقَ تَوَكُّلُهُ عَلَىٰ اللهِ فِي حُصُولِ شَيْءٍ؛ نَالَهُ: فَإِنْ كَانَ مَحْبُوبًا لَهُ: كَانَتْ لَهُ الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ، وَإِنْ كَانَ مَسْخُوطًا: كَانَ مَضَرَّةً عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا: حَصَلَتْ لَهُ مَصْلَحَةُ التَّوَكُّلِ[5].

❁ **التَّوَكُّلُ**: مِنْ أَقْوَىٰ الْأَسْبَابِ فِي حُصُولِ الْمُتَوَكَّلِ فِيهِ؛ فَهُوَ كَالدُّعَاءِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ سَبَبًا فِي حُصُولِ الْمَدْعُوِّ بِهِ[6].

❁ **الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ**: يَهْرُبُ مِنْ ضِيقِ صَدْرِهِ، إِلَىٰ سَعَةِ فَضَاءِ الثِّقَةِ بِاللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ

---

(١) انظر: (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: (٢/ ١٣٥).

(٣) انظر: (٢/ ١٣٥).

(٤) (١/ ٤٤).

(٥) انظر: (٢/ ١١٤).

(٦) (٢/ ١١٩).

لَا أَشْرَحَ لِلصَّدْرِ، وَلَا أَوْسَعَ لَهُ -بَعْدَ الْإِيمَانِ- مِنْ ثِقَتِهِ بِاللهِ![١]

* لَا يَعْتَمِدُ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نِيَّتِهِ وَعَزْمِهِ، وَيَثِقُ بِهَا؛ فَإِنَّ نِيَّتَهُ وَعَزْمَهُ بِيَدِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا بِيَدِهِ، وَهِيَ إِلَىٰ اللهِ لَا إِلَيْهِ؛ فَلْتَكُنْ ثِقَتُهُ بِمَنْ هِيَ فِي يَدِهِ حَقًّا، لَا بِمَنْ هِيَ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ حُكْمًا![٢]

(٤) أَسْبَابُ التَّوَكُّلِ

* سُئِلَ يَحْيَىٰ بْنُ مُعَاذٍ: (**مَتَىٰ يَكُونُ الرَّجُلُ مُتَوَكِّلًا؟**) فَقَالَ: (**إِذَا رَضِيَ بِاللهِ وَكِيلًا!**)[٣].

* التَّوَكُّلُ يَنْشَأُ مِنْ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ: ١- **عِلْمِ العَبْدِ** بِفَقْرِهِ، وَعَدَمِ مِلْكِهِ شَيْئًا الْبَتَّةَ ٢- **وَعِلْمِ العَبْدِ** بِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللهِ وَإِلَيْهِ![٤]

* مَنْ قَسَمَ اللهُ لَهُ بِنَصِيبٍ مِن الرِّزْقِ؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ حُصُولِهِ، وَمَنْ لَمْ يَقْسِمْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَيْهِ الْبَتَّةَ؛ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْهَا: فَسَوْفَ يَأْتِيهِ عَلَىٰ ضَعْفِهِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهَا: فَلَنْ يَنَالَهُ بِقُوَّتِهِ![٥]

* **بِحَسَبِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ؛** يَصِحُّ لَهُ مَقَامُ التَّوَكُّلِ، وَكُلَّمَا كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ؛ كَانَ تَوَكُّلُهُ عَلَيْهِ أَقْوَىٰ[٦].

---

(١) انظر: (١/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٢) انظر: (٢/ ١٤٠-١٤١).

(٣) (٢/ ١١٥).

(٤) انظر: (٢/ ١٢٨).

(٥) انظر: (٢/ ١٤٣).

(٦) (٢/ ١٢٥).

❁ كُلُّ مَنْ كَانَ بِاللهِ وَصِفَاتِهِ **أَعْلَمَ وَأَعْرَفَ**؛ كَانَ تَوَكُّلُهُ أَصَحَّ وَأَقْوَىٰ[1].

❁ لَا يَسْتَقِيمُ تَوَكُّلُ الْعَبْدِ؛ حَتَّىٰ يَصِحَّ لَهُ تَوْحِيدُهُ، بَلْ **حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ**: تَوْحِيدُ الْقَلْبِ؛ فَمَا دَامَتْ فِيهِ عَلَائِقُ الشِّرْكِ؛ فَتَوَكُّلُهُ مَعْلُولٌ[2].

❁ عَلَىٰ قَدْرِ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ: تَكُونُ صِحَّةُ التَّوَكُّلِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ مَتَىٰ الْتَفَتَ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ: أَخَذَ ذَلِكَ الِالْتِفَاتُ شُعْبَةً مِنْ شُعَبِ قَلْبِهِ؛ فَنَقَصَ مِنْ تَوَكُّلِهِ عَلَىٰ اللهِ، بِقَدْرِ ذَهَابِ تِلْكَ الشُّعْبَةِ![3]

(٥) أَهَمِّيَّةُ التَّوَكُّلِ

❁ لَوْ تَوَكَّلَ الْعَبْدُ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ فِي إِزَالَةِ جَبَلٍ عَنْ مَكَانِهِ، وَكَانَ مَأْمُورًا بِإِزَالَتِهِ لَأَزَالَهُ![4]

❁ الدِّينُ كُلُّهُ فِي هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ: ١-أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ عَلَىٰ الْحَقِّ، ٢-وَأَنْ يَكُونَ مُتَوَكِّلًا عَلَىٰ اللهِ، وَاثِقًا بِهِ! ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩][5].

❁ **آفَةُ الْعَبْدِ**: ١- إِمَّا مِنْ عَدَمِ الْهِدَايَةِ ٢- وَإِمَّا مِنْ عَدَمِ التَّوَكُّلِ؛ فَإِذَا جَمَعَ التَّوَكُّلَ إِلَىٰ الْهِدَايَةِ؛ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ كُلَّهُ! ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم:١٢][6].

❁ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ عَمَلٍ جَزَاءً مَعْلُومًا، إلا **التَّوَكُّل** فَقَدْ جَعَلَ اللهُ نَفْسَهُ جَزَاءَ

(١) (٢/ ١١٨).

(٢) (٢/ ١٢٠).

(٣) (٢/ ١٢٠).

(٤) (١/ ١٠٣).

(٥) انظر: (٢/ ١٢٧).

(٦) انظر: (٢/ ١٢٧).

الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ! ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ التَّوَكُّلَ أَقْوَىٰ السُّبُلِ عِنْدَهُ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ(١).

(٦) التَّوَكُّلُ وَفِعْلُ الأَسْبَاب

❋ **الْمُتَوَكِّلُ**: يُجَرِّدُ عَزْمَهُ لِلْقِيَامِ بِالأَسْبَاب: حِرْصًا وَاجْتِهَادًا، وَيُفْرِغُ قَلْبَهُ مِن الاِعْتِمَادِ عَلَيْهَا، وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا: تَجْرِيدًا لِلتَّوَكُّلِ، وَاعْتِمَادًا عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ(٢).

❋ لَا تَقُومُ عُبُودِيَّةُ الْأَسْبَابِ إِلَّا عَلَىٰ **سَاقِ التَّوَكُّلِ**، وَلَا يَقُومُ سَاقُ التَّوَكُّلِ إِلَّا عَلَىٰ **قَدَمِ الْعُبُودِيَّةِ**(٣).

❋ الْمُوَحِّدُ الْمُتَوَكِّلُ: لَا يَطْمَئِنُّ إِلَىٰ **الْأَسْبَابِ** وَلَا يَرْجُوهَا وَلَا يَخَافُهَا، فَلَا يَرْكَنُ إِلَيْهَا، كما أَنَّهُ لَا يُسْقِطُهَا وَلَا يُهْمِلُهَا وَيُلْغِيهَا، بَلْ يَكُونُ قَائِمًا بِهَا، مُلْتَفِتًا إِلَيْهَا، نَاظِرًا إِلَىٰ مُسَبِّبِهَا سُبْحَانَهُ وَمُجْرِيهَا(٤).

❋ لَا يَصِحُّ التَّوَكُّلُ إِلَّا مَعَ **الْقِيَامِ بِالأسباب**، وَإِلَّا فَهُوَ بَطَالَةٌ وَتَوَكُّلٌ فَاسِدٌ!(٥)

(٧) الِالْتِفَاتُ إِلَىٰ الْأَسْبَاب

❋ (الِالْتِفَاتُ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ): شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ. (وَمَحْوُ الْأَسْبَابِ): قَدْحٌ فِي الْعَقْلِ. (وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَسْبَابِ بِالْكُلِّيَّةِ): قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ. **وَالتَّوَكُّلُ**: يَلْتَئِمُ مِنْ مَعْنَىٰ التَّوْحِيدِ وَالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ(٦).

---

(١) (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) انظر: (٣/ ٤٦٤).

(٣) (٢/ ١٢٠).

(٤) انظر: (٣/ ٤٦٣).

(٥) انظر: (٢/ ١١٧).

(٦) انظر: (٣/ ٤٦٢).

* مَنْ الْتَفَتَ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ: الْتِفَاتَ اعْتِمَادٍ عَلَيْهَا، وَاطْمِئْنَانٍ إِلَيْهَا، وَاعْتَقَدَ أَنَّهَا بِذَاتِهَا مُحَصِّلَةٌ لِلْمَقْصُودِ؛ فَهَذَا الِالْتِفَاتُ شِرْكٌ[١].

* مَنْ الْتَفَتَ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ: الْتِفَاتَ امْتِثَالٍ وَقِيَامٍ بِهَا، وَأَدَاءٍ لِحَقِّ الْعُبُودِيَّةِ فِيهَا، وَإِنْزَالِهَا مَنَازِلَهَا: فَهَذَا الِالْتِفَاتُ عُبُودِيَّةٌ وَتَوْحِيدٌ، إِذْ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَىٰ الْمُسَبِّبِ[٢].

* السَّبَبُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ، وَلَا يَقْضِي وَلَا يَحْكُمُ، وَلَا يَحْصُلُ لِلْعَبْدِ؛ مَا لَمْ تَسْبِقْ لَهُ بِهِ الْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ[٣].

(٨) التَّوَكُّلُ وَتَرْكُ الْأَسْبَابِ

* التَّوَكُّلُ: لَا يَصِحُّ إِلَّا بِرَفْضِ الْأَسْبَابِ عَنِ الْقَلْبِ، لَا عَنِ الْجَوَارِحِ؛ فَيَكُونُ مُنْقَطِعًا مِنْهَا، مُتَّصِلًا بِهَا![٤].

* (التَّجَرُّدُ مِن الْأَسْبَابِ جُمْلَةً): مُمْتَنِعٌ عَقْلًا، وَشَرْعًا، وَحِسًّا[٥].

* التَّوَكُّلُ: يَخْلَعُ السُّكُونَ إِلَىٰ الأسبابِ مِنْ قَلْبِهِ، وَيُلْبِسُهُ السُّكُونَ إِلَىٰ مُسَبِّبِهَا[٦].

* مَنْ أَنْكَرَ الْأَسْبَابَ: لَمْ يَسْتَقِمْ مِنْهُ التَّوَكُّلُ، وَلَكِنْ مِنْ تَمَامِ التَّوَكُّلِ: عَدَمُ الرُّكُونِ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ، وَقَطْعُ عَلَاقَةِ الْقَلْبِ بِهَا؛ فَيَكُونُ حَالُ قَلْبِهِ: قِيَامَهُ بِاللهِ لَا بِهَا، وَحَالُ بَدَنِهِ: قِيَامَهُ بِهَا[٧].

---

(١) انظر: (٣/ ٤٦٢).

(٢) انظر: (٣/ ٤٦٢).

(٣) (٣/ ٤٦٤).

(٤) انظر: (٢/ ١٢٠).

(٥) (٢/ ١٣٣).

(٦) انظر: (٢/ ١٢١).

(٧) (٢/ ١٢٠).

❁ التَّوَكُّلُ: (**هُوَ قَطْعُ الأسبابِ**): أَيْ قَطْعُهَا مِنْ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهَا، لَا مِنْ مُلَابَسَةِ الْجَوَارِحِ لَهَا[١]. وقيل: (**التَّوَكُّلُ: قَطْعُ عَلائِقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِ اللهِ**)[٢].

❁ التَّوَكُّلُ مِنْ **أَصْعَبِ المَنَازِلِ**؛ لِأَنَّ الْعَامَّةَ لَمْ يَخْرُجُوا عَنْ مَأْلُوفَاتِهِم، فَهُمْ فِي رِقِّ الْأَسْبَابِ؛ فَيَصْعُبُ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ عَنْهَا، وَخُلُوُّ الْقَلْبِ مِنْهَا، وَالِاشْتِغَالُ بِمُلَاحَظَةِ الْمُسَبِّبِ وَحْدَهُ![٣].

(٩) قَوَادِحُ التَّوَكُّلِ

❁ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (**لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَجْعَلُ تَوَكُّلَهُ عَجْزًا، وَعَجْزَهُ تَوَكُّلًا!**)[٤].

❁ أَكْثَرُ الْمُتَوَكِّلِينَ: سُكُونُهُمْ وَطُمَأْنِينَتُهُمْ إِلَىٰ السَّبَبِ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ إِلَىٰ اللهِ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَتَىٰ انْقَطَعَ السَّبَبُ؛ حَضَرَهُ هَمُّهُ وَخَوْفُهُ؛ فَعُلِمَ أَنَّ طُمَأْنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ لَمْ يَكُنْ إِلَىٰ اللهِ![٥].

❁ **أَصْحَابُ المعاصي** لَا يَنَالُونَهَا غَالِبًا إِلَّا بِتَوَكُّلِهِم، بَلْ قَدْ يَكُونُ تَوَكُّلُهُمْ أَقْوَىٰ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ **أَصْحَابِ الطَّاعَاتِ**؛ وَلِهَذَا يُلْقُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَتَالِفِ وَالْمَهَالِكِ؛ مُعْتَمِدِينَ عَلَىٰ اللهِ![٦].

---

(١) انظر: (٢/ ١١٦).

(٢) (٢/ ١١٧).

(٣) انظر: (٢/ ١٢٦).

(٤) (٣/ ٤٤٥).

(٥) انظر: (٢/ ١٢٤).

(٦) انظر: (٢/ ١١٤).

المبحث الثاني عشر
الاِسْتِعَانَةُ

(١) حَقِيقَةُ الاِسْتِعَانَة

❁ الاِسْتِعَانَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: ١-الثِّقَةَ بِاللهِ، ٢-وَالاِعْتِمَادَ عَلَيْهِ[١].

(٢) أَهَمِّيَّةُ الاِسْتِعَانَة

❁ **أَنْفَعُ الدُّعَاءِ**: طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَىٰ مَرْضَاةِ اللهِ. **وَأَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ**: إِسْعَافُهُ بِهَذَا الْمَطْلُوبِ. وَجَمِيعُ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ مَدَارُهَا عَلَىٰ هَذَا[٢].

❁ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (**تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ؛ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَىٰ مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥])[٣].

(٣) قَوَادِحُ الاِسْتِعَانَة

❁ قَالَ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**». فَأَمَرَ بِالْحِرْصِ عَلَىٰ الْأَسْبَابِ، وَالاِسْتِعَانَةِ بِالْمُسَبِّبِ، وَنَهَىٰ عَنِ الْعَجْزِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: تَقْصِيرٌ فِي الْأَسْبَابِ، وَتَقْصِيرٌ فِي الاِسْتِعَانَةِ بِاللهِ[٤].

❁ **كُلُّ** مَنِ اسْتَعَانَ بِأَمْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ **عَوْنًا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ**؛ كَانَ ذلك الأَمْرُ مُبْعِدًا لَهُ عَنْ مَرْضَاتِهِ، قَاطِعًا لَهُ عَنْهُ وَلَا بُدَّ![٥].

---

(١) (١/ ٩٦).

(٢) انظر: (١/ ١٠٠).

(٣) (١/ ١٠٠).

(٤) انظر: (٣/ ٤٦٤).

(٥) وَأَبْغَض خَلْقِ اللهِ: عَدُوُّهُ إِبْلِيسُ! وَمَعَ هَذَا؛ فَقَدَ سَأَلَهُ حَاجَةً فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَمَتَّعَهُ بِهَا، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ تَكُنْ عَوْنًا لَهُ عَلَىٰ مَرْضَاتِهِ؛ كَانَتْ زِيَادَةً لَهُ فِي شِقْوَتِهِ، وَبُعْدِهِ عَنِ اللهِ، وَطَرْدِهِ عَنْهُ! انظر: (١/ ١٠٠).

المبحث الثالث عشر

الاِسْتِقَامَةُ

(١) حَقِيْقَةُ الاِسْتِقَامَة

* الِاسْتِقَامَةُ: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، آخِذَةٌ بِمَجَامِعِ الدِّينِ، وَهِيَ الْقِيَامُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الصِّدْقِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ[١].

* الِاسْتِقَامَةُ تَقُوْمُ علىٰ أَصْلَيْن: ١-الِاقْتِصَادِ فِي الْأَعْمَالِ، ٢-وَالِاعْتِصَامِ بِالسُّنَّةِ. والخُرُوْجُ عَنْ هَذَيْنِ الأَصْلَيْن: خُرُوجٌ إِلَىٰ التَّفْرِيطِ وَالْإِضَاعَةِ، أو إِلَىٰ الْمُجَاوَزَةِ وَالْإِسْرَافِ![٢].

* كُنْ صَاحِبَ اسْتِقَامَة، لَا طَالِبَ كَرَامَةٍ؛ فَإِنَّ نَفْسَكَ مُتَحَرِّكَةٌ فِي طَلَبِ الْكَرَامَةِ، وَرَبُّكَ يُطَالِبُكَ بِالِاسْتِقَامَةِ[٣].

(٢) أَنْوَاعُ الاِسْتِقَامَة

* الْمَطْلُوبُ مِن الْعَبْدِ: الِاسْتِقَامَةُ (وَهِيَ السَّدَادُ)؛ فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا: فَالْمُقَارَبَةُ، فَإِنْ نَزَلَ عَنْهَا: فَالتَّفْرِيطُ وَالْإِضَاعَةُ![٤].

* الِاسْتِقَامَةُ: تَتَعَلَّقُ بِالْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْأَحْوَالِ، وَالنِّيَّاتِ. فَالِاسْتِقَامَةُ فِيهَا: وُقُوعُهَا لِلهِ، وَبِاللهِ، وَعَلَىٰ أَمْرِ اللهِ[٥].

(١) (٢/ ١٠٦).

(٢) انظر: (٢/ ١٠٨).

(٣) انظر: (٢/ ١٠٦).

(٤) (٢/ ١٠٥).

(٥) (٢/ ١٠٦).

(٣) أَسْبَابُ الِاسْتِقَامَة

❁ مَنِ اسْتَقَامَ علىٰ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم؛ **فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَىٰ قَدْحِ الْجُهَّالِ فِيه،** وَتَنْفِيرِ النَّاسِ عَنْهُ، فَهُوَ غَرِيبٌ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، لَا يَجِدُ مِن الْعَامَّةِ مُسَاعِدًا وَلَا مُعِينًا[١].

❁ لَا يُتَصَوَّرُ حُصُولُ الِاسْتِقَامَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ، إِلَّا بَعْدَ **الثِّقَةِ بِصِحَّةِ مَا مَعَهُ مِن الْعِلْمِ،** وَأَنَّهُ مُقْتَبَسٌ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ فَلَا ثِقَةَ لَهُ وَلَا اسْتِقَامَةَ[٢].

(٤) فَوَائِدُ الِاسْتِقَامَة

❁ السَّعِيدُ كُلُّ السَّعِيدِ، وَالْمُوَفَّقُ كُلُّ الْمُوَفَّقِ؛ **مَنْ لَمْ يَلْتَفِتْ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَىٰ** يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَلَا اتَّخَذَ سِوَاهُ رَبًّا وَلَا وَكِيلًا، وَلَا حَبِيبًا وَلَا مُدَبِّرًا، وَلَا حَكَمًا وَلَا نَاصِرًا وَلَا رَازِقًا[٣].

❁ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّة: **(أَعْظَمُ الْكَرَامَةِ: لُزُومُ الِاسْتِقَامَةِ!)**[٤].

❁ مَا أَكْرَمَ اللهُ بِكَرَامَةٍ، أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَكْشِفَ لِلسَّالِكِ **عَنْ طَرِيقِ سُلُوكِهِ:** لِيَسْتَقِيمَ عَلَيْهَا، **وَعَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ:** لِيُصْلِحَهَا، **وَعَنْ ذُنُوبِهِ:** لِيَتُوبَ مِنْهَا[٥].

❁ **كُلُّ الْخَيْرِ فِي اجْتِهَادٍ بِاقْتِصَادٍ،** وَإِخْلَاصٍ مَقْرُونٍ بِالِاتِّبَاعِ؛ كَمَا قَالَ بَعْض

---

(١) انظر: (٣/ ١٨٩).

(٢) (٢/ ٣٢٠).

(٣) (٣/ ٣٥٤-٣٥٥).

(٤) (٢/ ١٠٦).

(٥) انظر: (٣/ ٢١٦).

الصَّحَابَةِ: (اقْتِصَادٌ فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ؛ خَيْرٌ مِن اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ!)[١].

(٥) الخُرُوْجُ عَن الإِسْتِقَامَة

❋ مَا أَمَرَ اللهُ بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْعَتَانِ: إِمَّا إِلَىٰ تَفْرِيطٍ وَإِضَاعَةٍ، وَإِمَّا إِلَىٰ إِفْرَاطٍ وَغُلُوٍّ؛ وَلَا يُبَالِي بِأَيِّهِمَا ظَفَرَ. وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ: بَيْنَ الْجَافِي عَنْهُ، وَالْغَالِي فِيه[٢].

❋ الشَّيْطَانُ يَشُمُّ قَلْبَ الْعَبْد؛ فَإِنْ رَأَىٰ فِيهِ إِعْرَاضًا: أَخْرَجَهُ عَنِ الِاعْتِصَامِ بِالسُّنَّة، وَإِنْ رَأَىٰ فِيهِ حِرْصًا وَشِدَّة: أَمَرَهُ بِالِاجْتِهَادِ؛ حَتَّىٰ يُخْرِجَهُ عَنِ الِاقْتِصَادِ فِي السُّنَّة[٣].

❋ كَمَا أَنَّ الْبَدَنَ إِذَا خَلَا عَنِ الرُّوحِ؛ فَهُوَ مَيِّتٌ، فَكَذَلِكَ الْحَالُ إِذَا خَلَا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ؛ فَهُوَ فَاسِدٌ![٤].

---

(١) (٢/ ١٠٨).

(٢) (٢/ ١٠٨، ٤٦٤).

(٣) انظر: (٢/ ١٠٨).

(٤) (٢/ ١٠٧).

المبحث الرابع عشر
التَّــقْـوَى

(١) حَقِيقَةُ التَّقْوَىٰ

* قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ -فِي تعريفِ التَّقْوَىٰ-: (**هِيَ الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، عَلَىٰ نُورٍ مِن اللهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللهِ. وَتَرْكُ مَعْصِيَةِ اللهِ، عَلَىٰ نُورٍ مِن اللهِ، تَخَافُ عِقَابَ اللهِ**)[١].

* التَّقْوَىٰ: اتِّقَاءُ تَرْكِ الأَمْرِ، واتِّقَاءُ فِعْلِ النَّهْي، وَبِتَحْقِيقِهَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ مِن الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ[٢].

(٢) الْمُفَاضَلَةُ بِالتَّقْوَىٰ

* التَّفْضِيلُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّقْوَىٰ، وَحَقَائِقِ الإِيمَانِ، لَا بِفَقْرٍ وَلَا غِنًىٰ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وَلَمْ يَقُلْ: أَفْقَرُكُمْ وَلَا أَغْنَاكُمْ[٣].

* يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (**لَا يَقَعُ التَّفَاضُلُ بِالْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، بَلْ بِالتَّقْوَىٰ؛ فَإِنِ اسْتَوَيَا فِي التَّقْوَىٰ: اسْتَوَيَا فِي الدَّرَجَةِ**)[٤].

---

(١) (١/ ٤٥٩).

(٢) انظر: (١/ ٣٦٩).

(٣) (٢/ ٤١٣).

(٤) (٢/ ٤١٣).

المبحث الخامس عشر

العُبُـــوْدِيَّةُ

(١) حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّة

* **حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ**: الْحُبُّ التَّامُّ، مَعَ الذُّلِّ التَّامِّ، وَالْخُضُوعِ لِلْمَحْبُوبِ. تَقُولُ الْعَرَبُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ، أَيْ قَدْ ذَلَّلَتْهُ الْأَقْدَامُ وَسَهَّلَتْه[١].

* **حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ والإِلَهِيَّةِ**: هِيَ كَمَالُ الْمَحَبَّةِ لله، الْمَقْرُونُ بِغَايَةِ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ، وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ[٢].

* الْعِبَادَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: غَايَةُ الْحُبِّ، بِغَايَةِ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ[٣].

* **حَقِيْقَةُ الْعُبُودِيَّةِ**: أَنْ يَتَنَقَّلَ فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ عُبُودِيَّةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ؛ فَبَيْنَمَا تَرَاهُ مُصَلِّيًا؛ إِذْ رَأَيْتَهُ ذَاكِرًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُغِيثًا لِلْمَلْهُوفِ؛ فَيَضْرِبُ فِي كُلِّ غَنِيمَةٍ بِسَهْمٍ[٤].

* الْعَبْدُ: هُوَ الَّذِي قَدْ مَلَكَ الْمَحْبُوبُ رِقَّهُ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ نَفْسِهِ الْبَتَّةَ، بَلْ كُلُّهُ عَبْدٌ لِمَحْبُوبِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَهَذَا هُوَ **حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ**؛ وَمَنْ كَمَّلَ ذَلِكَ: فَقَدْ كَمَّلَ مَرْتَبَتَهَا[٥].

(٢) أُصُوْلُ العُبُوْدِيَّة

* (الْحُبُّ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ): هِيَ قُطْبُ رَحَىٰ الْعُبُودِيَّةِ، وَعَلَيْهَا دَارَتْ رَحَىٰ الْأَعْمَالِ[٦].

---

(١) (٣/ ٣٢).
(٢) انظر: (١/ ١١٢).
(٣) انظر: (١/ ٩٥).
(٤) انظر: (٣/ ٣٢٠).
(٥) (٣/ ٣١).
(٦) انظر: (٣/ ١٢٨).

* اللهُ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ **تَكْمِيلَ مَرَاتِبِ عُبُودِيَّتِهِ**: مِنَ الذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ، وَالتَّوَكُّلِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَالرِّضَا وَالْإِنَابَةِ، وَغَيْرِهَا[١].

* **الْعُبُودِيَّةُ**: تَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ فِي كَمَالِ الذُّلِّ، وَكَمَالَ الِانْقِيَادِ لِمَرَاضِي الْمَحْبُوبِ وَأَوَامِرِهِ؛ فَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا غَايَةٌ[٢].

(٣) فَوَائِدُ العُبُوْدِيَّة

* مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ؛ فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ الْعُبُودِيَّةِ![٣].

* لَا نِسْبَةَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ: إِلَّا مَحْضُ الْعُبُودِيَّةِ مِنَ الْعَبْدِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ مِنَ الرَّبِّ. وَمَعْقِدُ نِسْبَةِ الْعُبُودِيَّةِ: هُوَ **الْمَحَبَّةُ**؛ فَالْعُبُودِيَّةُ مَعْقُودَةٌ بِهَا، فَمَتَىٰ انْحَلَّتِ الْمَحَبَّةُ: انْحَلَّتِ الْعُبُودِيَّةُ[٤].

* مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ **حَلَاوَةِ الْعِبَادَةِ**، لَا يَكَادُ يَشْبَعُ مِنْهَا، وَيَجِدُ فِيهَا مِنَ اللَّذَّةِ وَالرَّاحَةِ أَضْعَافَ مَا كَانَ يَجِدُهُ فِي لَذَّةِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالشَّهَوَاتِ![٥].

(٤) عُبُوْدِيَّةُ القَلْبِ والبَدَن

* الْمُؤْمِنُ: مَعْمُورُ الْقَلْبِ بِعِبَادَاتِ الْقُلُوبِ، طَاهِرُ الْقَلْبِ عَنْ سَفْسَافِ الْأَخْلَاقِ مَعَ اللهِ وَالْخَلْقِ، قد صَارَ عَبْدًا مَحْضًا لِرَبِّهِ بِقَلْبِهِ وَبَدَنِهِ، وقَامَ كُلٌّ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٥٢).

(٢) (٣/ ٤٠٩).

(٣) (١/ ٤٢٩).

(٤) انظر: (٣/ ٣٧-٣٨).

(٥) انظر: (٣/ ٣٥٢).

(٦) انظر: (٣/ ٣٤٩).

* عَلَىٰ الْقَلْبِ عُبُودِيَّة فِي الْأَمْرِ كَمَا عَلَىٰ الْجَوَارِحِ. وَتَعْطِيلُ عُبُودِيَّةِ الْقَلْبِ، بِمَنْزِلَةِ تَعْطِيلِ عُبُودِيَّةِ الْجَوَارِحِ[١].

(٥) العُبُوْدِيَّةُ والمُتَابَعَة

* تَمَامُ الْعُبُودِيَّةِ: أَنْ يُوَافِقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي (مَقْصُودِهِ وَقَصْدِهِ وَطَرِيقِهِ). **فَمَقْصُودُهُ**: اللهُ وَحْدَهُ. **وَقَصْدُهُ**: تَنْفِيذُ أَوَامِره. **وَطَرِيقُهُ**: اتِّبَاعُ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ[٢].

* المُسْلِمُ: يَعْبُدُ اللهَ بِمَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَهُوَ: مَا شَرَعَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، لَا بِمَا يُرِيدُ الْعَبْدُ، وَتَلْخِيصُ ذَلِكَ فِي كَلِمَتَيْنِ: «**إِيَّاكَ أُرِيدُ، بِمَا تُرِيدُ**»؛ فَالْأُولَىٰ: تَوْحِيدٌ وَإِخْلَاصٌ، وَالثَّانِيَةُ: اتِّبَاعٌ لِلسُّنَّةِ[٣].

(٦) تَعْطِيْلُ العُبُوْدِيَّة

* **مَنْ عَطَّلَ عُبُودِيَّةَ الْقَلْبِ**؛ فَقَدْ عَطَّلَ عُبُودِيَّةَ (الْمَلِكِ)، وَإِنْ قَامَ بِعُبُودِيَّةِ (رَعِيَّتِهِ) مِنَ الْجَوَارِحِ! وَالْمَقْصُودُ: أَنْ يَكُونَ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ (وَهُوَ الْقَلْبُ)؛ قَائِمًا بِعُبُودِيَّتِهِ لِلهِ سُبْحَانَهُ، هُوَ وَرَعِيَّتُهُ[٤].

* إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَا حَلَّ بِكَ مِنْ بَلَاءٍ وَذُلٍّ؛ فَانْظُرْ لِمَن اسْتَعْبَدَ قَلْبَكَ، وَأَيْنَ يَبِيتُ قَلْبُكَ إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ؟ وَإِلَىٰ أَيْنَ يَطِيرُ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ؟ فَذَلِكَ هُوَ مَعْبُودُكَ وَإِلَهُكَ![٥].

* **آفَاتُ القُلُوب**: كَالرِّيَاءِ، وَالْعُجْبِ، وَالْكِبْرِ، والحَسَد؛ إِنَّمَا تَنْشَأُ مِن الْجَهْلِ بِعُبُودِيَّةِ الْقَلْبِ، وَتَرْكِ الْقِيَامِ بِهَا[٦].

---

(١) انظر: (١/ ٤٧٠).

(٢) انظر: (٣/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٣) انظر: (٣/ ٣٦٩).

(٤) (١/ ١٣٣).

(٥) انظر: (٣/ ٣٠٨).

(٦) انظر: (١/ ١٣٣).

❁ عَبْدُ الْمَاءِ وَالطِّينِ: الَّذِي قَدِ اسْتَعْبَدَتْهُ نَفْسُهُ وَشَهْوَتُهُ، وَمَلَكَتْهُ وَقَهَرَتْهُ؛ فَانْقَادَ لَهَا انْقِيَادَ الْعَبْدِ إِلَىٰ سَيِّدِهِ الْحَاكِمِ عَلَيْهِ![١].

(٧) عُبُودِيَّةُ النَّبِي ﷺ

❁ لَمَّا كَمَّلَ محمدٌ ﷺ مَرْتَبَةَ الْعُبُودِيَّةِ؛ اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ عَلَىٰ سَائِرِ الْخَلَائِقِ، وَلِهَذَا وَصَفَهُ اللهُ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي أَعْلَىٰ مَقَامَاتِهِ، وَأَشْرَفِ أَحْوَالِهِ، وَبِذَلِكَ اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ عَلَىٰ الْخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[٢].

❁ يقول المسيح: «**اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، عَبْدٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**». قال شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ: (**فَحَصَلَتْ لَهُ تِلْكَ الْمَرْتَبَةُ: بِتَكْمِيلِ عُبُودِيَّتِهِ لِلهِ تَعَالَىٰ، وَكَمَالِ مَغْفِرَةِ اللهِ لَهُ**)[٣].

(٨) أَسْرَارُ الْعُبُودِيَّة

❁ **سِرُّ الْعُبُودِيَّةِ**: إِنَّمَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا مَنْ عَرَفَ صِفَاتِ الرَّبِّ، وَلَمْ يُعَطِّلْهَا، وَعَرَفَ مَعْنَىٰ الْإِلَهِيَّةِ وَحَقِيقَتَهَا[٤].

❁ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (**لَا طَرِيقَ أَقْرَب إِلَىٰ اللهِ مِن الْعُبُودِيَّةِ!**)[٥].

❁ لَوْلَا خَلْقُ إِبْلِيسَ؛ لَمَا حَصَلَتْ الْعُبُودِيَّةُ الْمُتَنَوِّعَة، وَلَكَانَ الْحَاصِلُ بَعْضَهَا لَا كُلَّهَا[٦].

---

(١) (٣/ ٧٤).

(٢) انظر: (٣/ ٣١، ٤٠٨).

(٣) (٣/ ٣٢).

(٤) انظر: (١/ ١١٨).

(٥) (١/ ٤٣٠).

(٦) انظر: (٢/ ١٩٢).

* الْعُبُودِيَّةُ وَالْآيَاتُ وَالْعَجَائِبُ الَّتِي تَرَتَّبَتْ عَلَىٰ خَلْقِ مَا لَا يُحِبُّهُ اللهُ؛ أَحَبُّ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ مِنْ فَوَاتِهَا وَتَعْطِيلِهَا بِتَعْطِيلِ أَسْبَابِهَا[١].

* **الْعُبُودِيَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِإِعَانَتَيْنِ:** ١-إِعَانَةٍ قَبْلَهَا: عَلَىٰ الْتِزَامِهَا وَالْقِيَامِ بِهَا، ٢-وَإِعَانَةٍ بَعْدَهَا عَلَىٰ عُبُودِيَّةٍ أُخْرَىٰ، وَهَكَذَا أَبَدًا، حَتَّىٰ يَقْضِيَ الْعَبْدُ نَحْبَهُ![٢].

(٩) ابْتِلَاءُ الْعُبُوْدِيَّة

* التَّهْذِيبُ وَالتَّصْفِيَةُ: هُوَ سَبْكُ الْعُبُودِيَّةِ فِي كِيرِ الِامْتِحَانِ؛ طَلَبًا لِإِخْرَاجِ مَا فِيهَا مِن الْخَبَثِ وَالْغِشِّ![٣].

* الْمُنْتَسِبُونَ إِلَىٰ اللهِ **بِالْعُبُودِيَّةِ**، وَإِلَىٰ رَسُولِهِ **بِالِاتِّبَاعِ**: هُمُ الْقَابِضُونَ عَلَىٰ الْجَمْرِ حَقًّا. وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَائِمٌ لَهُمْ، وَيَعُدُّونَهُمْ أَهْلَ شُذُوذٍ وَبِدْعَةٍ، وَمُفَارَقَةٍ لِلسَّوَادِ الْأَعْظَمِ![٤].

(١٠) تَكْمِيْلُ الْعُبُوْدِيَّة

* كُلَّمَا تَمَكَّنَ الْعَبْدُ فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ؛ كَانَتْ عُبُودِيَّتُهُ أَعْظَمَ. وَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ مِنْهَا أَكْبَر وَأَكْثَر مِن الْوَاجِبِ عَلَىٰ مَنْ دُونَهُ[٥].

* الْخَلْقُ كُلُّهُمْ: **عَبِيدُ رُبُوبِيَّتِهِ** (وَهِيَ عُبُودِيَّةُ الْقَهْرِ وَالْمُلْكِ).

---

(١) انظر: (٢/ ١٩٣). قال ابنُ القيِّم: (فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلْ كَانَ يُمْكِنُ وُجُودُ تِلْكَ الْحِكَمِ بِدُونِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ؟ قُلْتُ: هَذَا سُؤَالٌ بَاطِلٌ! إِذْ هُوَ فَرْضُ وُجُودِ الْمَلْزُومِ بِدُونِ لَازِمِهِ: كَفَرْضِ وُجُودِ الِابْنِ بِدُونِ الْأَبِ، وَالْحَرَكَةِ بِدُونِ الْمُتَحَرِّكِ، وَالتَّوْبَةِ بِدُونِ التَّائِبِ!). المصدر السابق.

(٢) (١/ ٩٨).

(٣) (٢/ ٩٨).

(٤) انظر: (٣/ ١٨٨).

(٥) (١/ ١٢٥).

وَأَهْلُ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ: هُمْ عَبِيدُ إِلَهِيَّتِهِ (وَهِيَ عُبُودِيَّةُ الطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ)(١).

* كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ؛ فَلَهُ تَعَبُّدٌ مُخْتَصٌّ بِهِ. وَأَكْمَلُ النَّاسِ عُبُودِيَّةً: الْمُتَعَبِّدُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ؛ فَلَا تَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمٍ عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمٍ آخَرَ(٢).

* **كَمَالُ الْعُبُودِيَّةِ**: قِيَامُ كُلٍّ مِن الْمَلِكِ وَجُنُودِهِ بِعُبُودِيَّتِهِ، فَهَؤُلَاءِ خَوَاصُّ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ(٣).

* اللهُ يُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ تَكْمِيلَ مَرَاتِبِ عُبُودِيَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَدَّرَ عَلَيْهِ الذَّنْبَ وَابْتَلَاهُ بِهِ؛ لِتَكْمُلَ مَرَاتِبُ عُبُودِيَّتِهِ بِالتَّوْبَةِ (الَّتِي هِيَ مِنْ أَحَبِّ عُبُودِيَّاتِ عَبْدِهِ إِلَيْهِ)(٤).

* **كُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَتَمَّ عُبُودِيَّةً**؛ كَانَت الْإِعَانَةُ مِن اللهِ لَهُ أَعْظَمَ(٥).

* **أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ**: الْعَمَلُ عَلَى مَرْضَاةِ الرَّبِّ فِي كُلِّ وَقْتٍ، بِمَا هُوَ مُقْتَضَى ذَلِكَ الْوَقْتِ وَوَظِيفَتُهُ(٦).

(١١) العُبُودِيَّةُ المُطْلَقَة

* الْعُبُودِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ: لَا يُعْرَفُ صَاحِبُهَا بَاسْمٍ مُعَيَّنٍ؛ فَإِنَّهُ مُجِيبٌ لِدَاعِيهَا عَلَى

---

(١) انظر: (١/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) قال ابنُ القيّم: (كَمَنْ يَحْجُبُهُ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ «الْقَدِيرِ»، عَنِ التَّعَبُّدِ بِاسْمِهِ «الْحَلِيمِ الرَّحِيمِ»، أَوْ يَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمِهِ «الْمُعْطِي»، عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمِهِ «الْمَانِعِ»، أَوْ عُبُودِيَّةُ اسْمِهِ «الْعَفُوِّ وَالْغَفُورِ»، عَنِ اسْمِهِ «الْمُنْتَقِمِ»). (١/ ٤٢٠). باختصار

(٣) (١/ ٤٧٠).

(٤) انظر: (٢/ ٥٢).

(٥) (١/ ٩٧).

(٦) (١/ ١٠٩).

اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، فَلَهُ مَعَ كُلِّ أَهْلِ عُبُودِيَّةٍ نَصِيبٌ، يَضْرِبُ مَعَهُمْ بِسَهْمٍ؛ فَلَا يَتَقَيَّدُ بِرَسْمٍ وَلَا اسْمٍ[(١)].

* أَفْضَلُ العبوديةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَالٍ: إِيثَارُ مَرْضَاةِ اللهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْحَالِ، وَالِاشْتِغَالُ بِوَاجِبِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَوَظِيفَتِهِ وَمُقْتَضَاهُ؛ وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ **التَّعَبُّدِ الْمُطْلَقِ**![(٢)].

* **الْعَبْدُ الْمَحْضُ**: لَا يَسْخَطُ جَرَيَانَ أَحْكَامِ سَيِّدِهِ الْمُشْفِقِ النَّاصِحِ الْمُحْسِنِ! بَلْ يَتَلَقَّاهَا كُلَّهَا بِالرِّضَا بِهِ وَعَنْهُ[(٣)].

(١٢) الْعُبُودِيَّةُ وَالْحُرِّيَّةُ

* **الْحُرُّ الْمَحْضُ**: هُوَ الَّذِي قَهَرَ شَهْوَتَهُ وَنَفْسَهُ؛ فَانْقَادَتْ مَعَهُ، وَذَلَّتْ لَهُ، وَدَخَلَتْ تَحْتَ رِقِّهِ وَحُكْمِهِ[(٤)].

* **الْحُرُّ**: مَنْ تَخَلَّصَ مِنْ رِقِّ الْمَاءِ وَالطِّينِ، وَفَازَ بِعُبُودِيَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ وَالْحُرِّيَّةُ؛ فَعُبُودِيَّتُهُ: مِنْ كَمَالِ حُرِّيَّتِهِ، وَحُرِّيَّتُهُ: مِنْ كَمَالِ عُبُودِيَّتِهِ![(٥)].

---

(١) فَإِنْ سُئِلَ عَنْ شَيْخِهِ؟ قَالَ: الرَّسُولُ! وَعَنْ طَرِيقِهِ؟ قَالَ: الِاتِّبَاعُ! وَعَنْ خِرْقَتِهِ؟ قَالَ: لِبَاسُ التَّقْوَىٰ! وَعَنْ مَذْهَبِهِ؟ قَالَ: تَحْكِيمُ السُّنَّةِ! وَعَنْ مَقْصُودِهِ؟ قَالَ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨]! وَعَنْ رِبَاطِهِ؟ قَالَ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور:٣٦]! وَعَنْ نَسَبِهِ؟ قَالَ: أَبِي الْإِسْلَامُ! وَعَنْ مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ؟ قَالَ: (مَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا، تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَىٰ الشَّجَرَ؛ حَتَّىٰ تَلْقَىٰ رَبَّهَا!). انظر: (٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) انظر: (١/ ١١١).

(٣) انظر: (٢/ ١٩٩).

(٤) (٣/ ٧٤).

(٥) (٣/ ٧٤).

❁ **العَبْدُ المُؤْمِن**: يُعْتِقُ نَفْسَه، وَيُحَرِّرُها مِنْ رِقِّ الطَّبِيعَةِ وَالْجِسْمِ الْمُرَكَّبِ مِن الْمَاءِ وَالطِّينِ، إِلَىٰ رِقِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَخَادِمُ الْجِسْمِ، الشَّقِيُّ بِخِدْمَتِهِ: **عَبْدُ الْمَاءِ وَالطِّين!**[١].

(١٣) العُبُوْدِيَّةُ المُقَيَّدَة

❁ (آفَةُ الْعُبُودِيَّةِ): هي العُبُودِيَّةُ المُقَيَّدَة، وَهِيَ: التَقَيُّدُ بِعَمَلٍ وَاحِدٍ يَجْرِي عَلَىٰ العَابِدِ اسْمُهُ، يُعْرَفُ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِن الْأَعْمَالِ[٢].

❁ مِن النَّاسِ: مَنْ يَتَقَيَّدُ بعِبَادَةٍ **لا يَتَعَبَّدُ بِغَيْرِهَا**، وَإِنْ كَانَتْ أَعْلَىٰ مِنْهَا؛ فَهَذا مَحْجُوبٌ عَنِ الظَّفَرِ بالْمَطْلُوبِ الأَعْلَىٰ، قَدْ قَيَّدَتْهُ الْعَوَائِدُ وَالرُّسُومُ عَنْ تَجْرِيدِ الْمُتَابَعَةِ![٣].

(١٤) عُبُوْدِيَّةُ المُرَاغَمَة

❁ عُبُودِيَّةُ الْمُرَاغَمَةِ: هي عُبُودِيَّةُ خَواصِّ العَارِفِينَ، وَلَا يَنْتَبِهُ لَهَا إِلَّا أُولُو الْبَصَائِرِ التَّامَّةِ، وَلَا شَيْءَ أَحَبّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ مُرَاغَمَةِ وَلِيِّهِ لِعَدُوِّهِ، وَإِغَاظَتِهِ لَهُ[٤].

❁ مَنْ تَعَبَّدَ اللهَ بِمُرَاغَمَةِ عَدُوِّهِ، فَقَدْ أَخَذَ مِن **الصِّدِّيقِيَّةِ** بِسَهْمٍ وَافِرٍ، وَعَلَىٰ قَدْرِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ وَمُوَالَاتِهِ وَمُعَادَاتِهِ لِعَدُوِّهِ؛ يَكُونُ نَصِيبُهُ مِنْ هَذِهِ الْمُرَاغَمَةِ[٥].

❁ **مُغَايَظَةُ الْكُفَّارِ**: غَايَةٌ مَحْبُوبَةٌ لِلرَّبِّ، مَطْلُوبَةٌ لَهُ؛ فَمُوَافَقَتُهُ فِيهَا مِنْ كَمَالِ الْعُبُودِيَّةِ![٦]

---

(١) انظر: (٣/ ٧٤).

(٢) انظر: (٣/ ١٦٥).

(٣) انظر: (٣/ ١٦٧).

(٤) انظر: (١/ ٢٤١).

(٥) (١/ ٢٤١).

(٦) (١/ ٢٤١).

❁ إِرْغَامُ الْعَدُوِّ، وَبَذْلُ الْمَحْبُوبِ لِلهِ؛ بَابٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَلَذَّتَهُ؛ بَكَىٰ عَلَىٰ أَيَّامِهِ الْأُوَلِ!(١).

❁ أَكْثَرُ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ؛ مُرَتَّبَةٌ عَلَىٰ **مُخَالَفَةِ إبليس**؛ فَاتِّخَاذُهُ عَدُوًّا: أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْعَبْدِ، وهو مِنْ أَكْبَرِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ وَأَجَلِّهَا! ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦](٢).

❁ عُبُودِيَّةُ مُخَالَفَةِ عَدُوِّ اللهِ، وَمُرَاغَمَتِهِ فِي اللهِ؛ مِنْ أَحَبِّ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ؛ وَهَذِهِ عُبُودِيَّةٌ لَا يَتَفَطَّنُ لَهَا إِلَّا الْأَكْيَاسُ!(٣).

❁ عُبُودِيَّةُ الْجِهَادِ: مِنْ أَحَبِّ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ؛ لَتَعَطَّلَتْ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةُ وَتَوَابِعُهَا: مِنَ الْمُوَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ، والصَّبْرِ وَالإِيثَارُ(٤).

(١٥) عُبُودِيَّةُ التَّرَخُّصِ

❁ الأَخْذُ بِرُخْصَةِ اللهِ: فِيهِ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ (الرَّفِيقِ)، وَفِيهِ إِجْمَامُ الْقَلْبِ لِعُبُودِيَّةٍ أُخْرَىٰ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا يَزَالُ يَتَنَقَّلُ فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ؛ فَإِذَا أَخَذَ بِرُخْصَةِ مَحْبُوبِهِ؛ اسْتَعَدَّ بِهَا لِعُبُودِيَّةٍ أُخْرَىٰ!(٥).

❁ تَرْكُ رُخْصَةِ اللهِ؛ قَدْ يقطَعُ الْمُؤْمِنَ عَنْ عُبُودِيَّةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ: كَالصَّائِمِ فِي السَّفَرِ، الَّذِي يَنْقَطِعُ عَنْ خِدْمَةِ أَصْحَابِهِ، أَمَّا (الرُّخَصُ التَّأْوِيلِيَّةُ)؛ فَالأَخْذُ بِهَا عَيْنُ الْبَطَالَةِ!(٦).

(١) انظر: (١/ ٢٤١-٢٤٢).

(٢) انظر:(٢/ ١٩٢).

(٣) انظر: (٢/ ١٩٢).

(٤) انظر: (٢/ ١٩٢).

(٥) انظر: (٢/ ٢٧٠).

(٦) انظر: (٢/ ٢٧٠).

المبحث السادس عشر
الإِسْـــــلامُ

(١) غُرْبَةُ الإِسْلَامِ

* الْإِسْلَامُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ؛ هُوَ الْيَوْم أَشَدُّ غُرْبَةً مِنْهُ فِي أَوَّلِ ظُهُورِهِ! وَلِهَذَا جُعِلَ لِلْمُسْلِمِ المتَمَسِّك بِدِينِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِن الصَّحَابَةِ![١].

* (أَهْلُ الْإِسْلَامِ) فِي النَّاسِ غُرَبَاءُ، وَ(الْمُؤْمِنُونَ) فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ غُرَبَاءُ، وَ(أَهْلُ الْعِلْمِ) فِي الْمُؤْمِنِينَ غُرَبَاءُ![٢].

* شَاهَدْتُ مِنْ (شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ) أَمْرًا لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ كَانَ إِذَا أُثْنِي عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ يَقُولُ: **(وَاللهِ إِنِّي إِلَىٰ الْآنَ أُجَدِّدُ إِسْلَامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلَامًا جَيِّدًا!)**[٣].

(٢) أُصُوْلُ الإِسْلَامِ

* **التَّوْحِيدُ**: أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَىٰ اللهِ، وأَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِن الدُّنْيَا، فَهُوَ أَوَّلُ الْأَمْرِ وَآخِرُهُ![٤].

* **الْإِيمَانُ بِصِّفَاتِ اللهِ**: هُوَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ، وَقَاعِدَةُ الْإِيمَانِ، وَثَمَرَةُ الْإِحْسَانِ،

---

(١) انظر: (٣/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) (٣/ ١٨٦).

(٣) انظر: (١/ ٥٢٠).

(٤) انظر: (٣/ ٤١١-٤١٢).

فَمَنْ جَحَدَ الصِّفَاتِ: فَقَدْ هَدَمَ أَسَاسَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ والْإِحْسَانِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ[١].

* يُقَالُ لِمَنْ أَرَادَ **الْوُصُولَ إِلَىٰ اللهِ**: اِخْلَعْ مِنْ قَلْبِكَ مَا سِوَاهُ، وَادْخُلْ عَلَيْهِ، وَأَوَّلُ قَدَمٍ يُدْخَلُ بِهَا فِي الْإِسْلَامِ: أَنْ يَخْلَعَ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَيَتَجَرَّدَ مِنْهَا[٢].

(٣) الإِسلَامُ دِيْنُ الله

* **الْإِسْلَامُ** دِينُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ، وَدِينُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ[٣].

* **أَدْيَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ سِتَّةٌ**: وَاحِدٌ لِلرَّحْمَنِ، وَخَمْسَةٌ لِلشَّيْطَانِ، **فَدِيْنُ الرَّحْمَنِ**: هُوَ الْإِسْلَامُ. **وَالَّتِي لِلشَّيْطَانِ**: الْيَهُودِيَّةُ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ، وَالْمَجُوسِيَّةُ، وَالصَّابِئَةُ، وَدِينُ الْمُشْرِكِينَ[٤].

* **الْمُسْلِمُ**: مَنْ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِلهِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ، وَلَمْ يَسْخَطْ ذَلِكَ[٥].

---

(١) انظر: (٣/ ٣٢٤).

(٢) انظر: (٣/ ٣٨٧).

(٣) (٣/ ٤٤٢).

(٤) (٣/ ٤٤٢).

(٥) انظر: (٢/ ١٩٩).

المبحث السابع عشر

الإِيْمَانُ

(١) أُصُوْلُ الإِيْمَان

* مَقَامَاتُ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ: **الْحُبُّ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ**؛ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء:٥٧][١].

* سُئِلَ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: «**الصَّبْرُ، وَالسَّمَاحَةُ**»[٢]. وَهَذَا مِنْ أَجْمَعِ الْكَلَامِ وَأَعْظَمِهِ بُرْهَانًا، وَأَوْعَبِهِ لِمَقَامَاتِ الْإِيمَانِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا![٣].

(٢) فَوَائِدُ الإِيْمَان

* كُلُّ أَحَدٍ خَاسِرٌ إِلَّا مَنْ كَمَّلَ قُوَّتَهُ الْعِلْمِيَّةَ بِالْإِيمَانِ، وَقُوَّتَهُ الْعَمَلِيَّةَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَكَمَّلَ غَيْرَهُ بِالتَّوْصِيَةِ بِالْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ[٤].

* **ضَعْفُ الْإِيمَانِ**: هُوَ أَقْوَىٰ الْأَسْبَابِ فِي الزُّهْدِ فِي الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، وَالرَّغْبَةِ فِي الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ، الَّتِي هِيَ كَالْخَيَالِ وَالْمَنَامِ؛ فَإِذَا قَوِيَ الْإِيمَانُ: قَوِيَ الشَّوْقُ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَاشْتَدَّ طَلَبُ صَاحِبِهِ لَهَا![٥].

* **الْإِيمَانُ**: هُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ الْبَاعِثُ عَلَيْهَا، وَالْآمِرُ بِأَحْسَنِهَا، وَالنَّاهِي

---

(١) انظر: (٢/ ٣٦).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٢٥)، معلَّقًا عن سويد به، وله شواهد قد يرتقي بمجموعها إلىٰ درجة الحسن، انظر: «الصحيحة» للألباني (٥٥١، ١٤٩١، ١٤٩٥).

(٣) انظر: (٢/ ١٥٩).

(٤) (١/ ٣٠).

(٥) انظر: (٣/ ٢٦٥-٢٦٦).

عَنْ أَقْبَحِهَا، وَعَلَىٰ قَدْرِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ: يَكُونُ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ لِصَاحِبِهِ، وَائْتِمَارُ صَاحِبِهِ وَانْتِهَاؤُهُ[١].

* الْإِيمَانُ يُثْمِرُ لِلْقَلْبِ: (النُّورَ، وَالْحَيَاةَ، وَالْقُوَّةَ)؛ وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ تُثْمِرُهُ أَيْضًا، وَتُوجِبُ زِيَادَتَهُ؛ فَهُوَ مَحْفُوفٌ بِهَا قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا![٢].

* مَنْ غَرَسَ (شَجَرَةَ الْإِيمَانِ) فِي أَرْضِ قَلْبِهِ الطَّيِّبَةِ؛ فَإِنَّهَا تَزْدَادُ وَتَنْمُو بِمَاءِ الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَالْمُتَابَعَةِ، وَتؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها، وَأَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي الْأَرْضِ، وَفُرُوعُهَا فِي السَّمَاءِ![٣].

(٣) عَلَامَةُ الإِيمان

* عَلَامَةُ الْإِيمَان: ١-طَاعَةُ مَنْ آمَنْتَ بِهِ، ٢-وَالْعَمَلُ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، ٣-وَتَرْكُ التَّشَاغُلِ عَنْهُ بِمَا يَنْقَضِي وَيَزُولُ[٤].

* لَيْسَ كُلُّ مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاه: يكُونُ قَدْ أَكْرَمَهُ، وَلَا كُلُّ مَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ: يكُونُ قَدْ أَهَانَهُ، **فَالْإِكْرَامُ**: أَنْ يُكْرِمَ اللهُ الْعَبْدَ بِطَاعَتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ. **وَالْإِهَانَةُ**: أَنْ يَسْلُبَهُ ذَلِكَ![٥].

* شُهُودُ الْعَبْدِ نَقْصَ حَالِهِ **إِذَا عَصَىٰ رَبَّهُ**، وَتَغَيُّرَ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ، وَانْسِدَادَ الْأَبْوَابِ فِي وَجْهِهِ، وَوُقُوعَهُ عَلَىٰ السَّبَبِ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ؛ مِمَّا يُقَوِّي إِيمَانَهُ[٦].

---

(١) انظر: (٣/ ٢٦٥).

(٢) (٢/ ٤٧٥).

(٣) انظر: (٢/ ٤٦٢).

(٤) انظر: (٣/ ١١٨).

(٥) انظر: (٢/ ٤١٣).

(٦) فَإِنْ أَقْلَعَ وَبَاشَرَ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُفْضِي بِهِ إِلَىٰ ضِدِّ هَذِهِ الْحَالِ؛ ازْدَادَ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِ. وَصَاحِبُ هَذَا الْمَشْهَدِ مَتَىٰ أَعْطَاهُ حَقَّهُ: صَارَ مِنْ أَطِبَّاءِ الْقُلُوبِ، الْعَالِمِينَ بِدَائِهَا وَدَوَائِهَا! انظر: (١/ ٤٢٥).

* قَالَ الْحَسَنُ: (**لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ**)(١).

(٤) نُورُ الْإِيمَان

* نُورُ الْإِيمَانِ: أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥] قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: (**مَثَلُ نُوْرِهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ**)(٢).

* نُوْرُ الإِيمانِ: إِذَا تَمَكَّنَ مِن الْقَلْبِ، وَأَشْرَقَ فِيهِ: فَاضَ عَلَىٰ الْجَوَارِحِ؛ فَيُرَىٰ أَثَرُهُ فِي الْوَجْهِ وَالْعَيْنِ، وَيَظْهَرُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ(٣).

* صَاحِبُ الْإِيمَانِ: يَسْتَحِيلُ إِصْرَارُهُ عَلَىٰ السَّيِّئَاتِ؛ فَإِنَّ مَا مَعَهُ مِنْ نُوْرِ الْإِيمَانِ: يَأْمُرُهُ بِتَجْدِيدِ التَّوْبَةِ كُلَّ وَقْتٍ: بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ اللهِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِهِ، وَهَذَا مِنْ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ!(٤).

(٥) نِعْمَةُ الإِيْمَان

* ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣]. يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (**هُمُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ قَدْرَ نِعْمَةِ الإِيمَانِ، وَيَشْكُرُونَ اللهَ عَلَيْهَا**)(٥).

* **النِّعْمَةُ الْمُطْلَقَةُ:** تَكُونُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ. **وَمُطْلَقُ النِّعْمَةِ:** تَكُونُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤](٦).

---

(١) (٣/ ٩١).

(٢) انظر: (٣/ ٢١٧).

(٣) انظر: (٣/ ٢١٧).

(٤) انظر: (١/ ٤٠١).

(٥) (٢/ ٤٥٠).

(٦) انظر: (١/ ٣٦).

* لَوْ عَلِمَ اللهُ فِي الْكُفَّارِ خَيْرًا وَقَبُولًا لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ، وَشُكْرًا لَهُ عَلَيْهَا، وَمَحَبَّةً لَهُ، وَاعْتِرَافًا بِهَا؛ لَهَدَاهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ![1].

(٦) حَلَاوَةُ الْإِيمَان

* لِلْإِيمَانِ طَعْمٌ وَحَلَاوَةٌ، يَتَعَلَّقُ بِهِمَا ذَوْقٌ وَوَجْدٌ، وَلَا تَزُولُ الشُّبَهُ وَالشُّكُوكُ عَنِ الْقَلْبِ إِلَّا إِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ؛ فَبَاشَرَ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ حَقِيقَةَ الْمُبَاشَرَةِ؛ فَيَذُوقَ طَعْمَهُ وَيَجِدَ حَلَاوَتَهُ[2].

* إِذَا ذَاقَ الْعَبْدُ طَعْمَ الإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ: ثَبَتَ عَلَىٰ الْحُكْمِ وَاسْتَقَامَ[3].

* ذَوْقُ طَعْمِ الْإِيمَانِ بِوَعْدِ اللهِ، يَمْنَعُ الذَّائِقَ أَنْ يَحْبِسَهُ ظَنٌّ عَنِ الْجِدِّ فِي الطَّلَبِ، وَالسَّيْرِ إِلَىٰ رَبِّهِ[4].

(٧) مُعَوِّقَاتُ الإِيمان

* الذُّنُوبُ مِثْلُ السُّمُومِ: مُضِرَّةٌ بِالذَّاتِ، فَإِنْ تَدَارَكَهَا بِالْأَدْوِيَةِ الْمُقَاوِمَةِ لَهَا؛ وَإِلَّا قَهَرَت الْقُوَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ، وَكَانَ الْهَلَاكُ![5].

* الْمَعَاصِي لِلْإِيمَانِ: كَالْمَرَضِ لِلْقُوَّةِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ السَّلَفُ: (**الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّ الْحُمَّىٰ بَرِيدُ الْمَوْتِ**)[6].

* الْإِبْقَاءُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ: يَبْعَثُ عَلَىٰ **تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ**؛ لِأَنَّهَا لَا بُدَّ أَنْ تُنْقِصَهُ، أَوْ تُذْهِبَ رَوْنَقَهُ وَبَهْجَتَهُ، أَوْ تُطْفِئَ نُورَهُ، أَوْ تُضْعِفَ قُوَّتَهُ[7].

---

(١) انظر: (٢/ ٤٥٠).

(٢) انظر: (٣/ ٨٨).

(٣) انظر: (٣/ ٩٠).

(٤) (٣/ ٩٠).

(٥) انظر: (١/ ٤٢٥).

(٦) انظر: (٢/ ٢٧).

(٧) انظر: (٢/ ١٦٤).

المبحث الثامن عشر

الإِحْسَـــانُ

(١) حَقِيقَةُ الإِحْسَان

❁ مَنْزِلَةُ الإِحْسَانِ: هِيَ لُبُّ الإِيمَانِ، وَرُوحُهُ وَكَمَالُهُ، وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَجْمَعُ جَمِيعَ الْمَنَازِلِ، فَجَمِيعُهَا مُنْطَوِيَةٌ فِيهَا، **فَالإِحْسَانُ**: جَامِعٌ لِجَمِيعِ أَبْوَابِ الْحَقَائِقِ، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ[١].

❁ إِحْسَانُ الْعُبُودِيَّةِ: أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الدِّينِ، وَهُوَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[٢].

❁ **الإِحْسَانُ**: هُوَ كَمَالُ الْحُضُورِ مَعَ اللهِ، وَمُرَاقَبَتُه الْجَامِعَةُ لِخَشْيَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالإِخْلَاصِ لَهُ، وَلِجَمِيعِ مَقَامَاتِ الإِيمَانِ[٣].

❁ لَيْسَ فَوْقَ الإِحْسَانِ لِلصِّدِّيقِينَ مَرْتَبَةٌ؛ إِلَّا بَقَاؤُهُمْ فِيهِ![٤]

❁ **الإحسانُ**: انْكِشَافُ الْحَقِيقَةِ لِعَيْنِ الْقَلْبِ، وَلَا تَعْتَقِدْ أَنَّ لِلسَّالِكِ وَرَاءَ مَقَامِ الإِحْسَانِ شَيْئًا أَعْلَىٰ مِنْهُ![٥]

(٢) فَوَائِدُ الإِحْسَان

❁ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: (هَلْ

---

(١) انظر: (٢/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٢) انظر: (١/ ١٢٤).

(٣) انظر: (٢/ ٤٣٠).

(٤) (٣/ ٧٨).

(٥) انظر: (٣/ ٨١).

جَزَاءُ مَنْ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَعَمِلَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ إِلَّا الْجَنَّةُ؟**)[١].

* الْإِسْلَامُ لَهُ نُورٌ، وَالْإِيمَانُ لَهُ نُورٌ أَقْوَىٰ مِنْهُ، وَالْإِحْسَانُ لَهُ نُورٌ أَقْوَىٰ مِنْهُمَا؛ فَإِذَا اجْتَمَعَ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ، وَزَالَت الْحُجُبُ الشَّاغِلَةُ عَنِ اللهِ: امْتَلَأَ الْقَلْبُ وَالْجَوَارِحُ بِذَلِكَ النُّورِ![٢]

* إِذَا غَلَبَ عَلَىٰ الْقَلْبِ مُشَاهَدَةُ مَعْبُودِهِ -حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَرَاهُ-؛ صَارَ لَهُ مَلَكَةً أَخْمَدَتْ أَحْكَامَ نَفْسِهِ، وَتَبَدَّلَ بِهَا طَبِيعَةً ثَانِيَةً؛ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ أُنْشِئَ نَشْأَةً أُخْرَىٰ غَيرَ نَشْأَتِهِ الْأُولَىٰ، وَوُلِدَ وِلَادًا جَدِيدًا![٣]

---

(١) (٢/ ٤٣٠).

(٢) (٣/ ١١٠).

(٣) انظر: (٣/ ٧٠).

المبحث التاسع عشر

الصِّــــدْقُ

(١) حَقِيْقَةُ الصِّدْق

* مَقَامُ الصِّدْقِ: جَامِعٌ لِلْإِخْلَاصِ وَالْعَزْمِ؛ فَبِاجْتِمَاعِهِمَا يَصِحُّ لَهُ مَقَامُ الصِّدْقِ[١].

* الصِّدْقُ وَالإِخْلَاصُ: هُوَ أَنْ تَبْذُلَ كُلَّكَ لِمَحْبُوبِكَ وَحْدَهُ، ثُمَّ تَحْتَقِرِ مَا بَذَلْتَ فِي جَنْبِ مَا يَسْتَحِقُّهُ، ثُمَّ لَا تَنْظُرُ إِلَىٰ ذَلِكَ[٢].

* هَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: (مُدْخَلُ الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ، وَلِسَانُ الصِّدْقِ، وَقَدَمُ الصِّدْقِ، وَمَقْعَدُ الصِّدْقِ). وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ: هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللهِ، الْمُوصِلُ إِلَىٰ اللهِ![٣]

* مُدْخَلُ الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ: أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ وَخُرُوجُهُ بِاللهِ، وَلِلهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ؛ وصَاحِبُهُ ضَامِنٌ عَلَىٰ اللهِ![٤]

* لِسَانُ الصِّدْقِ: هو الثَّنَاءُ الْحَسَنُ؛ فَلَمَّا كَانَ الصِّدْقُ بِاللِّسَانِ -وَهُوَ مَحَلُّهُ-؛ أَطْلَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَلْسِنَةَ الْعِبَادِ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ الصَّادِقِ؛ جَزَاءً وِفَاقًا، وَعَبَّرَ بِهِ عَنْهُ![٥]

* قَدَمُ الصِّدْقِ: أي مَا قَدَّمَهُ المؤمنون، وَمَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُمْ

---

(١) (١/ ١٣٣).

(٢) (٣/ ٣٩١).

(٣) (٢/ ٢٥٩).

(٤) انظر: (٢/ ٢٥٩).

(٥) انظر: (٢/ ٢٦٠).

قَدَّمُوا الْأَعْمَالَ وَالْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَقْدمُونَ عَلَىٰ الْجَنَّةِ (الَّتِي هِيَ جَزَاءُ ذَلِكَ)، وَأَمَّا **مَقْعَدُ الصِّدْقِ**: فَهُوَ الْجَنَّةُ[1].

(٢) أَهَمِّيَّةُ الصِّدْق

❁ **مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ**: هِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الَّذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ الْهَالِكِينَ[2].

❁ **بِالصِّدْقِ**: تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الْجِنَانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ، وَهُوَ سَيْفُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ، وَلَا وَاجَهَ بَاطِلًا إِلَّا أَرْدَاهُ وَصَرَعَهُ![3]

❁ **الصِّدْقُ**: هُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَمَحَكُّ الْأَحْوَالِ، وَالْحَامِلُ عَلَىٰ اقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ، وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ الْيَقِينِ، وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَالِمِينَ[4].

❁ **الْإِيمَانُ**: أَسَاسُهُ الصِّدْقُ. **وَالنِّفَاقُ**: أَسَاسُهُ الْكَذِبُ؛ فَلَا يَجْتَمِعُ كَذِبٌ وَإِيمَانٌ، إِلَّا وَأَحَدُهُمَا مُحَارِبٌ لِلْآخَرِ! ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤][5].

(٣) عَلَامَاتُ الصِّدْق

❁ سُئِلَ بَعْضُ السَّلَفِ، عَنْ عَلَامَةِ الصَّادِقِ؟ فَقَالَ: (**أَنْ لَا يُبَالِيَ أَنْ يُخْرِجَ كُلَّ**

---

(١) انظر: (٢/ ٢٦٠).

(٢) (٢/ ٢٥٧).

(٣) (٢/ ٢٥٧).

(٤) انظر: (٢/ ٢٥٧).

(٥) (٢/ ٢٥٨).

قَدْرٍ لَهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ؛ مِنْ أَجْلِ صَلَاحِ قَلْبِهِ!)[١].

* الصَّادِقُونَ: ظَوَاهِرُهُمْ ظَوَاهِرُ النَّاسِ، وَقُلُوبُهُمْ مَعَ الْحَقِّ تعالَىٰ، لَا تَلْتَفِتُ عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً؛ فَهُمْ فِي وَادٍ، وَالنَّاسُ فِي وَادٍ[٢].

* مِنْ عَلَامَاتِ الصِّدْقِ: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ، وَمِنْ عَلَامَاتِ الْكَذِبِ: حُصُولُ الرِّيبَةِ[٣]؛ قَالَ ﷺ: «الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ»[٤].

* إذا اسْتَحْكَمَ الصِّدْقُ فِي الصَّادِقِ: اشْتَدَّتْ نُفْرَتُهُ مِنْ أَهْلِ الغَفْلَةِ، وَقَوِيَ هَرَبُهُ مِنْهُمْ![٥].

* الصَّادِقُ: الَّذِي يَتَهَيَّأُ لَهُ أَنْ يَمُوتَ، وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْ سِرِّهِ لَوْ كُشِفَ[٦]؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٩٤][٧].

* الصَّادِقُ: مَطْلُوبُهُ رِضَا رَبِّهِ، وَتَتَبُّعُ مَحَابِّهِ؛ فَهُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهَا، يَسِيرُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ! فَبَيْنَا هُوَ فِي صَلَاةٍ؛ إِذْ رَأَيْتَهُ فِي ذِكْرٍ، ثُمَّ فِي إِحْسَانٍ لِلْخَلْقِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ

---

(١) (٣/ ١٦٩).

(٢) انظر: (٣/ ٣٧٤).

(٣) (٢/ ٢٦١).

(٤) رواه الترمذي من حديث الحسن بن علي (٢٥٢٠)، وصححه .

(٥) انظر: (٢/ ٢٦٨).

(٦) (٢/ ٢٦٤).

(٧) قال ابنُ القيّم: (لَيسَ الْمُرادُ: تَمَنُّوهُ لأَنفُسِكُمْ خاصَّةً، بَلْ مَعْنَاهُ: ادْعُوا بِالْمَوْتِ وَتَمَنُّوهُ لِلْمُبْطِلِ؛ وَهَذَا أَبْلَغُ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ، وَبُرْهَانِ الصِّدْقِ؛ فَإِنَّا نُشَاهِدُ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَمَنَّىٰ الْمَوْتَ لِضُرِّهِ وَبَلَائِهِ، بِخِلَافِ تَمَنِّيهِ وَالدُّعَاءِ بِهِ عَلَىٰ الْفِرْقَةِ الْكَاذِبَةِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا؛ لِعِلْمِهِمْ بِصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ ﷺ وَصِدْقِهِ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ: حَسَدًا وَبَغْيًا!). (٢/ ٢٦٥). مختصرًا

مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرَبِ وَالْمَنَافِعِ(١).

* **الصَّادِقُ حَقِيقَةً**: قَدِ انْجَذَبَتْ قُوَىٰ رُوحِهِ كُلُّهَا إِلَىٰ إِرَادَةِ اللهِ وَطَلَبِهِ، وَالسَّيْرِ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلِقَائِهِ؛ وَمَنْ هَذِهِ حَالُه: لَا يَحْتَمِلُ سَبَبًا يَدْعُوهُ إِلَىٰ نَقْضِ عَهْدِهِ مَعَ اللهِ بِوَجْهٍ!(٢).

* الصَّادِقُ: يَتَحَرَّىٰ فِي سُلُوكِهِ كُلِّهِ؛ **أَحَبَّ الطُّرُقِ إِلَىٰ اللهِ**، فَإِنَّهُ سَالِكٌ بِهِ وَإِلَيْهِ(٣).

* السَّالِكُ الصَّادِقُ: يَذْهَبُ مَعَ دَاعِي **الْعِلْمِ** أَيْنَ ذَهَبَ بِهِ، وَيَجْرِي فِي تَيَّارِهِ أَيْنَ جَرَىٰ(٤).

(٤) فَوَائِدُ الصِّدْق

* مَنْ طَلَبَ اللهَ بِالصِّدْقِ؛ **أَعْطَاهُ مِرْآةً** يُبْصِرُ فِيهَا الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ(٥).

* **الصِّدْقُ**: يُصْلِحُ مِنَ الْقَلْبِ مَا مَزَّقَتْهُ يَدُ الْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ، وَيَلُمُّ مِنْهُ مَا شَعَّثَتْهُ يَدُ التَّفْرِيطِ وَالْإِضَاعَةِ، وَيَغْسِلُ مِنْهُ الْأَوْسَاخَ الَّتِي تَرَاكَمَتْ عَلَيْهِ عَلَىٰ تَقَادُمِ الْأَوْقَاتِ!(٦).

* الصَّادِقُ: قَدْ زَالَتْ عَنْهُ ثَقَالَةُ النَّفْسِ، وَكُدُورَةُ الطَّبْعِ؛ فَصَارَ **رُوحَانِيًّا سَمَائِيًّا**، بَعْدَ أَنْ كَانَ حَيَوَانِيًّا أَرْضِيًّا؛ فَتَرَاهُ أَكْرَمَ النَّاسِ عِشْرَةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَلْطَفَهُمْ قَلْبًا وَرُوحًا(٧).

---

(١) انظر: (٢/ ٢٦٣).

(٢) انظر: (٢/ ٢٦٨).

(٣) (١/ ٥٠٥).

(٤) انظر: (١/ ٤٧٤).

(٥) (٢/ ٢٦٦).

(٦) انظر: (٢/ ٢٦٧-٢٦٨).

(٧) انظر: (٣/ ١٧١).

* **الْمُحِبُّ الصَّادِقُ**: رُبَّمَا كَانَ سَيْرُهُ الْقَلْبِيُّ فِي حَالِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، وَجِمَاعِ أَهْلِهِ وَرَاحَتِهِ؛ أَقْوَىٰ مِنْ سَيْرِهِ الْبَدَنِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ![1].

* **يَنَابِيعُ الصِّدْقِ**: تُطَهِّرُ القلبَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ أَوْسَاخِ الشَّهَوَاتِ وَالرِّيَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ طَهُورُهُ بِالْجَحِيمِ وَالْحَمِيمِ! وَلَا بُدَّ مِنْ طَهُورٍ؛ فَاللَّبِيبُ يُؤْثِرُ أَسْهَلَ الطَّهُورَيْنِ وَأَنْفَعَهُمَا![2].

* **قَلْبُ الصَّادِقِ**: قَوِيُّ الْإِحْسَاسِ؛ فَإِنَّهُ يَشُمُّ الْقَلْبَ الغافل، كَمَا يَشَمُّ الرَّائِحَةَ الْخَبِيثَةَ؛ فَلَا يَأْنَسُ بِهِ إِلَّا تَكَلُّفًا، وَلَا يُصَاحِبُهُ إِلَّا ضَرُورَةً![3].

* **الصِّدِّيْقُوْنَ**: هُمُ الرَّفِيقُ الْأَعْلَىٰ، وَلَهُمْ مَرْتَبَةُ الْمَعِيَّةِ مَعَ اللهِ، وَلَهُمْ مَنْزِلَةُ الْقُرْبِ مِنْهُ، إِذْ دَرَجَتُهُمْ مِنْهُ: ثَانِي دَرَجَةِ النَّبِيِّينَ![4]

* **صِدْقُ الْمُتَبَايِعَيْنِ**: يُحِلُّ الْبَرَكَةَ فِي بَيْعِهِمَا. وَكَذِبُ المتبايِعَيْنِ: يَمْحَقُ بَرَكَةَ بَيْعِهِمَا، ولهذا قِيلَ: (**مَا أَمْلَقَ** -أَيْ ما افْتَقَرَ- **تَاجِرٌ صَدُوقٌ**)[5].

* **كُلُّ** مَن اعْتَقَدَ شَيْئًا، **وَطَلَبَهُ طَلَبًا صَادِقًا**، وَاسْتَفْرَغَ وُسْعَهُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ: كَانَ لَهُ حَالٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ؛ بِحَسَبِ صِدْقِهِ فِي طَلَبِهِ، وَجَمْعِ هِمَّتِهِ وَقَصْدِهِ عَلَيْهِ، وَهَذَا يَكُونُ لِلْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ[6].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٠).

(٢) انظر: (٢/ ٢٦٨).

(٣) انظر: (٢/ ٢٦٨).

(٤) انظر: (٢/ ٢٥٧).

(٥) انظر: (٢/ ٢٦٢، ٢٦٧).

(٦) انظر: (٢/ ٢٧٤).

* إِذَا تَعَرَّضَ الْعَبْدُ، وَصَدَقَ فِي الطَّلَبِ: رُجِيَ لَهُ الظَّفَرُ بِمَطْلُوبِهِ![1].

(٥) هِمَّةُ الصَّادِقِ

* **قَلْبُ الصادقِ**: فِي حَرَكَةٍ شَدِيدَةٍ، بِحَسَبِ سَعَةِ مَطْلُوبِهِ، وَهِمَّتُهُ: أَعْلَىٰ مِنْ أَنْ يَقِفَ دُونَ مَطْلَبِهِ؛ وَكَذَا حَالُ الصَّادِقِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَوِ الدُّنْيَا؛ فَكُلُّ صَادِقٍ فِي طَلَبِ شَيْءٍ: لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ قَرَارٌ[2].

* مَنْ كَانَ صَادِقًا فِي طَلَبِهِ، مُسْتَجْمِعَ الْقُوَّةِ: لَمْ يَقْعُدْ بِهِ عَزْمُهُ عَنِ الْجِدِّ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ؛ فَلَا تَرَاهُ إِلَّا جَادًّا، وَأَمْرُهُ كُلُّهُ جِدٌّ[3].

* (الصَّادِقُ) لَا يُحِبُّ أَنْ يَعِيشَ إِلَّا لِيَشْبَعَ مِنْ رِضَا مَحْبُوبِهِ، وَيَقُومَ بِعُبُودِيَّتِهِ، لَا لِعِلَّةٍ مِنْ عِلَلِ الدُّنْيَا، وَلَا لِشَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِهَا![4].

* (الصَّادِقُ): يَعْمَلُ عَلَىٰ رِضَا الْحَقِّ تَعَالَىٰ وَمَحَابِّهِ؛ فَإِذَا كَانَت الرُّخَصُ أَحَبَّ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ مِن الْعَزَائِمِ: كَانَ الْتِفَاتُهُ إليها هُوَ عَيْنُ صِدْقِهِ[5].

* يَسْتَوْحِشُ الصَّادِقُ فِي طَرِيقِهِ؛ لِقِلَّةِ سَالِكِهَا؛ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ سَائِرُونَ عَلَىٰ طُرُقِ أَذْوَاقِهِمْ! وَالصَّادِقُ فِي وَادٍ، وَهَؤُلَاءِ فِي وَادٍ؛ فَإِنَّ اللهَ أَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلًا، حَتَّىٰ يَكُونَ

---

(١) انظر: (٢/ ٣١٠).

(٢) انظر: (٢/ ٢٦٣).

(٣) انظر: (٢/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٤) كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: (لَوْلَا ثَلَاثٌ لَمَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ: لَوْلَا أَنْ أَحْمِلَ عَلَىٰ جِيَادِ الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمُكَابَدَةُ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ: كَمَا يُنْتَقَىٰ أَطَايِبُ التَّمْرِ). وَقَالَ مُعَاذٌ رضي الله عنه عِنْدَ مَوْتِهِ: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الْبَقَاءَ لِجَرْيِ الْأَنْهَارِ، وَلَا لِغَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَلَا لِنُكْحِ الْأَزْوَاجِ؛ وَلَكِنْ لِظَمَأِ الْهَوَاجِرِ، وَمُكَابَدَةِ اللَّيْلِ، وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ!). انظر: (٢/ ٢٦٩).

(٥) انظر: (٢/ ٢٦٩).

عَلَىٰ مُتَابَعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، خَالِصًا لِوَجْهِهِ سبحانه[١].

(٦) الصِّدْقُ والصِّدِّيْقِيَّة

❁ ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣]: الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ: هُوَ مَنْ شَأْنُهُ الصِّدْقُ فِي (قَوْلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَحَالِهِ)؛ وَبِحَسَبِ كَمَالِ هَذِهِ الثَّلاثة فِيهِ: تَكُونُ صِدِّيقِيَّتُهُ[٢].

❁ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ذُرْوَةُ سَنَامِ الصِّدِّيقِيَّةِ. وسُمِّيَ الصِّدِّيقُ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ. وَ**الصِّدِّيقُ**: أَبْلَغُ مِن الصَّدُوقِ. وَ**الصَّدُوقُ**: أَبْلَغُ مِن الصَّادِقِ[٣].

❁ أَعْلَىٰ مَرَاتِب الصِّدْقِ: مَرْتَبَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَهِيَ: كَمَالُ الِانْقِيَادِ لِلرَّسُولِ ﷺ، مَعَ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ لِلْمُرْسِلِ[٤].

❁ **الصِّدْقُ**: مِفْتَاحَ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَهِيَ غَايَتُهُ؛ فَلَا يَنَالُ دَرَجَتَهَا كَاذِبٌ الْبَتَّةَ: لَا فِي قَوْلِهِ، وَلَا فِي عَمَلِهِ، وَلَا فِي حَالِهِ[٥].

❁ **الصِّدِّيقِيَّةُ**: كَمَالُ الْإِخْلَاصِ وَالِانْقِيَادِ، وَالْمُتَابَعَةُ لِلْخَبَرِ وَالْأَمْرِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا[٦].

(٧) الإِرَادَةُ الصَّادِقَة

❁ الإِرَادَةُ: هِيَ نُهُوضُ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ[٧].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٧١).

(٢) انظر: (٢/ ٢٥٨).

(٣) (٢/ ٢٥٨).

(٤) (٢/ ٢٥٨).

(٥) انظر: (٢/ ٢٦١).

(٦) (٢/ ٢٦١-٢٦٢).

(٧) انظر: (٢/ ٣٤٥).

* **مِنْ صِفَاتِ الْمُرِيدِ:** التَّحَبُّبُ إِلَىٰ اللهِ بِالنَّوَافِلِ، وَبَذْلُ الْمَجْهُودِ فِي مَحْبُوبِهِ، وَالتَّعَرُّضُ لِكُلِّ سَبَبٍ يُوصِلُ إِلَيْهِ، وَعَدَمُ قَرَارِ الْقَلْبِ حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَىٰ وَلِيِّهِ وَمَعْبُودِهِ![1].

* **إِذَا صَدَقَ الْمُرِيدُ:** فَتَحَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ بِبَرَكَةِ الصِّدْقِ: مَا يُغْنِيهِ عَنِ أَفْكَارِ النَّاسِ وَآرَائِهِمْ، وَعَنِ الْعُلُومِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ زَادِ الْقَبْرِ، وَعَنْ كَثِيرٍ مِنْ إِشَارَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَعُلُومِهِمْ[2].

* **الْمُرِيدُ الصَّادِقُ:** يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ؛ فَيَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ عِلْمِ النَّاسِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ، وَقَلْبُ الصَّادِقِ مُمْتَلِئٌ بِنُورِ الصِّدْقِ، وَمَعَهُ نُورُ الْإِيمَانِ، وَالنُّورُ يَهْدِي إِلَىٰ النُّورِ![3].

* **الْمُرِيدُ الصَّادِقُ:** هُوَ الَّذِي قَرَأَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَ السُّنَّةَ، وَاللهُ يَرْزُقُهُ بِبَرَكَةِ صِدْقِهِ وَنُورِ قَلْبِهِ؛ فَهْمًا فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ؛ يُغْنِيهِ عَنْ تَقْلِيدِ فَهْمِ غَيْرِهِ[4].

* **الْمُرِيدُ لِلهِ بِصِدْقٍ،** إِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا: أَوْقَعَهُ عَلَىٰ طَائِفَةٍ يُهَذِّبُونَ أَخْلَاقَهُ، وَيَدُلُّونَهُ عَلَىٰ تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ، وَإِزَالَةِ أَخْلَاقِهَا الذَّمِيمَةِ[5].

* **إِنَّكَ تُحْجَبُ عَنِ اللهِ، بِقَدْرِ إِرَادَتِكَ لِغَيْرِهِ!** قَالَ تَعَالَىٰ -عَنْ عِبَادِهِ الْمُقَرَّبِينَ-: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩][6].

* **أَخَصُّ أَوْصَافِ الْعَبْدِ، وَأَعْلَىٰ مَقَامَاتِهِ:** أَنْ يَكُونَ صَادِقَ الْإِرَادَةِ، بِحَيْثُ

---

(١) انظر: (٢/ ٣٤٦).

(٢) انظر: (٢/ ٣٤٧).

(٣) انظر: (٢/ ٣٤٨).

(٤) (٢/ ٣٤٨).

(٥) انظر: (٢/ ٣٥٠).

(٦) انظر: (٣/ ٩٥).

يَكُونُ مُرَادُهُ تَبَعًا لِمُرَادِ رَبِّهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ؛ لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ فِي سِوَاهُ[١].

❁ يَحْكِي شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنْ بَعْضِ الْعَارِفِينَ، أَنَّهُ قَالَ: (**النَّاسُ يَعْبُدُونَ اللهَ، وَالصُّوفِيَّةُ يَعْبُدُونَ أَنْفُسَهُمْ!**). قال ابنُ القَيِّم: (**أَرَادَ أَنَّهُمْ وَاقِفُونَ مَعَ مُرَادِهِمْ مِن اللهِ، لا مَعَ مُرَادِ اللهِ مِنْهُمْ**)[٢].

(٨) قَوَادِحُ الصِّدْق

❁ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَىٰ الصَّادِقِ: **صُحْبَةُ أَهْلِ الْغَفْلَةِ**؛ فهم قُطَّاعُ طَرِيقِ الْقَلْبِ إِلَىٰ اللهِ، بَلْ لَا تَصْبِرُ نَفْسُ الصادقِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَبَدًا، إِلَّا مَعَ ضَرُورَةٍ، وَتكُونُ صُحْبَتُهُمْ -فِي تِلْكَ الْحَالِ- بِقَالَبِهِ دُونَ قَلْبِه![٣].

❁ كَثِيرٌ مِن النَّاسِ يَصْدُقُ، وَلَكِنْ يَمْنَعُهُ مِن التَّصْدِيقِ: كِبْرٌ، أَوْ حَسَدٌ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ! قَالَ اللهُ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣][٤].

---

(١) انظر: (٣/ ١١٥).

(٢) انظر: (٢/ ٢٤٦).

(٣) انظر: (٢/ ٢٦٨).

(٤) انظر: (١/ ٤٧٣).

المبحث العشرون
الخَـــــوْفُ

(١) حَقِيقَةُ الْخَوْف

❁ الْخَوْفُ: مِنْ أَجَلِّ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَنْفَعِهَا لِلْقَلْبِ، وَهِيَ فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ[١].

❁ **الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ الصَّادِقُ**: مَا حَالَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ اللهِ ﷻ؛ **فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ**: خِيفَ مِنْهُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ[٢].

❁ **الْخَوْفُ الْمَذْمُوم**: ما يُفْضِي إِلَىٰ الْقُنُوطِ وَالْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَهَذَا الْخَوْفُ: إِسَاءَةُ أَدَبٍ عَلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ، الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَجَهْلٌ بِهَا![٣].

❁ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (**حَدُّ الْخَوْفِ: مَا حَجَزَكَ عَنْ مَعَاصِي اللهِ؛ فَمَا زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ: فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ**)[٤].

(٢) أَسْبَابُ الخَوْف

❁ عَلَىٰ قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ: يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً**»[٥].

❁ عَلَىٰ قَدْرِ الْعِلْمِ باللهِ: تَكُونُ الْخَشْيَةُ؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

---

(١) انظر: (١/ ٥٠٧).

(٢) (١/ ٥١٠).

(٣) انظر: (٢/ ٣٧١).

(٤) (٢/ ٣٧١).

(٥) (١/ ٥٠٨).

* **مَقَامُ الْخَشْيَةِ**: جَامِعٌ لِمَقَامِ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِحَقِّ عُبُودِيَّتِهِ؛ فَمَتَىٰ عَرَفَ اللهَ، وَعَرَفَ حَقَّهُ: اشْتَدَّتْ خَشْيَتُهُ لَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨][١].

* **مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ**: كان لَهُ أَخْوفَ![٢] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

* **الخَائِفُونَ**: يَشْتَدُّ خَوْفُهُمْ وَحَذَرُهُمْ إِذَا رَأَوْا مَا حَلَّ بِإبليس بِمُخَالَفَتِهِ، وَسُقُوطِهِ مِن الْمَرْتَبَةِ الْمَلَكِيَّةِ إِلَىٰ الْمَرْتَبَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ؛ فَلَا يَخْلُدُونَ إِلَىٰ غُرُورِ الْأَمَلِ بَعْدَ ذَلِكَ![٣].

* **كُلَّمَا كَانَ العَبْدُ بِاللهِ أَعْرَفَ، وَإِلَيْهِ أَقْرَبَ؛ كَانَتْ هَيْبَتُهُ وَإِجْلَالُهُ فِي قَلْبِهِ أَعْظَمَ، وَهِيَ أَعْلَىٰ مِنْ دَرَجَةِ خَوْفِ الْعَامَّةِ**[٤].

* مَنْ قَامَ بقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِنَ النَّارِ، وَشِدَّةِ حَرِّهَا، وَعَظِيم عَذَابِ أَهْلِهَا: انْخَلَعَ مِن الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَلَبِسَ ثِيَابَ الْحَذَرِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ كُلُّ مُصِيبَةٍ تُصِيبُهُ فِي غَيْرِ دِينِهِ وَقَلْبِهِ[٥].

* لما كانَ ﷺ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِاللهِ وَحُقُوقِهِ وَعَظْمَتِهِ؛ كَانَ أَصْحَابُهُ يَعُدُّونَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**) **مِائَةَ مَرَّةٍ!**[٦]

---

(١) (١/ ١٥٦-١٥٧).

(٢) انظر: (٣/ ٣١٧).

(٣) انظر: (٢/ ١٩٢).

(٤) (١/ ٥١٢).

(٥) انظر: (٣/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٦) انظر: (١/ ١٩٦-١٩٧).

(٣) صِفَاتُ الخَائِفِيْن

❁ قالَ اللهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]. قَالَ الْحَسَنُ: (**عَمِلُوا وَاللهِ بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتَهَدُوا فِيهَا، وَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً، وَالْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا!**)[١].

❁ مَنْ لَمْ يَتَقَطَّعْ قَلْبُهُ فِي **الدُّنْيَا** عَلَىٰ مَا فَرَّطَ: حَسْرَةً وَخَوْفًا؛ تَقَطَّعَ فِي **الْآخِرَةِ** إِذَا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ[٢] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة:١١٠].

❁ **الْعَبْدُ الْخَائِفُ الْوَجِلُ**: هُوَ أَحْوَجُ شَيْءٍ إِلَىٰ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا يَرَىٰ نَفْسَهُ فِي نِعْمَتِهِ إِلَّا طُفَيْلِيًّا، وَإِنْ صَدَرَ مِنْهُ إِحْسَانٌ: عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَحْضُ مِنَّةِ اللهِ عَلَيْهِ[٣].

(٤) فَوَائِدُ الخَوْفِ مِن الله

❁ الْمَقْصُودُونَ بِالْإِنْذَارِ، وَالْمُنْتَفِعُونَ بِالْآيَاتِ: هم **الخائفون**، دُونَ مَنْ عَدَاهُمْ! ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [هود:١٠٣][٤].

❁ **أَهْلُ النَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**: هُمُ الْمُصَدِّقُونَ بِالْوَعِيدِ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤][٥].

---

(١) (١/ ٥٠٧).

(٢) انظر: (١/ ٢٠٤).

(٣) انظر: (٢/ ٣٤٠).

(٤) انظر: (١/ ١٦٥).

(٥) (١/ ١٦٥).

* **لَا تَنْفَعُ الْمَوْعِظَةُ إِلَّا لِمَنْ خَافَ!** قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [هود:١٠٣][(١)].

* الْخَوْفُ: **سَوْطُ اللهِ**، يُقَوِّمُ بِهِ الشَّارِدِينَ عَنْ بَابِهِ، وهو **سِرَاجٌ فِي الْقَلْبِ**، بِهِ يُبْصَرُ مَا فِيهِ مِن الْخَيْرِ وَالشَّرِّ[(٢)].

* **كُلُّ** أَحَدٍ إِذَا خِفْتَهُ: هَرَبْتَ مِنْهُ، إِلَّا اللهَ ﷻ؛ فَإِنَّكَ إِذْ خِفْتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ[(٣)]؛ فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَىٰ رَبِّهِ![(٤)].

* **مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ**، وإِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ: أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا! والنَّاسُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ مَا لَمْ يَزُلْ عَنْهُمُ الْخَوْفُ، فَإِذَا زَالَ عَنْهُمْ: ضَلُّوا الطَّرِيقَ[(٥)].

* عَلَىٰ حَسْبِ **الْخَوْفِ مِن النَّارِ**؛ يَكُونُ الْبُعْدُ مِن الْمَعَاصِي، فَيُذِيبُ هَذَا الخوفُ مِنْ قَلْبِهِ: الْفَضَلَاتِ الْمُهْلِكَةَ؛ فَيَجِدُ الْقَلْبُ لَذَّةَ الْعَافِيَةِ وَسُرُورَهَا![(٦)]

* مَنْ تَرَكَ المعصيةَ لِلهِ (مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهَا): أُثِيبَ، وَإِنْ تَرَكَهَا عَجْزًا (بَعْدَ بَذْلِهِ مَقْدُورَهُ فِي تَحْصِيلِهَا): اسْتَحَقَّ عُقُوبَةَ الْفَاعِلِ فِي الْإِثْمِ دُونَ الْحُكْمِ[(٧)].

---

(١) انظر: (١/ ٤٤٦).

(٢) انظر: (١/ ٥٠٩).

(٣) ومَنْ خافَ شَيْئًا غيرَ اللهِ؛ سُلِّطَ عليه! وهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ في خَلْقِه؛ ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٢، الفتح:٢٣]. انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٦)، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٨).

(٤) (١/ ٥٠٩).

(٥) انظر: (١/ ٥٠٩).

(٦) انظر: (٣/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٧) انظر: (١/ ١٥٧).

(٥) الإِيْمَانُ والخَوْف

* قَطَّعَ خَوْفُ النِّفَاقِ: قُلُوبَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ؛ لِعِلْمِهِمْ بِدِقِّهِ وَجِلِّهِ، وَتَفَاصِيلِهِ وَجُمَلِهِ(١)، قال الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: (**مَا أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ، وَمَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ!**)(٢).

* مُلِئَتْ قُلُوبُ الْصَّحَابَةِ إِيمَانًا وَيَقِينًا، وَخَوْفُهُمْ مِن النِّفَاقِ شَدِيدٌ، وَسِوَاهُمْ مِمَّن لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَدَّعُونَ أَنَّ إِيمَانَهُمْ: كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ!(٣)

* مَنْ عَلِمَ أَنَّ نَفْسَهُ الَّتِي يَخَافُ عَلَيْهَا؛ قَدْ سَلَّمَهَا إِلَىٰ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهَا، وَأَنَّ مَا كُتِبَ لَهَا لَا بُدَّ أَنْ يُصِيبَهَا؛ فَلَا مَعْنَىٰ لِلْخَوْفِ مِنْ غَيْرِ اللهِ!(٤)

(٦) نِهَايَةُ الخَوْف

* خَوْفُ التَّائِبِ مُسْتَمِرٌّ، إِلَىٰ أَنْ يَسْمَعَ قَوْلَ الرُّسُلِ لِقَبْضِ رُوحِهِ: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠]؛ فَهُنَاكَ يَزُولُ الْخَوْفُ(٥).

* الْخَوْفُ لَيْسَ مَقْصُودًا لِذَاتِهِ، بَلْ هُوَ مَقْصُودٌ لِغَيْرِهِ (قَصْدَ الْوَسَائِلِ)، وَلِهَذَا يَزُولُ بِزَوَالِ الْمَخُوفِ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢](٦).

---

(١) (١/ ٣٦٤).

(٢) (١/ ٣٦٥).

(٣) انظر: (١/ ٣٦٥).

(٤) انظر: (٢/ ٣٢).

(٥) انظر: (١/ ٢٠٣).

(٦) (١/ ٥١٠).

المبحث الحادي والعشرون

المُرَاقَــبَةُ

(١) حَقِيقَةُ المُرَاقَبَة

* الْمُرَاقَبَةُ: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ، وَتَيَقُّنُهُ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ؛ فَاسْتِدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ: هِيَ الْمُرَاقَبَةُ[١].

* مَقَامُ الْمُرَاقَبَةِ: جَامِعٌ لِلْمَعْرِفَةِ مَعَ الْخَشْيَةِ؛ فَبِحَسَبِهِمَا يَصِحُّ مَقَامُ الْمُرَاقَبَةِ[٢].

* **«تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»**: وَهَذَا مَقَامُ الْمُرَاقَبَةِ. **«فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**: وَهَذَا الْعِلْمُ بِاطِّلَاعِ اللهِ عَلَيْهِ. **فَالْأَوَّلُ**: مَقَامُ الْإِحْسَانِ. **وَالثاني**: مَقَامُ الْإِيمَانِ، وَلَيْسَ دُونَ ذَلِكَ إِلَّا مَقَامُ الْخُسْرَانِ![٣].

(٢) أَسْبَابُ المُرَاقَبَة

* المراقبةُ: هِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِ العَبْدِ بِأَنَّ اللهَ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ، سَامِعٌ لِقَوْلِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَىٰ عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَلَحْظَةٍ، وَكُلَّ نَفَسٍ وطَرْفَةِ عَيْنٍ، وَالْغَافِلُ عَنْ هَذَا بِمَعْزِلٍ![٤].

* الْمُرَاقَبَةُ: هِيَ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ: (الرَّقِيبِ، الْحَفِيظِ، الْعَلِيمِ، السَّمِيعِ، الْبَصِيرِ)؛ فَمَنْ عَقَلَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، وَتَعَبَّدَ بِمُقْتَضَاهَا: حَصَلَتْ لَهُ الْمُرَاقَبَةُ[٥].

---

(١) انظر: (٢/ ٦٥).

(٢) (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: (٢/ ٢٠٩).

(٤) انظر: (٢/ ٦٥).

(٥) (٢/ ٦٦).

* إِذَا جَلَسْتَ لِلنَّاسِ؛ فَكُنْ وَاعِظًا لِقَلْبِكَ وَنَفْسِكَ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّهُمْ يُرَاقِبُونَ ظَاهِرَكَ، وَاللهُ يُرَاقِبُ بَاطِنَكَ!(١).

(٣) فَوَائِدُ الْمُرَاقَبَة

* مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي خَوَاطِرِهِ: عَصَمَهُ فِي حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ(٢).

* مُرَاقَبَةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الْخَوَاطِرِ: سَبَبٌ لِحِفْظِهَا فِي حَرَكَاتِ الظَّوَاهِرِ؛ فَمَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي سِرِّهِ؛ حَفِظَهُ اللهُ فِي حَرَكَاتِهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ(٣).

* الْمُرَاقَبَةُ: تُعْطِي نُورًا كَاشِفًا لِحَقَائِقِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ(٤).

* مُرَاقَبَةُ اللهِ: هِيَ الْمُوجِبَةُ لِكُلِّ صَلَاحٍ وَخَيْرٍ عَاجِلٍ وَآجِلٍ، وَتُوجِبُ إِصْلَاحَ النَّفْسِ، وَاللُّطْفَ بِالْخَلْقِ(٥).

---

(١) (٢/ ٦٦). وَذَكَرَ ابنُ القَيِّم: أَنَّ أُصُولَ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَفُرُوعَهَا كُلَّهَا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ! وَهِيَ قَوْلُهُ ﷺ فِي الإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ». وكُلُّ مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَكُلُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ تَجِدُ المراقبةَ: أَصْلَهُ وَمَنْبَعَهُ!

انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (٤/ ١٥٦).

(٢) (٢/ ٦٥).

(٣) (٢/ ٦٦).

(٤) (١/ ٢٧٩).

(٥) انظر: (٢/ ٤٧٨).

المبحث الثاني والعشرون
الخُشُــــوعُ

(١) حَقِيقَةُ الخُشُوْع

* الْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ: بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ[١].

* الْخُشُوعُ: مَعْنىً يَلْتَئِمُ مِن التَّعْظِيمِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ[٢].

* قَالَ الْجُنَيْدُ: (**الْخُشُوعُ: تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ**)[٣].

* الْخُشُوعُ: هُوَ الِاسْتِسْلَامُ لِلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ (بِعَدَمِ مُعَارَضَتِهِ بِرَأْيٍ أَوْ شَهْوَةٍ)، وَالِاسْتِسْلَامُ لِلْحُكْمِ الْقَدَرِيِّ (بِعَدَمِ تَلَقِّيهِ بِالتَّسَخُّطِ وَالِاعْتِرَاضِ)[٤].

(٢) أَهَمِّيَّةُ الخُشُوْع

* وَهَلْ طَهَارَةُ الظَّاهِرِ فِي الصَّلَاةِ؛ إِلَّا تَكْمِيلٌ لِطَهَارَةِ الْبَاطِنِ؟!‏[٥].

* إِذَا كانَ تَوَجُّهُ الْمُصَلِّىٰ إِلَىٰ الْقِبْلَةِ بِقَالَبِهِ: شَرْطٌ لِصِحَّةِ الصَّلَاةِ؛ فَكَيْفَ تَصِحُّ صَلَاةُ مَنْ لَمْ يَتَوَجَّهْ بِقَلْبِهِ إِلَىٰ رَبِّ الْقِبْلَةِ؟[٦].

* الْعَبْدُ لَا يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ؛ حَتَّىٰ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِوَجْهِهِ، وَيَسْتُرَ عَوْرَتَهُ، وَيُطَهِّرَ بَدَنَهُ وَثِيَابَهُ؛ وهَكَذَا الْقَلْبُ فِي الصَّلَاةِ: يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ كُلِّهِ، وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ بِلِبَاسِ التَّقْوَىٰ، وَيُطَهِّرُهُ مِنْ أَدْنَاسِهِ![٧].

---

(١) (١/ ٥١٦).

(٢) (١/ ٥١٨).

(٣) (١/ ٥١٧).

(٤) انظر: (١/ ٥١٨).

(٥) انظر: (٢/ ٣٩١).

(٦) انظر: (٢/ ٣٩١).

(٧) انظر: (٣/ ٨٤).

(٣) عَلَامَاتُ الخُشُوْعِ

❁ الخَاشِعُ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ؛ وَدَّ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْهَا، وَإِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللهِ؛ هَدَأَ قَلْبُهُ بِهِ: كَمَا يَهْدَأُ الصَّبِيُّ إِذَا أُعْطِيَ مَا هُوَ شَدِيدُ الْمَحَبَّةِ لَهُ![١].

❁ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: **(لَأَنْ تَخْتَلِفَ فِيَّ الأَسِنَّةُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحَدِّثَ نَفْسِي فِي الصَّلَاةِ بِغَيْرِ مَا أَنَا فِيهِ!)**[٢].

❁ مِنْ عَلَامَاتِ الخُشُوْعِ: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُوْلِفَ، وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ: اِسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ[٣].

(٤) أَسْبَابُ الخُشُوْعِ

❁ إِنَّمَا يُفَارِقُ الخُشُوْعُ الْقَلْبَ؛ إِذَا غَفَلَ عَنِ اطِّلَاعِ اللهِ عَلَيْهِ. وكُلَّمَا كَانَ القَلْبُ أَشَدَّ اسْتِحْضَارًا لَه: كَانَ أَشَدَّ خُشُوعًا![٤].

❁ مُطَالَعَةُ عُيُوبِ النَفْسِ وَنَقَائِصِهَا: (مِنَ الْكِبْرِ، وَالْعُجْبِ، وَالرِّيَاءِ، وَغَيْرِهَا مِنَ العُيُوبِ)؛ يَجْعَلُ الْقَلْبَ خَاشِعًا لا مَحَالَه[٥].

(٥) فَوَائِدُ الخُشُوْعِ

❁ عَلَّقَ اللهُ فَلَاحَ الْمُصَلِّينَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ: فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ[٦].

(١) انظر: (٣/ ٣٥٢).

(٢) (٣/ ٣٩٢-٣٩٣).

(٣) انظر: (١/ ٥١٦).

(٤) انظر: (١/ ٥١٨-٥١٩).

(٥) انظر: (١/ ٥١٩).

(٦) (١/ ٥٢٢).

❁ إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونُ مُقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ![١].

❁ بِحَسَبِ إِرَادَةِ الإِنْسَانِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَأُنْسِهِ بِاللهِ، وَوَحْشَتِهِ مِمَّا سِوَاهُ؛ تَصِيرُ الصَّلَاةُ **قُرَّةَ عَيْنِهِ**: بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عِبْئًا عَلَيْهِ، **وَيَسْتَرِيحُ بِهَا**: بَعْدَ أَنْ كَانَ يَطْلُبُ الرَّاحَةَ مِنْهَا![٢].

(٦) فَقْدُ الْخُشُوعِ

❁ الصَّلَاةُ بِلَا خُشُوعٍ: هِيَ صَلَاةُ الْأَبْدَانِ، لَا صَلَاةُ الْقُلُوبِ![٣].

❁ قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ: الْخُشُوعُ، وَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ؛ فَلَا تَرَىٰ فِيهِمْ خَاشِعًا)**[٤].

❁ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: **(لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا)**[٥].

❁ إِذَا كَانَتْ طَهَارَةُ الثَّوْبِ وَالْبَدَنِ، شَرْطًا فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ؛ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ نَجِسًا، وَلَمْ يُطَهِّرْهُ صَاحِبُهُ؟ فَكَيْفَ يُعْتَدُّ لَهُ بِصَلَاتِهِ، وَإِنْ أَسْقَطَت الْقَضَاءَ؟[٦].

❁ **بَدَنُ الْغَافِلِ** وَاقِفٌ فِي الصَّلَاةِ، وَقَلْبُهُ يَسْبَحُ فِي حُشُوشِ الدُّنْيَا وَالْأَمَانِيِّ![٧].

---

(١) (١/ ٥٢٦).

(٢) انظر: (٢/ ٣٥٤).

(٣) انظر: (١/ ٣٦٢).

(٤) انظر: (١/ ٥١٧).

(٥) (١/ ٥٢١).

(٦) انظر: (٢/ ٣٩١).

(٧) (٣/ ٣٢٢).

المبحث الثالث والعشرون

الإِخْبَـــاتُ

(١) حَقِيْقَةُ الإِخْبَات

❁ الإِخْبَاتُ يدُورُ عَلَىٰ مَعْنَيَيْنِ: ١-التَّوَاضُعِ، ٢-وَالسُّكُونِ إِلَىٰ اللهِ[١].

❁ الْإِخْبَاتُ: جَامِعٌ لِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ وَالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ؛ لَا يَكْمُلُ أَحَدُهَا بِدُونِ الْآخَرِ[٢].

(٢) فَوَائِدُ الإِخْبَات

❁ حُصُولُ الْإِخْبَاتِ: كالْمَاءِ الْعَذْبِ الَّذِي يَرِدُهُ الْمُسَافِرُ عَلَىٰ ظَمَأٍ؛ فَإِذَا وَرَدَهُ: زَالَ عَنْهُ خَاطِرُ الرُّجُوعِ، وأَكْمَلَ سَيْرَهُ إِلىٰ اللهِ[٣].

❁ مَنْ تَمَكَّنَ مِنْ مَنْزِلِ الْإِخْبَاتِ: انْدَفَعَتْ عَنْهُ الْآفَاتُ؛ ولَمْ يَطْمَعْ فِيهِ عَارِضُ الْفِتْنَةِ[٤].

❁ مَتَىٰ اسْتَقَرَّتْ قَدَمُ الْعَبْدِ فِي مَنْزِلَةِ الْإِخْبَاتِ: ارْتَفَعَتْ هِمَّتُهُ، وَعَلَتْ نَفْسُهُ؛ فَلَا يَفْرَحُ بِمَدْحِ النَّاسِ، وَلَا يَحْزَنُ لِذَمِّهِمْ[٥].

❁ هَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ تَعْرِضُ لِصَادِقِ الْإِرَادَةِ:

١-سَبَبٌ يَنْقُضُ عَزْمَهُ وَإِرَادَتَهُ ٢-ووَحْشَةٌ تَعرِضُ لَهُ

٣-وَفِتْنَةٌ تَخْرُجُ عَلَيْهِ؛ فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْ مَنْزِلِ الْإِخْبَاتِ: انْدَفَعَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْآفَاتُ![٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٦).

(٢) انظر: (٢/ ١٥٦).

(٣) انظر: (٢/ ٦).

(٤) انظر: (٢/ ٨).

(٥) (٢/ ٨).

(٦) انظر: (٢/ ٨).

المبحث الرابعُ والعشرون

الرَّجَـــــاءُ

(١) حَقِيقَةُ الرَّجَاء

* **حَدُّ الرَّجَاء**: أَنْ لَا يَبْلُغَ بِهِ إِلَىٰ حَدٍّ يَأْمَنُ مَعَهُ الْعُقُوبَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ[1].

* حَدُّ الرَّجَاءِ: مَا طَيَّبَ لَكَ الْعِبَادَةَ، وَحَمَلَكَ عَلَىٰ السَّيْرِ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرِّيَاحِ الَّتِي تُسَيِّرُ السَّفِينَةَ، فَإِذَا انْقَطَعَتْ: وَقَفَت السَّفِينَةُ، وَإِذَا زَادَتْ: أَلْقَتْهَا إِلَىٰ الْمَهَالِكِ، وَإِذَا كَانَتْ بِقَدْرٍ: أَوْصَلَتْهَا إِلَىٰ الْبُغْيَةِ[2].

* الرَّجَاءُ: لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ، قَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيُّ: (**عَلَامَةُ صِحَّةِ الرَّجَاءِ: حُسْنُ الطَّاعَةِ**)[3].

(٢) فَوَائِدُ الرَّجَاء

* الرَّجَاءُ: حَادٍ يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَىٰ بِلَادِ الْمَحْبُوبِ (وَهُوَ اللهُ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ)، وَيُطَيِّبُ لَهَا السَّيْرُ[4].

* لَوْلَا الرَّجَاءُ: لَمَا تَحَرَّكَتِ الْجَوَارِحُ بِالطَّاعَةِ، وَلَوْلَا رِيحُهُ الطَّيِّبَةُ: لَمَا جَرَتْ سُفُنُ الْأَعْمَالِ![5].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٧١).

(٢) (٢/ ٣٧١).

(٣) (٢/ ٣٧).

(٤) (٢/ ٣٦).

(٥) انظر: (٢/ ٤٣).

* **الرَّجَاءُ**: ضَرُورِيٌّ لِلْمُرِيدِ السَّالِكِ، وَلَوْ فَارَقَهُ لَحْظَةً لَتَلِفَ؛ فَإِنَّهُ دَائِرٌ بَيْنَ ذَنْبٍ يَرْجُو غُفْرَانَهُ، وَعَيْبٍ يَرْجُو إِصْلَاحَهُ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ يَرْجُو قَبُولَهُ[١].

* **الرَّجَاءُ**: مِنْ أَقْوَىٰ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ مَا يَرْجُوهُ مِنْ رَبِّهِ[٢].

* **الرَّجَاءُ**: حَادٍ يَحْدُو بِالْمُؤْمِنِ فِي سَيْرِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَيُطَيِّبُ لَهُ الْمَسِيرَ، وَيَحُثُّهُ عَلَيْهِ، وَيَبْعَثُهُ عَلَىٰ مُلَازَمَتِهِ؛ فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ![٣].

* **فِي الرَّجَاءِ** -مِن التَّرَقُّبِ لِفَضْلِ اللهِ- مَا يُوجِبُ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِذِكْرِهِ، وَدَوَامَ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِ: **بِمُلَاحَظَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**، وَتَنَقُّلَ الْقَلْبِ فِي رِيَاضِهَا الْأَنِيقَةِ[٤].

* **قُوَّةُ الرَّجَاءِ**، وتَرَقُّبُ الْفَرَجِ: **يُخَفِّفُ الْمَشَقَّةَ**؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ فِي حَشْوِ الْبَلَاءِ مِنْ رَوحِ الْفَرَجِ وَنَسِيمِهِ: مَا هُوَ مِنْ خَفِيِّ الْأَلْطَافِ، وَمَا هُوَ فَرَجٌ مُعَجَّلٌ، وَبِهِ يُفْهَمُ مَعْنَىٰ اسْمِهِ (اللَّطِيفِ)![٥].

* ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ﴾ [العنكبوت:٥]: هَذَا تَعْزِيَةٌ لِلْمُشْتَاقِينَ، وَتَسْلِيَةٌ لَهُمْ، بِرَجَاءِ اللِّقَاءِ؛ فَإِنَّهُ آتٍ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ[٦].

(٣) أَسْبَابُ الرَّجَاء

* **قُوَّةُ الرَّجَاءِ**؛ عَلَىٰ حَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَوْلَا الرَّجَاءُ:

---

(١) انظر: (٢/ ٤٣).

(٢) انظر: (٢/ ٤٤).

(٣) انظر: (٢/ ٥١).

(٤) انظر: (٢/ ٥٢).

(٥) انظر: (٢/ ١٦٦).

(٦) انظر: (٣/ ٥٢).

لَعُطِّلَتْ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ[١].

❁ الَّذِي يَحْسِمُ مَادَّةَ رَجَاءِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ قَلْبِكَ: (هُوَ الرِّضَا بِحُكْمِ اللهِ وَقَسْمِهِ لَكَ)؛ فَمَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللهِ وَقَسْمِهِ؛ لَمْ يَبْقَ لِرَجَاءِ الْخَلْقِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ![٢]

❁ مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَجَاءِ رَبِّهِ، فَأَعْطَاهُ مَا رَجَاهُ؛ كَانَ ذَلِكَ أَلْطَفَ وَأَحْلَىٰ عِنْدَ الْعَبْدِ؛ وَأَبْلَغَ مِنْ حُصُولِ مَا لَمْ يَرْجُهُ[٣].

❁ أَحَدُ الْأَسْبَابِ وَالْحِكَمِ فِي جَعْلِ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ أنه عَلَىٰ قَدْرِ رَجَائِهِمْ وَخَوْفِهِمْ؛ يَكُونُ فَرَحُهُمْ فِي الْقِيَامَةِ بِحُصُولِ مَرْجُوِّهِمْ، وَانْدِفَاعِ مُخَوِّفِهِمْ[٤].

(٤) الرَّجَاءُ والخَوْف

❁ الْخَوْفُ مُسْتَلْزِمٌ لِلرَّجَاءِ. وَالرَّجَاءُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْخَوْفِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، والْمَعْنَىٰ: مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ لِلهِ عَظَمَةً؟[٥].

❁ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:١٤]. أي: لَا يَخَافُونَ وَقَائِعَ اللهِ بِهِمْ: كَوَقَائِعِهِ بِمَنْ قَبْلَهُمْ[٦].

❁ كُلُّ رَاجٍ: خَائِفٌ مِنْ فَوَاتِ مَرْجُوِّهِ. وَالْخَوْفُ بِلَا رَجَاءٍ: يَأْسٌ وَقُنُوطٌ[٧].

---

(١) انظر: (٢/ ٤٣).

(٢) (٢/ ٣٢).

(٣) انظر: (٢/ ٥١-٥٢).

(٤) انظر: (٢/ ٥١-٥٢).

(٥) انظر: (٢/ ٥١).

(٦) انظر: (٢/ ٥١).

(٧) انظر: (٢/ ٥١).

(٥) أَفْضَلُ الرَّجَاء

❁ رَجَاءُ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ: هُوَ رَجَاءُ لِقَاءِ الْخَالِقِ: الْبَاعِثُ عَلَى الِاشْتِيَاقِ لِلْخَالِقِ، الْمُزَهِّدُ فِي الْخَلْقِ؛ وهَذَا أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الرَّجَاءِ، وَإِلَيْهِ شَخَصَتْ أَبْصَارُ الْمُشْتَاقِينَ![1].

❁ رجَاءُ لِقَاءِ اللهِ: هُوَ مَحْضُ الْإِيمَانِ وَزُبْدَتُهُ، وَإِلَيْهِ شَخَصَتْ أَبْصَارُ الْمُشْتَاقِينَ! وَلِذَلِكَ سَلَّاهُمُ اللهُ بِإِتْيَانِ أَجَلِ لِقَائِهِ، وَضَرَبَ لَهُمْ أَجَلًا يُسَكِّنُ نُفُوسَهُمْ وَيُطَمْئِنُهَا! ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ﴾ [العنكبوت:٥][2].

---

(١) انظر: (٢/ ٥٤).

(٢) انظر: (٢/ ٥٤).

المبحث الخامس والعشرون

حُسْــنُ الظَّــن

(١) حُسْنُ الظَّنِّ بالله

❁ **المُسْلِمُ**: حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّه، لَا يَتَّهِمُهُ فِيمَا يُجْرِيهِ عَلَيْهِ مِنْ أَقْضِيَتِهِ وَأَقْدَارِه، فَحُسْنُ ظَنِّهِ بِهِ؛ يُوجِبُ لَهُ رِضَاهُ بِمَا يَخْتَارُهُ لَهُ سَيِّدُهُ سُبْحَانَهُ![1].

❁ تَوَعَّدَ اللهُ مُسِيءَ الظَّنِّ بِهِ، بِمَا لَمْ يَتَوَعَّدْ بِهِ غَيْرَهُ! قال تعالىٰ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦][2].

❁ لَوْلَا ظَنُّ السَّوْءِ بِاللهِ: لَمَا أُشْرِكَ بِهِ: كَمَا قَالَ (إِمَامُ الْحُنَفَاءِ) لِقَوْمِهِ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٦-٨٧]: أي مَا الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِهِ؛ حَتَّىٰ جَعَلْتُمْ مَعَهُ شُرَكَاءَ؟![3].

❁ عَلَىٰ قَدْرِ حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ، وَرَجَائِكَ لَهُ؛ يَكُونُ تَوَكُّلُكَ عَلَيْه؛ فَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ: يَدْعُوكَ إِلَىٰ (التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ)، إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ التَّوَكُّل عَلَىٰ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ، وَلَا التَّوَكُّل عَلَىٰ مَنْ لَا تَرْجُوهُ![4].

❁ **يَمْنَعُ اللهُ إِجَابَةَ عَبْدِه**: حِمَايَةً وَصِيَانَةً، وَحِفْظًا لَا بُخْلًا؛ فَيَظُنُّ الإِنْسَانُ بِجَهْلِهِ:

(١) انظر: (٢/ ١٩٩).

(٢) انظر: (٣/ ٣٢٤).

(٣) انظر: (٣/ ٣٢٤).

(٤) انظر: (٢/ ١٢٢).

أَنَّ اللهَ لَا يُحِبُّهُ وَلَا يُكْرِمُهُ، وَيَرَاهُ يَقْضِي حَوَائِجَ غَيْرِهِ؛ فَيُسِيءُ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ![1]

❁ لَا تَظُنَّ أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَىٰ اللهُ؛ لِكَرَامَةِ عَبْدِهِ، وَلَا كُلَّ ما مَنَعَ اللهُ؛ لِهَوَانِ عَبْدِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ عَطَاءَهُ وَمَنْعَهُ: ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، يَمْتَحِنُ بِهِمَا عِبَادَهُ![2].

❁ **الْإِكْرَامُ وَالْإِهَانَةُ:** لَا يَدُورَانِ عَلَىٰ الْمَالِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُوَسِّعُ عَلَىٰ الْكَافِرِ، وَيُقَتِّرُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ. وإِنَّمَا **يُكْرِمُ اللهُ** مَنْ يُكْرِمُهُ: بِمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ، **وَيُهِينُ** مَنْ يُهِينُهُ: بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَمَعْصِيَتِهِ![3].

❁ (الْمُلْكُ وَالْجَاهُ وَالْمَالُ): مُعْطَاةٌ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ؛ فَمَن اسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ لِمَنْ آتَاهُ إِيَّاهُ، وَأَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ، فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ الْجَاهِلِينَ![4].

(٢) حُسْنُ الظَّنِّ بِالنَّفْس

❁ حُسْنُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ؛ يَمْنَعُ مِنْ كَمَالِ التَّفْتِيشِ، وَيُلَبِّسُ عَلَيْهِ؛ فَيَرَىٰ الْمَسَاوِئَ مَحَاسِنَ، وَالْعُيُوبَ كَمَالًا![5].

❁ لَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَمَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِنَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِنَفْسِهِ![6].

❁ **الْمُؤْمِنُ:** جَمَعَ إِحْسَانًا فِي مَخَافَةٍ، وَسُوءَ ظَنٍّ بِنَفْسِهِ. **وَالْمَغْرُورُ:** حَسَنُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ، مَعَ إِسَاءَتِه![7]

---

(١) انظر: (١/ ١٠٠-١٠١).

(٢) انظر: (١/ ١٠١).

(٣) انظر: (١/ ١٠١).

(٤) انظر: (١/ ١٠٣-١٠٤).

(٥) (١/ ١٨٩).

(٦) (١/ ١٨٩).

(٧) (٢/ ٩٦).

المبحث السادس والعشرون

المَحَبَّةُ

(١) حَقِيقَةُ المَحَبَّة

* **الْمَحَبَّةُ**: سَفَرُ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ الْمَحْبُوبِ، وَلَهَجُ اللِّسَانِ بِذِكْرِهِ عَلَىٰ الدَّوَامِ[١].

* **مَحَبَّةُ اللهِ**: هِيَ حَقِيقَةُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ: هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ الْعِبَادُ: (ذُلًّا، وَخَوْفًا، وَرَجَاءً، وَتَعْظِيمًا، وَطَاعَةً). وَهُوَ الَّذِي تَأْلَهُهُ الْقُلُوبُ: أَيْ تُحِبُّهُ، وَتَذِلُّ لَهُ[٢].

* **أَصْلُ التَّأَلُّهِ**: التَّعَبُّدُ. وَالتَّعَبُّدُ: آخِرُ مَرَاتِبِ الْحُبِّ، فَـ(**الْمَحَبَّةُ**): حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ[٣].

* **مَقَامُ الْمَحَبَّةِ**: جَامِعٌ لِمَقَامِ الْمَعْرِفَةِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالْإِرَادَةِ؛ **فَالْمَحَبَّةُ**: مَعْنًىٰ يَلْتَئِمُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، وَبِهَا تَحَقُّقُهَا[٤].

(٢) أَهَمِّيَّةُ المَحَبَّة

* **مَنْزِلَةُ الْمَحَبَّةِ**: هِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا: فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ، وَهِيَ النُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ: فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ![٥]

---

(١) (٣/ ١٧).

(٢) انظر: (٣/ ٢٧).

(٣) انظر: (٣/ ٢٨).

(٤) (١/ ١٥٦).

(٥) (٣/ ٨).

* قَالَ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٤١]. قَالَ الْكَلْبِيُّ: (اخْتَرْتُكَ بِالرِّسَالَةِ لِنَفْسِي؛ لِكَيْ تُحِبَّنِي وَتَقُومَ بِأَمْرِي)[١].

* الْمَحَبَّةُ: هِيَ أَفْرَضُ الْوَاجِبَاتِ، إِذْ هِيَ قَلْبُ الْعِبَادَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا، وَمُخُّهَا وَرُوحُهَا![٢]

* نِسْبَةُ الْمَحَبَّةِ إِلَىٰ الْأَعْمَالِ: كَنِسْبَةِ الْإِخْلَاصِ إِلَيْهَا، بَلْ هِيَ حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ، بَلْ هِيَ نَفْسُ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ الِاسْتِسْلَامُ بِالذُّلِّ وَالْحُبِّ وَالطَّاعَةِ لِله؛ فَمَنْ لَا مَحَبَّةَ لَهُ: لَا إِسْلَامَ لَهُ الْبَتَّةَ![٣]

* الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ: إِنَّمَا نَشَأَ عَنِ الْمَحَبَّةِ وَلِأَجْلِهَا، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي بِهِ خُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَهِيَ سِرُّ التَّأْلِيهِ[٤].

* لَو اجْتَمَعَتْ مَحَبَّةُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ: كَانَ ذَلِكَ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ، وَلِهَذَا لَا تُسَمَّىٰ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ (عِشْقًا)؛ لِأَنَّهُ إِفْرَاطُ الْمَحَبَّةِ، وَالْعَبْدُ لَا يَصِلُ فِي مَحَبَّةِ اللهِ إِلَىٰ حَدِّ الْإِفْرَاطِ الْبَتَّةَ[٥].

(٣) أَسْبَابُ الْمَحَبَّةِ

* مُشَاهَدَةُ بِرِّ اللهِ وَإِحْسَانِهِ وَآلَائِهِ، وَنِعَمِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ؛ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ[٦].

* مَعْرِفَةُ أَوْصَافِ اللهِ، وَنُعُوتِ كَمَالِهِ، وَحَقَائِقِ أَسْمَائِهِ: هِيَ الْجَاذِبَةُ لِلْقُلُوبِ

---

(١) (٣/ ٢٧٦).

(٢) (١/ ١٣١).

(٣) انظر: (٣/ ٢٧).

(٤) انظر: (٣/ ٢٠).

(٥) انظر: (٣/ ١٧).

(٦) انظر: (٣/ ١٨).

إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ تُحِبُّ مَنْ تَعْرِفُهُ[١].

* الْقُلُوبُ مَفْطُورَةٌ عَلَىٰ حُبِّ الْجَمَالِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الْجَمَالُ التَّامُّ الْكَامِلُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ: جَمَالُ الذَّاتِ، وَجَمَالُ الصِّفَاتِ، وَجَمَالُ الْأَفْعَالِ، وَجَمَالُ الْأَسْمَاءِ![٢]

* جَمِيعُ طُرُقِ الْأَدِلَّةِ: عَقْلًا، وَنَقْلًا، وَفِطْرَةً، وَقِيَاسًا، وَاعْتِبَارًا، وَذَوْقًا، وَوَجْدًا؛ تَدُلُّ عَلَىٰ إِثْبَاتِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَالرَّبِّ لِعَبْدِهِ[٣].

* بِحَسَبِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ؛ يَكُونُ مَنْشَأُ الْمَحَبَّةِ للهِ، وَثَبَاتِهَا وَقُوَّتِهَا، وَبِحَسَبِ نُقْصَانِ الِاتِّبَاعِ؛ يَكُونُ نُقْصَانُ الْمَحَبَّةِ للهِ[٤].

* مَنْ عَرَفَ اللهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ: أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ![٥]

(٤) فَوَائِدُ الْمَحَبَّةِ

* مَا يَفْعَلُهُ الْمُحِبُّ الصَّادِقُ، وَيَأْتِي بِهِ فِي خِدْمَةِ مَحْبُوبِهِ: هُوَ أَسَرُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَأَلَذُّهُ عِنْدَهُ، وَلَا يَرَىٰ ذَلِكَ تَكْلِيفًا[٦].

* فِي الْقَلْبِ فَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا مَحَبَّةُ اللهِ، وَلَا يُلَمُّ شَعَثُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ الْبَتَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِذَلِكَ: فَحَيَاتُهُ كُلُّهَا هُمُومٌ وَغُمُومٌ، وَآلَامٌ وَحَسَرَاتٌ![٧]

---

(١) انظر: (٣/ ٣٢٧).

(٢) انظر: (٣/ ٢٦٩).

(٣) (٣/ ٢٠).

(٤) انظر: (٣/ ٣٩).

(٥) (٣/ ١٨).

(٦) (٣/ ١٥٧).

(٧) انظر: (٣/ ٢٥٦).

* المُؤْمِنُ: لَا تَكْمُلُ حَيَاتُهُ وَلَا تَنْفَعُ، إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللهُ وَحْدَهُ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَأَشْوَقَ شَيْءٍ إِلَيْهِ[1].

* لَمَّا كَانَت الْمَحَبَّةُ التَّامَّةُ: مَيْلَ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَىٰ الْمَحْبُوبِ؛ كَانَ ذَلِكَ الْمَيْلُ حَامِلًا عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَهَذَا الْمَيْلُ هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَلُبُّهُ؛ وَبِهَذَا يَجِدُ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ![2]

* **الْمَحَبَّةُ**: هِيَ سِمَةُ الْمُسَافِرِينَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، الَّذِينَ رَكِبُوا جَنَاحَ السَّفَرِ إِلَيْهِ، ثُمَّ لَمْ يُفَارِقُوهُ إِلَىٰ حِينِ اللِّقَاءِ! **والْمَحَبَّةُ**: تَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِ الطَّالِبِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ[3].

* ذَهَبَ أَهْلُ المَحَبَّةِ بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ![4]

* سَبَقَ الْمُحِبُّونَ السُّعَاةَ، وَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِ الْفُرُشِ نَائِمُونَ، وَقَدْ تَقَدَّمُوا الرَّكْبَ بِمَرَاحِلَ، وَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ وَاقِفُونَ![5]

* الْمَحَبَّةُ تُوجِبُ اسْتِيلَاءَ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ عَلَىٰ الْقَلْبِ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَجِدَ الْمُحِبُّ الصَّادِقُ فَرَاغًا لِوَسْوَاسِ الْغَيْرِ؛ لِاسْتِغْرَاقِ قَلْبِهِ فِي مَحْبُوبِهِ، وَهَل الْوَسْوَاسُ إِلَّا لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ![6]

* **الْمُحِبُّ** يَجِدُ فِي لَذَّةِ الْمَحَبَّةِ مَا يُنْسِيهِ الْمَصَائِبَ، وَلَا يَجِدُ مِنْ مَسِّهَا مَا يَجِدُ غَيْرُهُ، بَلْ يَقْوَىٰ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ؛ حَتَّىٰ يَلْتَذَّ الْمُحِبُّ بِكَثِيرٍ مِن الْمَصَائِبِ الَّتِي يُصِيبُهُ بِهَا حَبِيبُهُ![7]

---

(١) انظر: (٣/ ٢٧٠).

(٢) انظر: (٢/ ١٨٣).

(٣) انظر: (٣/ ٣٧).

(٤) انظر: (٣/ ٩).

(٥) انظر: (٣/ ٩).

(٦) انظر: (٣/ ٣٨).

(٧) انظر: (٣/ ٣٨).

❁ لَا عُبُودِيَّةَ إِلَّا عُبُودِيَّةُ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ الْخَالِصَةِ؛ أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢][١].

❁ لَا يَزَالُ سَعْيُ الْمُحِبِّ صَاعِدًا إِلَىٰ حَبِيبِهِ، لَا يَحْجُبُهُ دُونَهُ شَيْءٌ؛ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠][٢].

❁ مَنْ امْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ: لَهِجَ لِسَانُهُ بِذِكْرِهِ، وَانْقَادَتِ الْجَوَارِحُ لِطَاعَتِهِ![٣]

❁ كُلَّمَا قَوِيَ الشُّعُورُ بِالْمَحْبُوبِ: اشْتَدَّ سَفَرُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ، وَكُلَّمَا اشْتَغَلَ الْفِكْرُ بِهِ: ازْدَادَ الشُّعُورُ بِهِ، وَالْبَصِيرَةُ فِيهِ، وَالتَّذَكُّرُ لَهُ[٤].

❁ لَمَّا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ التَّامَّةُ: مَيْلَ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَىٰ الْمَحْبُوبِ: كَانَ ذَلِكَ الْمَيْلُ حَامِلًا عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَهَذَا الْمَيْلُ هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَلُبُّهُ؛ وَبِهَذَا يَجِدُ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ![٥]

❁ لَمَّا كَانَ الْحُبُّ التَّامُّ وَالْإِخْلَاصُ؛ أَعْلَىٰ مِنْ مُجَرَّدِ الرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ: كَانَتْ ثَمَرَتُهُ أَعْلَىٰ: وَهُوَ وَجْدُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ. وَثَمَرَةُ الرِّضَا: ذَوْقُ طَعْمِ الْإِيمَانِ. فَهَذَا وَجْدُ حَلَاوَةٍ، وَذَلِكَ ذَوْقُ طَعْمٍ![٦]

❁ حَالُ الْمُحِبِّ الرَّاضِي فِي مَزِيدٍ، وَلَوْ فَتَرَتْ جَوَارِحُهُ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مَزِيدُهُ فِي

---

(١) (٣/ ٣٧).

(٢) (٣/ ١١).

(٣) انظر: (١/ ٤٢٩).

(٤) (١/ ٤٤٣).

(٥) انظر: (٢/ ١٨٣).

(٦) انظر: (٢/ ١٨٣).

حَالِ نَوْمِه وَأَكْلِهِ؛ أَكْثَرَ مِنْ مَزِيدِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِيَامِ والصِّيَامِ![١]

(٥) عَلَامَاتُ المَحَبَّة

❁ **الْمُحِبُّ لِرَبِّهِ**: يَشُدُّ مِئْزَرَ الْجِدِّ فِي طَلَبِ مَحَبَّةِ اللهِ بِأَنْوَاعِ التَّقَرُّبِ إليه: **فَقَلْبُهُ**: لِلْمَحَبَّةِ وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، **وَلِسَانُهُ**: لِلذِّكْرِ وَتِلَاوَةِ كَلَامِ حَبِيبِهِ، **وَجَوَارِحُهُ**: لِلطَّاعَاتِ[٢].

❁ **الْمَحَبَّةُ**: إِذَا تَمَكَّنَتْ مِن الْعَبْدِ؛ اسْتَكْثَرَ قَلِيلَ مَا يَنَالُهُ مِنْ مَحْبُوبِهِ[٣].

❁ **الْمُحِبُّ للهِ**: يَعِيشُ بَيْنَ النَّاسِ بِبَدَنِهِ، وَبَيْنَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ بِقَلْبِه؛ فَإِذَا فَارَقَ هَذَا الْعَالَمَ: انْتَقَلَتْ رُوحُهُ إِلَىٰ حَضْرَةِ مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ وَيُحِبُّهُمْ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ[٤].

❁ **الْمُحِبُّ الصَّادِقُ**: أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ الْخَبَرُ عَنْ مَحْبُوبِهِ وَذِكْرِه، كَمَا قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا؛ لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللهِ!**)[٥].

❁ قَالَ بَعْضُهُمْ: (**كَيْفَ يَشْبَعُونَ مِنْ كَلَامِ مَحْبُوبِهِمْ، وَهُوَ غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ؟!**)[٦].

❁ **الْمُحِبُّ للهِ**: لَا يُفَارِقُهُ السُّرُورُ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ بَحْرٌ قَدْ غَرِقَ فِيهِ، فَكَمَا أَنَّ الْغَرِيقَ: لَا يُفَارِقُهُ الْمَاءُ؛ كَذَلِكَ الْمُحِبُّ: لَا يُفَارِقُهُ السُّرُورُ[٧].

---

(١) انظر: (٢/ ٢١٨).

(٢) انظر: (٣/ ٢٥٣).

(٣) (٣/ ٨٣).

(٤) انظر: (٣/ ٢٧٨).

(٥) (٣/ ٢٩١).

(٦) (٣/ ٢٩١).

(٧) انظر: (٣/ ٢٩٢).

❁ أَعْظَمُ النَّاسِ مَحَبَّةً للهِ: أَشَدُّهُمْ صَبْرًا(١). وَالْمُحِبُّ الصَّادِقُ: مَنْ رَضِيَ بِمَا يُعَامِلُهُ بِهِ حَبِيبُهُ!(٢).

❁ الْفَرَحُ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ لَهُ؛ فَإِنَّ فَرَحَ الْعَبْدِ بِالشَّيْءِ: عَلَىٰ قَدْرِ مَحَبَّتِهِ وَرَغْبَتِهِ فِيهِ، ومَنْ لَيْسَ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الشَّيْءِ؛ لَا يُفْرِحُهُ حُصُولُهُ لَهُ، وَلَا يُحْزِنُهُ فَوَاتُهُ(٣).

❁ تَأَخَّرَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، وَثَبَتَ أَتْبَاعُ الْحَبِيبِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ؛ فَطُولِبُوا بِعَدَالَةِ الْبَيِّنَةِ بِتَزْكِيَةِ: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ [المائدة: ٥٤](٤).

❁ تَأَخَّرَ أَكْثَرُ الْمُحِبِّينَ، وَقَامَ الْمُجَاهِدُونَ؛ فَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّ نُفُوسَ الْمُحِبِّينَ وَأَمْوَالَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ؛ فَهَلُمُّوا إِلَىٰ بَيْعَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١](٥).

❁ لَمَّا ادَّعَتِ الْقُلُوبُ مَحَبَّةَ اللهِ: أَنْزَلَ اللهُ لَهَا مِحْنَةً: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وَهِيَ تُسَمَّىٰ (آيَةَ الْمَحَبَّةِ)، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (**ادَّعَىٰ قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللهِ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْمِحْنَةِ**)(٦).

❁ قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: (**عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ: كَثْرَةُ ذِكْرِهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تُحِبُّ شَيْئًا إِلَّا أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِهِ**)(٧).

---

(١) انظر: (٢/ ١٦٢).

(٢) (٢/ ١٩٩).

(٣) انظر: (٣/ ١٥٠).

(٤) (٣/ ١٠).

(٥) (٣/ ١٠).

(٦) انظر: (٣/ ٢٢).

(٧) (٢/ ٢١٠).

* قُرَّةُ عَيْنِ الْمُؤْمِنِ: بِحُبِّهِ لِرَبِّهِ، وَقُرْبِهِ مِنْهُ؛ فَإِنْ لَابَسَ الخَلْقَ؛ لَابَسَهُمْ بِرَسْمِهِ دُونَ سِرِّهِ؛ فَقَلْبُهُ وَرُوحُهُ: فِي مَلَأٍ، وَبَدَنُهُ وَرَسْمُهُ: فِي مَلَأٍ![1].

* شَأْنُ كُلِّ مُحِبٍّ صَادِقٍ: أَنْ يَرْضَىٰ بِمَا يَنَالُهُ فِي رِضَا مَحْبُوبِهِ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَمَتَىٰ تَسَخَّطَ بِهِ، وَتَشَكَّىٰ مِنْهُ؛ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ كَذِبِهِ فِي مَحَبَّتِهِ[2].

* مَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا يُصِيبُهُ فِي سَبِيلِ مَحْبُوبِهِ؛ فَلْيَنْزِلْ عَنْ دَرَجَةِ الْمَحَبَّةِ، وَلْيَتَأَخَّرْ؛ فَلَيْسَ مِنْ ذَا الشَّأْنِ![3].

* **الْمُحِبُّ الصَّادِقُ**: يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ مَحْبُوبِهِ بِغَايَةِ إِمْكَانِهِ، وَهُوَ مُعْتَذِرٌ إِلَيْهِ، مُسْتَحْيٍ مِنْهُ: وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّ قَدْرَهُ فَوْقَهُ وَأَجَلُّ مِنْهُ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ فِي مَحَبَّةِ الْمَخْلُوقِينَ[4].

* **دَلِيلُ الْمَحَبَّةِ**: اسْتِعْظَامُ كُلِّ عَطَاءٍ مِنْ اللهِ، وَأَنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِهِ؛ فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَسْتَكْثِرُ مِنْ مَحْبُوبِهِ كُلَّ مَا يَنَالُه؛ فَإِذَا ذَكَرَهُ بِشَيْءٍ وَأَعْطَاهُ: كَانَ سُرُورُهُ بِذِكْرِهِ لَهُ: أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِهِ بِذَلِكَ الْعَطَاءِ![5].

* **الْمُحِبُّ الصَّادِقُ**: يَرَىٰ مَوَاقِعَ لُطْفِ اللهِ بِهِ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، وَحُسْنَ دِفَاعِهِ عَنْهُ، وَالتَّلَطُّفَ فِي إِيصَالِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ عَنْهُ، وَكُلَّمَا فَتَّشَ عَنْ ذَلِكَ؛ اطَّلَعَ مِنْهُ عَلَىٰ أُمُورٍ عَجِيبَةٍ![6].

* **أَهْلُ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ**: لَا يَقْنَعُونَ بِمُجَرَّدِ رُسُومِ الْأَعْمَالِ، وَلَا بِالِاقْتِصَارِ

---

(١) انظر: (٢/ ٢٥٦).

(٢) انظر: (٢/ ٣٠٤).

(٣) (٢/ ٣٠٤).

(٤) انظر: (٢/ ٣٠٨).

(٥) انظر: (٢/ ٣٠٨).

(٦) انظر: (٢/ ٣٣٩).

عَلَىٰ الطَّلَبِ حَالَ الْعَمَلِ فَقَطْ[١].

* أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لله: كُلُّ أَنْفَاسِهِمْ بِاللهِ، وَإِلَىٰ اللهِ، مُتَلَبِّسَةً بِمَحَبَّتِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ؛ وَلَا تُسْتَنْكَرُ هَذِهِ الْحَالُ؛ فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ إِذَا غَلَبَتْ عَلَىٰ الْقَلْبِ: أَوْجَبَتْ لَهُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ![٢]

(٦) مَحَبَّةُ الرَّسُولِ ﷺ

* عَلَامَةُ مَحَبَّةِ اللهِ: إِيثَارُ طَاعَتِهِ، وَمُتَابَعَةُ رَسُولِهِ ﷺ[٣].

* ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]: إِشَارَةٌ إِلَىٰ دَلِيلِ الْمَحَبَّةِ وَثَمَرَتِهَا؛ **فَدَلِيلُهَا**: اتِّبَاعُ الرَّسُولِ. **وَفَائِدَتُهَا**: مَحَبَّةُ اللهِ؛ فَمَا لَمْ تَحْصُلِ الْمُتَابَعَةُ، فَلَيْسَتْ مَحَبَّتُكُمْ لَهُ حَاصِلَةً، وَمَحَبَّتُهُ لَكُمْ مُنْتَفِيَةً![٤]

* لَمَّا كَثُرَ الْمُدَّعُونَ لِلْمَحَبَّةِ؛ طُولِبُوا بِإِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ عَلَىٰ صِحَّةِ الدَّعْوَىٰ؛ فَقِيلَ: لَا تُقْبَلُ هَذِهِ الدَّعْوَىٰ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١][٥].

* مَنْ رُزِقَ **مَحَبَّةَ الرَّسُولِ** ﷺ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَىٰ قَلْبِهِ: جَعَلَهُ إِمَامَهُ وَمُعَلِّمَهُ، وَأُسْتَاذَهُ وَقُدْوَتَهُ؛ فَيُطَالِعُ سِيرَتَهُ وَصِفَاتَهُ وَأَخْلَاقَهُ؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ كَأَنَّهُ مَعَهُ، مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ![٦]

---

(١) انظر: (٣/ ٧).

(٢) انظر: (٣/ ٥١).

(٣) (٢/ ٤٣٧).

(٤) انظر: (٣/ ٢٢).

(٥) انظر: (٣/ ١٠).

(٦) انظر: (٣/ ٢٥١).

❁ لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ اللهَ، بَلِ الشَّأْنُ أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ، وَلَا يُحِبُّكَ اللهُ إِلَّا إِذَا اتَّبَعْتَ حَبِيبَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَلَا تَتعَنَّ، وَارْجِعْ فَالْتَمِسْ نُورًا؛ فَلَسْتَ عَلَىٰ شَيْءٍ![1]

❁ إِذَا غُرِسَتْ شَجَرَةُ الْمَحَبَّةِ فِي الْقَلْبِ، وَسُقِيَتْ بِمَاءِ الْإِخْلَاصِ، وَمُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ: أَثْمَرَتْ أَنْوَاعَ الثِّمَارِ، وَآتَتْ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ، وَفَرْعُهَا مُتَّصِلٌ بِسِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ[2].

(٧) نَعِيمُ الْمَحَبَّةِ

❁ نَعِيمُ الْمَحَبَّةِ فِي الدُّنْيَا: رَقِيقُهُ وَلَطِيفُهُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، بَلْ هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا؛ فَمَا طَابَتِ الدُّنْيَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَلَا الْجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَتِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ![3]

❁ نَعِيمُ الْمُحِبِّ دَائِمٌ، وَإِنْ مُزِجَ بِالْآلَامِ أَحْيَانًا، فَلَوْ عَرَفَ الْمَشْغُولُونَ بِغَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَا فِيهِ أَهْلُ مَحَبَّتِهِ، وَذِكْرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ مِنَ النَّعِيمِ؛ لَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ حَسَرَاتٍ[4].

❁ لَا شَيْءَ أَشَدُّ عَلَىٰ قَلْبِ الْمُحِبِّ: مِنْ إِعْرَاضِ مَحْبُوبِهِ عَنْهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ عَذَابُ أَهْلِ النَّارِ؛ بِاحْتِجَابِ رَبِّهِمْ عَنْهُمْ: أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْجِسْمَانِيِّ![5]

❁ مَحَبَّةُ اللهِ: حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنَعِيمُ الْأَرْوَاحِ، وَبَهْجَةُ النُّفُوسِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ،

---

(١) انظر: (٣/ ٣٩).

(٢) (٣/ ١١).

(٣) (٣/ ٢٩٢).

(٤) (٣/ ٢٩٢).

(٥) انظر: (٣/ ٦٤).

وَأَعْلَىٰ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[١].

(٨) الشِّرْكُ فِي المَحَبَّة

* أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ: قَدِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا فِي الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ[٢].

* مَحَبَّةُ الْمُؤْمِنِينَ: خَالِصَةٌ. وَمَحَبَّةُ أَصْحَابِ الْأَنْدَادِ: قَدْ ذَهَبَتْ أَنْدَادُهُمْ بِقِسْطٍ مِنْهَا. وَالْمَحَبَّةُ الْخَالِصَةُ: أَشَدُّ مِنِ الْمُشْتَرَكَةِ![٣]

* قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، أَيْ يَعْدِلُونَ بِهِ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ، الَّتِي هِيَ **الْمَحَبَّةُ وَالتَّعْظِيمُ**[٤].

---

(١) انظر: (٣/ ٢٣).

(٢) (٣/ ٢١).

(٣) (٣/ ٢١).

(٤) (٣/ ٢٢).

المبحث السَّابع والعشرون

الشَّـــوْقُ

(١) فَوَائِدُ الشَّوْق

* لَا نَعِيمَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَالِابْتِهَاجِ بِقُرْبِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَىٰ لِقَائِهِ؛ فَهَذِهِ جَنَّتُهُ الْعَاجِلَةُ[١].

* قَالَ بَعْضُ الْمُحِبِّين: (مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِن الدُّنْيَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا!)، قَالُوا: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: (مَحَبَّةُ اللهِ، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَائِهِ!)[٢].

* الشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَاءِ اللهِ: بَاعِثٌ عَلَىٰ كَمَالِ الِاسْتِعْدَادِ، وَعَلَىٰ خِفَّةِ أَعْبَاءِ السَّيْرِ، وَمُزِيلٌ لِكُلِّ فُتُورٍ، وَحامِلٌ عَلَىٰ كُلِّ صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَإِنَابَةٍ[٣].

* الشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَاءِ اللهِ: مُوجِبٌ لِطِيْبِ الْحَيَاةِ، وَقُرَّةِ الْعَيْنِ، وَلَذَّةِ الْقَلْبِ، وَبَهْجَةِ الرُّوحِ![٤]

(٢) أَسْبَابُ الشَّوْق

* في الحديث: «أَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ». سَأَلَ ﷺ أَنْ يَهَبَ لَهُ شَوْقًا إِلَىٰ لِقَائِهِ، مُصَاحِبًا لِلْعَافِيَةِ وَالْهِدَايَةِ؛ فَلَا تَصْحَبُهُ فِتْنَةٌ وَلَا مِحْنَةٌ[٥].

---

(١) انظر: (١/ ٤٥٢).

(٢) (١/ ٤٥٢).

(٣) انظر: (٢/ ٣٩٤).

(٤) انظر: (٢/ ٣٩٤).

(٥) انظر: (٢/ ٣٩٤).

* **الشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَاءِ اللهِ:** مِنْ أَجَلِّ الْعَطَايَا وَالْمَوَاهِبِ؛ ولا يَحْصُلُ إِلَّا بَعْدَ امْتِحَانٍ وَاخْتِبَارٍ: هَلْ يَصْلُحُ أَمْ لَا؟ وَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يُؤَهَّلْ لِهَذَا!(١)

* **الشَّوْقُ:** أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْمَحَبَّةِ، وَحُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِهَا؛ فَإِنَّهُ سَفَرُ الْقَلْبِ إِلَىٰ الْمَحْبُوبِ(٢).

* **شَوْقُ الْمُحِبِّينَ إِلَىٰ اللهِ:** زَرَعَهُ الْحُبُّ الَّذِي سَبَبُهُ مُطَالَعَةُ مِنَّةِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ وَنِعَمِهِ(٣).

(٣) الشَّوْقُ إِلَىٰ الجَنَّة

* الشَّوْقُ إِلَىٰ اللهِ: لَا يُنَافِي الشَّوْقَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّ أَطْيَبَ مَا فِي الْجَنَّةِ: قُرْبُهُ تَعَالَىٰ، وَرُؤْيَتُهُ، وَسَمَاعُ كَلَامِهِ وَرِضَاهُ(٤).

---

(١) انظر: (٢/ ٣٩٤).

(٢) (٣/ ٥٣).

(٣) انظر: (٣/ ٥٨).

(٤) (٣/ ٥٨).

المبحث الثامن والعشرون

التَّسْــــلِيمُ

(١) حَقِيقَةُ التَّسْلِيم

❁ التَّسْلِيمُ: هُوَ الْخَلَاصُ مِنْ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ الْخَبَرَ، أَوْ شَهْوَةٍ تُعَارِضُ الْأَمْرَ، أَوْ إِرَادَةٍ تُعَارِضُ الْإِخْلَاصَ، أَوِ اعْتِرَاضٍ يُعَارِضُ الْقَدَرَ وَالشَّرْعَ[١].

❁ التَّسْلِيمُ: ضِدُّ الْمُنَازَعَةِ، وَالْمُنَازَعَةُ: إِمَّا بِشُبْهَةٍ فَاسِدَةٍ، تُعَارِضُ الْإِيمَانَ بِالْخَبَرِ، وَإِمَّا بِشَهْوَةٍ تُعَارِضُ الأَمْرَ، أَوْ إِرَادَةٍ تُعَارِضُ مُرَادَ اللهِ، فَالتَّسْلِيمُ: التَّخَلُّصُ مِنْ هَذِهِ الْمُنَازَعَاتِ كُلِّهَا[٢].

❁ **التَّسْلِيمُ**: مِنْ أَجَلِّ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ، وهُوَ مَحْضُ الصِّدِّيقِيَّةِ الَّتِي هِيَ بَعْدَ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ. وَأَكْمَلُ النَّاسِ تَسْلِيمًا: أَكْمَلُهُمْ صِدِّيقِيَّةً[٣].

❁ إِذَا وَقَعَ النِّزَاعُ فِي حُكْمٍ؛ وَجَبَ الرُّجُوعُ فِيهِ إِلَىٰ وَحْيِ اللهِ؛ فَهُوَ الَّذِي تُتَلَقَّىٰ الأَحْكَامُ مِنْهُ، وَتُعْرَضُ عَلَيْهِ، وَتُوزَنُ بِهِ؛ فَمَا قَبِلَهُ فَهُوَ الْمَقْبُولُ، وَمَا رَدَّهُ فَهُوَ الْمَرْدُودُ[٤].

❁ (التَّسْلِيمُ لِلْقَضَاءِ) يُحْمَدُ إذا لَمْ يَقْدِر العَبْدُ عَلَىٰ دَفْعِهِ: كَالْمَصَائِبِ الَّتِي لَا يَقدِرُ عَلَىٰ دَفْعِهَا، وَأَمَّا الْأَحْكَامُ الَّتِي أُمِرَ بِدَفْعِهَا: فَلَا يَجُوزُ التَّسْلِيمُ لَهَا، بَلِ يَدْفَعُهَا بِأَحْكَامٍ أُخَرَ أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ مِنْهَا[٥].

(١) (٢/ ١٤٦).

(٢) انظر: (٢/ ١٤٧).

(٣) انظر: (٢/ ١٤٧).

(٤) انظر: (١/ ٤٩٣).

(٥) انظر: (٢/ ١٤٥-١٤٦).

❁ صَاحِبُ التَّسْلِيمِ: يُسَلِّمُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ مَا هُوَ غَيْبٌ عَنِ الْعَبْدِ[١].

❁ كَثِيرٌ مِنَ الْغَيْبِ قَدْ يُزَاحِمُ الْعَقْلَ بَعْضَ الْمُزَاحَمَةِ، وَيَسْبِقُ إِلَىٰ الْوَهْمِ خِلَافُهُ! فَالتَّسْلِيمُ: تَسْلِيمُ هَذَا الْمُزَاحِمِ إِلَىٰ وَلِيِّهِ، وَمَنْ هُوَ أَخْبَرُ بِهِ، وَالتَّجَرُّدُ عَمَّا يَسْبِقُ إِلَىٰ الْوَهْمِ مِمَّا يُخَالِفُهُ[٢].

(٢) فَوَائِدُ التَّسْلِيمِ

❁ الَّذِي يَحْسِمُ مَادَّةَ (الْخَوْفِ مِنَ الخَلْقِ): هُوَ التَّسْلِيمُ لِلهِ؛ فَإِنَّ مَنْ سَلَّمَ لِلهِ، وَاسْتَسْلَمَ لَهُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ؛ لَمْ يَبْقَ لِخَوْفِ الْمَخْلُوقِينَ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ![٣]

❁ مَنْ سَلَّمَ نَفْسَهُ للهِ؛ فَقَدْ أَوْدَعَهَا عِنْدَهُ، وَأَحْرَزَهَا فِي حِرْزِهِ؛ حَيثُ لَا تَنَالُهَا يَدُ عَدُوٍّ، وَلَا بَغْيُ بَاغٍ[٤].

❁ إِذَا سَلَّمَ الْقَلْبُ تَسْلِيمًا مَحْضًا لِلْوَحْيِ؛ رَأَىٰ صِحَّةَ مَا جَاءَ بِهِ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ؛ فَاجْتَمَعَ لَهُ (السَّمْعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ)، وَهَذَا أَكْمَلُ الْإِيمَانِ[٥].

❁ **شُهُودُ الْحَقِيقَةِ:** هُوَ رُؤْيَةُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا مِنَ اللهِ، وَفِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ: لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا بِحَوْلِهِ، وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ فَمَا وَجْهُ الْمُبَالَاةِ بِالْخَلْقِ بَعْدَ هَذَا الشُّهُودِ!؟[٦]

---

(١) (٢/ ١٤٧).

(٢) انظر: (٢/ ١٤٨).

(٣) انظر: (٢/ ٣٢).

(٤) انظر: (٢/ ٣٢).

(٥) انظر: (٢/ ٦٨).

(٦) انظر: (٢/ ٣٢).

❁ صَاحِبُ التَّسْلِيمِ لَا يَخَافُ مِنْ اقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ؛ لِأَنَّ قُوَّةَ تَسْلِيمِهِ تَحْمِيهِ مِنْ خَطَرِهَا، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخَافَ؛ فَإِنَّهُ فِي حِصْنِ التَّسْلِيمِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ[١].

❁ الْعَبْدُ إِذَا قَبِلَ حُجَّةَ اللهِ بِمَحْضِ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ وَالِانْقِيَادِ: كَانَ هَذَا الْقَبُولُ: هُوَ سَبَبَ تَبَيُّنِهَا وَظُهُورِهَا، وَانْكِشَافِهَا لِقَلْبِهِ![٢]

(٣) التَّسْلِيمُ لِلرَّسُولِ ﷺ

❁ الطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَىٰ الْخَلْقِ، إِلَّا مَن اقْتَفَىٰ أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ، وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ، وَلَزِمَ طَرِيقَتَهُ؛ فَإِنَّ طُرُقَ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا مَفْتُوحَةٌ عَلَيْهِ[٣].

❁ قَالَ الشَّافِعِيُّ: (**أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَن اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ!**)[٤].

❁ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. **التَّحْكِيمُ**: فِي مَقَامِ الْإِسْلَامِ، **وَانْتِفَاءُ الْحَرَجِ**: فِي مَقَامِ الْإِيمَانِ، **وَالتَّسْلِيمُ**: فِي مَقَامِ الْإِحْسَانِ[٥].

(٤) قَوَادِحُ التَّسْلِيمِ

❁ (الِاعْتِرَاضُ عَلَىٰ قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ): اعْتِرَاضُ الْجُهَّالِ! وَهُوَ سَارٍ فِي النُّفُوسِ سَرَيَانَ الْحُمَّىٰ فِي بَدَنِ الْمَحْمُومِ، وَلَوْ تَأَمَّلَ الْعَبْدُ أُمْنِيَّتَهُ وَإِرَادَتَهُ؛ لَرَأَىٰ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ عِيَانًا![٦]

---

(١) انظر: (٢/ ١٤٩).

(٢) (٢/ ٣٢٠).

(٣) (٣/ ١١٨).

(٤) (٢/ ٣١٩).

(٥) انظر: (٢/ ١٨٩).

(٦) انظر: (٢/ ٧٠).

❁ التَحَاكُمُ إِلَىٰ غَيرِ دِينِ اللهِ وَشَرْعِهِ: فِتْنَةٌ دَعَت الْقُلُوبَ؛ فَأَجَابَهَا كُلُّ قَلْبٍ مَفْتُونٍ، وَصَارَ لِأَجْلِهَا الْوَحْيُ والدِّينُ: عُرْضَة لِكُلِّ تَحْرِيفٍ وَتأْوِيلٍ، وَإِفْسَادٍ وَتَبْدِيلٍ[١].

❁ كُلُّ نَفْسٍ (مُعْتَرِضَةٌ عَلَىٰ قَدَرِ اللهِ وَقَسْمِهِ)، إِلَّا نَفْسًا قَدِ اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ، وَعَرَفَتْهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ؛ فَتِلْكَ حَظُّهَا التَّسْلِيمُ وَالِانْقِيَادُ، وَالرِّضَا كُلُّ الرِّضَا[٢].

❁ المُحْتَجُّ بالقَدَرِ علىٰ فِعْلِ المعاصي: ظَهِيرٌ لِلشَّيْطَانِ عَلَىٰ رَبِّهِ، خَصْمٌ لِلهِ مَعَ نَفْسِهِ، جَبْرِيُّ الْمَعَاصِي، قَدَرِيُّ الطَّاعَاتِ، عَاجِزُ الرَّأْيِ، مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ، قَاعِدٌ عَنْ مَصَالِحِهِ، مُعَاتِبٌ لِأَقْدَارِ رَبِّهِ![٣]

❁ المُحْتَجُّ بالقَدَرِ علىٰ فِعْلِ المعاصي؛ يَحْتَجُّ عَلَىٰ رَبِّهِ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ مِنْ عَبْدِهِ وَامْرَأَتِهِ إِذَا احْتَجُّوا بِهِ عَلَيْهِ فِي التَّهَاوُنِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ![٤]

❁ حَكَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (عَلَىٰ مَنْ قَدَّمَ حُكْمَهُ عَلَىٰ نَصِّ الرَّسُولِ) بِالسَّيْفِ! فكَيْفَ لَوْ شَاهَدَ مَا بُلِينَا بِهِ مِنْ تَقْدِيمِ رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ وَفُلَانٍ عَلَىٰ قَوْلِ الْمَعْصُومِ ﷺ؟![٥]

---

(١) انظر: (٢/ ٧٠).

(٢) انظر: (٢/ ٧٠).

(٣) انظر: (١/ ٢١٠).

(٤) انظر: (١/ ٢١٠).

(٥) انظر: (١/ ٣٣٤).

المبحث التاسع والعشرون

الصَّــبْرُ

(١) حَقِيقَةُ الصَّبْر

* الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ، وَاللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَىٰ، وَالْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ. وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: ١- صَبْرٌ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، ٢- وعَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، ٣- وَعَلَىٰ امْتِحَانِ اللهِ[١].

* الصَّبْرُ: التَّبَاعُدُ مِن الْمُخَالَفَاتِ، وَالسُّكُونُ عِنْدَ تَجَرُّعِ غُصَصِ الْبَلِيَّةِ، وَإِظْهَارُ الْغِنَىٰ مَعَ حُلُولِ الْفَقْرِ[٢]. وَقِيلَ الصَّبْرُ: (**الْوُقُوفُ مَعَ الْبَلَاءِ، بِحُسْنِ الْأَدَبِ**)[٣].

(٢) أَهَمِّيَّةُ الصَّبْر

* الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ فِي نَحْوِ تِسْعِينَ مَوْضِعًا، وَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَان؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ نِصْفَانِ: نِصْفٌ صَبْرٌ، وَنِصْفٌ شُكْرٌ[٤].

* الصَّبْرُ مِن الْإِيمَانِ: بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِن الْجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا جَسَدَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**خَيْرُ عَيْشٍ أَدْرَكْنَاهُ بِالصَّبْرِ**)[٥].

* قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**الصَّبْرُ: مَطِيَّةٌ لا تَكْبُو**)[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ١٥٥)

(٢) انظر: (٢/ ١٥٧).

(٣) (٢/ ١٥٧).

(٤) انظر: (٢/ ١٥١).

(٥) (٢/ ١٥٣).

(٦) (٢/ ١٥٨).

(٣) فَوَائِدُ الصَّبْرِ

❁ مَنْ وَفَّىٰ الصَّبْرَ حَقَّهُ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ؛ لَمْ يَسْتَفِزَّهُ الْمُبْطِلُونَ، وَلَمْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ(١).

❁ بِقُوَّةِ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْمَكْرُوهِ فِي مُرَادِ الْمَحْبُوبِ؛ يُعْلَمُ صِحَّةُ مَحَبَّتِهِ؛ وَلهذا كَانَتْ مَحَبَّةُ أَكْثَرِ النَّاسِ كَاذِبَةً؛ فَحِينَ امْتَحَنَهُمُ اللهُ بِالْمَكَارِهِ: انْخَلَعُوا عَنْ حَقِيقَةِ الْمَحَبَّةِ، وَلَمْ يَثْبُتْ إِلَّا الصَّابِرُونَ!(٢).

❁ مَنْ ضَعُفَ صَبْرُهُ ويَقِينُهُ: اسْتَفَزَّهُ الْمُبْطِلُونَ؛ فَجَذَبُوهُ إِلَيْهِمْ بِحَسَبِ ضَعْفِ قُوَّةِ صَبْرِهِ وَيَقِينِهِ، وَكُلَّمَا قَوِيَ صَبْرُهُ وَيَقِينُهُ: قَوِيَ انْجِذَابُهُ مِنْهُمْ، وَجَذْبُهُ لَهُمْ(٣).

❁ الْجُودُ بِالصَّبْرِ وَالِاحْتِمَالِ: مَرْتَبَةٌ شَرِيفَةٌ، وَهِيَ أَنْفَعُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْجُودِ بِالْمَالِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا النُّفُوسُ الْكِبَارُ! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠](٤).

❁ مَا آثَرَ عَبْدٌ مَرْضَاةَ اللهِ عَلَىٰ مَرْضَاةِ الْخَلْقِ، وَتَحَمَّلَ ثِقَلَ ذَلِكَ، وَصَبَرَ عَلَىٰ مِحْنَتِهِ: إِلَّا أَنْشَأَ اللهُ مِنْ تِلْكَ الْمِحْنَةِ نِعْمَةً، وانْقَلَبَتْ مَخَاوِفُهُ أَمَانًا، وَتَعَبُهُ رَاحَةً، وَمِحْنَتُهُ مِنْحَةً!(٥).

❁ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ: قُوَّةُ عَزِيمَةٍ، وَصَبْرُ سَاعَةٍ، وَشَجَاعَةُ نَفْسٍ، وَثَبَاتُ قَلْبٍ(٦).

---

(١) (٣/ ٢٠٤).

(٢) انظر: (٢/ ١٦١-١٦٢).

(٣) انظر: (٣/ ٢٠٤).

(٤) انظر: (٢/ ٢٨١).

(٥) انظر: (٢/ ٢٨٥).

(٦) (٢/ ١٠).

* أَهْلُ الصَّبْرِ: هُمْ أَهْلُ الْحُظُوظِ الْعَظِيمَةِ، ولا يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ وَالْعِبَرِ إِلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ! ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥][1].

* سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: (**بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ: تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ**)، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤][2].

* **أَنْفَعُ الْأُمُورِ لِلْمُصَابِ**: هُوَ الصَّبْرُ وَالِاحْتِسَابُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُخَفِّفُ مُصِيبَتَهُ، وَيُوَفِّرُ أَجْرَهُ. وَأما الْجَزَعُ وَالتَّسَخُّطُ وَالتَّشَكِّي؛ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْمُصِيبَةِ، وَيُذْهِبُ الْأَجْرَ![3]

* فَازَ الصَّابِرُونَ بِعِزِّ الدَّارَيْنِ؛ لِأَنَّهُمْ نَالُوا مِن اللهِ مَعِيَّتَهُ؛ فَإِنَّ ﴿اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣][4].

* فِي أَثَرٍ إِسْرَائِيلِيٍّ: (**أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: أَنْزَلْتُ بِعَبْدِي بَلَائِي: فَدَعَانِي؛ فَمَاطَلْتُهُ بِالْإِجَابَةِ: فَشَكَانِي؛ فَقُلْتُ: عَبْدِي، كَيْفَ أَرْحَمُكَ مِنْ شَيْءٍ: بِهِ أَرْحَمُكَ!**)[5].

* قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة:٢٤] قَالَ: (**أَخَذُوا بِرَأْسِ الْأَمْرِ؛ فَجَعَلَهُمْ رُؤَسَاءَ!**)[6].

* وَصَفَ اللهُ بِالصَّبْرِ خَاصَّةَ أَوْلِيَائِهِ، وَجَعَلَ أَجْرَ غَيْرِهِمْ مَحْسُوبًا، وَأَجْرَهُمْ

---

(١) انظر: (٢/ ١٥٣).

(٢) (٢/ ١٥٣).

(٣) انظر: (٢/ ١٥٥).

(٤) (٢/ ١٥٨).

(٥) (٢/ ١٦٠).

(٦) (٢/ ١٦٠).

بغَيْرِ حِسَابٍ! وَأَخْبَرَ أَنَّ آيَاتِهِ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِهَا أُولُو الصَّبْرِ، وأنَّ الْمَلَائِكَةَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ بِصَبْرِهِمْ[1].

* الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ، مُرٌّ مَذَاقَتُهُ — لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَىٰ مِن الْعَسَلِ![2]

* فِعْلُ الْأَمْرِ، والصَّبْرُ عليه: هُوَ بِمَنْزِلَةِ الصِّحَّةِ وَالْحَيَاةِ. وَتَرْكُ النَّهْيِ، والصَّبْرُ عليه: بِمَنْزِلَةِ الْحِمْيَةِ، الَّتِي تُرَادُ لِحِفْظِ الصِّحَّةِ، وَأَسْبَابِ الْحَيَاةِ[3].

* الصَّبْرُ: يَحْمِلُ عَلَىٰ الِاحْتِمَالِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَكَفِّ الْأَذَىٰ، وَهُوَ أَكْبَرُ الْعَوْنِ عَلَىٰ نَيْلِ كُلِّ مَطْلُوبٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ![4].

* مَا انْتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ قَطُّ إِلَّا أَعْقَبَهُ ذَلِكَ نَدَامَةٌ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَصْبِرْ اخْتِيَارًا؛ صَبَرَ اضْطِرَارًا عَلَىٰ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَهُوَ مَذْمُومٌ![5].

* الْعَبْدُ إِذَا أَقْبَلَ عَلَىٰ رَبِّهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مُكَابِدًا؛ فَإِذَا صَبَرَ فِي نَفْسِهِ، وَصَابَرَ عَدُوَّهُ، وَرَابَطَ عَلَىٰ ثَغْرِ قَلْبِهِ؛ فَحِينَئِذٍ يَصْفُو لَهُ إِقْبَالُهُ عَلَىٰ رَبِّهِ[6].

(٤) أَنْوَاعُ الصَّبْرِ

* الصَّبْرُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أنواع: ١- صَبْرٌ بِاللهِ ٢- وَصَبْرٌ لِلهِ ٣- وَصَبْرٌ مَعَ اللهِ[7].

* الصَّبْرُ بِاللهِ: هو صَبْرُ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ[8].

---

(١) انظر: (٢/ ١٦٢).

(٢) (٢/ ١٥٨).

(٣) انظر: (٢/ ١٦٥).

(٤) انظر: (٢/ ٣٠١).

(٥) انظر: (٢/ ٣٠٣).

(٦) انظر: (٣/ ٣٤٩).

(٧) انظر: (٢/ ١٥٦).

(٨) انظر: (٢/ ١٥٦).

* **الصَّبْرُ لِلهِ:** هُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ: مَحَبَّةَ اللهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ، لَا لِإِظْهَارِهِ قُوَّةَ النَّفْسِ، وَالِاسْتِحْمَادَ إِلَىٰ الْخَلْقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ(١).

* **الصَّبْرُ مَعَ اللهِ:** هُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللهِ الدِّينِيِّ، قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقْفًا عَلَىٰ أَوَامِرِهِ وَمَحَابِّهِ، وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَصْعَبُهَا، وَهُوَ صَبْرُ الصِّدِّيقِينَ!(٢).

* قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران:٢٠٠]: انْتِقَالٌ مِنَ الْأَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَعْلَىٰ؛ فَالصَّبْرُ دُونَ الْمُصَابَرَةِ، وَالْمُصَابَرَةُ دُونَ الْمُرَابَطَةِ(٣).

* **الْمُرَابَطَةُ:** مِنَ الرَّبْطِ وَهُوَ الشَّدُّ، وَسُمِّيَ الْمُرَابِطُ مُرَابِطًا؛ لِأَنَّ الْمُرَابِطِينَ يَرْبِطُونَ خُيُولَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْفَزَعَ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ مُنْتَظِرٍ قَدْ رَبَطَ نَفْسَهُ لِطَاعَةٍ يَنْتَظِرُهَا: مُرَابِطٌ(٤).

* **الصَّبْرُ:** مَعَ نَفْسِكَ، **وَالْمُصَابَرَةُ:** مع عَدُوِّكَ، **وَالْمُرَابَطَةُ:** الثَّبَاتُ وَإِعْدَادُ الْعُدَّةِ(٥).

* كَمَا أَنَّ الرِّبَاطَ: لُزُومُ الثَّغْرِ؛ لِئَلَّا يَهْجُمَ مِنْهُ الْعَدُوُّ؛ فَكَذَلِكَ الرِّبَاطُ أَيْضًا: لُزُومُ ثَغْرِ الْقَلْبِ؛ لِئَلَّا يَهْجُمَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَيَمْلِكَهُ وَيُخَرِّبَهُ!(٦).

(٥) مَرَاتِبُ الصَّابِرِينَ

* **مَرَاتِبُ الصَّابِرِينَ خَمْسَةٌ:**

١- صَابِرٌ، ٢- وَمُصْطَبِرٌ، ٣- وَمُتَصَبِّرٌ، ٤- وَصَبُورٌ، ٥- وَصَبَّارٌ(٧).

---

(١) انظر: (٢/ ١٥٧).

(٢) انظر: (٢/ ١٥٧).

(٣) انظر: (٢/ ١٥٨).

(٤) انظر: (٢/ ١٥٨).

(٥) انظر: (٢/ ١٥٩).

(٦) انظر: (٢/ ١٥٩).

(٧) (٢/ ١٥٨).

❁ **الصَّابِرُ**: أَعَمُّ المَرَاتِب. **وَالْمُصْطَبِرُ**: الْمُكْتَسِبُ الصَّبْرَ، الْمَلِيءُ بِهِ. **والْمُتَصَبِّرُ**: الْمُتَكَلِّفُ حَامِلٌ نَفْسَهُ عَلَيْهِ. **وَالصَّبُورُ**: الْعَظِيمُ الصَّبْرِ. **وَالصَّبَّارُ**: الْكَثِيرُ الصَّبْرِ؛ فَهَذَا فِي الْكَمِّ، وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي الْكَيْفِ[١].

(٦) أَسْبَابُ الصَّبْرِ

❁ **مُلَاحَظَةُ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ**: تُعِينُ عَلَىٰ الصَّبْرِ، وَمَا أَقْدَمَ أَحَدٌ عَلَىٰ تَحَمُّلِ مَشَقَّةٍ عَاجِلَةٍ إِلَّا لِثَمَرَةٍ مُؤَجَّلَةٍ؛ فَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ، وَإِنَّمَا خَاصَّةُ الْعَقْلِ: تَلَمُّحُ الْعَوَاقِبِ[٢].

❁ **مما يُهَوِّنُ الْبَلِيَّةَ**: أَنْ يَعُدَّ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ؛ فَإِذَا عَجَزَ عَنْ عَدِّهَا، وَأَيِسَ مِنْ حَصْرِهَا؛ هَانَ عَلَيْهِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَرَآهُ -بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ أَيَادِي اللهِ وَنِعَمِهِ- كَقَطْرَةٍ مِنْ بَحْرٍ![٣].

❁ يُحْكَىٰ عَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْعَابِدَاتِ انْقَطَعَتْ إِصْبَعُهَا؛ فَضَحِكَتْ، فَقَالَ لَهَا بَعْضُ مَنْ مَعَهَا: (**أَتَضْحَكِينَ؟!**) فَقَالَتْ: (**حَلَاوَةُ أَجْرِهَا؛ أَنْسَتْنِي مَرَارَةَ ذِكْرِهَا**)[٤].

❁ مَا مِنْ مِحْنَةٍ إِلَّا وَفَوْقَهَا مَا هُوَ أَقْوَىٰ مِنْهَا وَأَمَرُّ، وكُلُّ مُصِيبَةٍ دُونَ مُصِيبَةِ الدِّينِ فَهَيِّنَةٌ، وَالْمُصِيبَةُ الْحَقِيقِيَّةُ: مُصِيبَةُ الدِّينِ![٥].

❁ **فِي بَعْضِ الْآثَارِ**: (**يَتَمَنَّىٰ أُنَاسٌ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ!**)، فَالْعَاقِلُ يَعُدُّ «أَذَىٰ النَّاسِ لَهُ» ذُخْرًا لِيَوْمِ القيامة، وَلَا يُبْطِلُهُ بِالِانْتِقَامِ[٦].

---

(١) (٢/ ١٥٨).

(٢) انظر: (٢/ ١٦٦).

(٣) انظر: (٢/ ١٦٦).

(٤) انظر: (٢/ ١٦٧).

(٥) انظر: (٢/ ٣٠٦).

(٦) انظر: (٢/ ٣٠٦).

* أَشَدُّ الْخَلْقِ امْتِحَانًا بِالنَّاسِ (وَأَذَىٰ النَّاسِ إِلَيْهِمْ أَسْرَعُ مِن السَّيْلِ): هُمْ رُسُلُ اللهِ، وَأَنْبِيَائُهُ وَأَوْلِيَائُهُ؛ أَفَلَا يَرْضَىٰ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْوَةٌ بِخِيَارِ خَلْقِ اللهِ، وَخَوَاصِّ عِبَادِهِ![1].

* **الشِّدَّةُ مُقَدِّمَةُ الْفَرَجِ، وَالْبَلَاءُ مُقَدِّمَةُ الْعَافِيَةِ، وَالْخَوْفُ الشَّدِيدُ مُقَدِّمَةُ الْأَمْنِ**، وَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ: أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمَحْبُوبَةَ؛ إِنَّمَا يُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ أَبْوَابِ أَضْدَادِهَا![2].

* مَنْ إِسْلَامُهُ صَلْبٌ كَامِلٌ: لَا تُزَعْزِعُهُ الرِّجَالُ، وَلَا تُقَلْقِلُهُ الْجِبَالُ، وَمَنْ عَقَدَ عَزِيمَةَ صَبْرِهِ؛ لَا تَحُلُّهُ الْمِحَنُ وَالشَّدَائِدُ وَالْمَخَاوِفُ[3].

* الْحِكَايَاتُ: جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللهِ، يُثَبِّتُ اللهُ بِهَا قُلُوبَ الْمُرِيدِينَ؛ ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠][4].

(٧) قَوَادِحُ الصَّبْر

* (الشَّكْوَىٰ إِلَىٰ اللهِ) لَا تُنَافِي الصَّبْرَ، وَإِنَّمَا يُنَافِي الصَّبْرَ (شَكْوَىٰ اللهِ)، لَا الشَّكْوَىٰ إِلَىٰ اللهِ[5].

* رَأَىٰ بَعْضُهُمْ رَجُلًا يَشْكُو إِلَىٰ آخَرَ فَاقَةً وَضَرُورَةً؛ فَقَالَ: (**يَا هَذَا، تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَىٰ مَنْ لَا يَرْحَمُكَ!**)[6].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٠٧).

(٢) انظر: (٣/ ٢٧٦).

(٣) (٢/ ٢٨٧).

(٤) انظر: (٢/ ٣٤٦).

(٥) انظر: (٢/ ١٦٠).

(٦) (٢/ ١٦٠).

* أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

وَإِذَا عَرَتْـكَ بَلِيَّـةٌ فَاصْبِـرْ لَهَـا ... صَبْـرَ الْكَرِيـمِ فَإِنَّـهُ بِـكَ أَعْلَـمُ

وَإِذَا شَكَوْتَ إِلَىٰ ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا ... تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَىٰ الَّذِي لَا يَرْحَمُ[1]

* لَيْسَ فِي اسْتِكْرَاهِ النُّفُوسِ لِأَلَمِ مَا تَصْبِرُ عَلَيْهِ، مَا يَقْدَحُ فِي مَحَبَّتِهَا وَلَا تَوْحِيدِهَا للهِ؛ فَإِنَّ إِحْسَاسَهَا بِالْأَلَمِ: أَمْرٌ طَبْعِيٌّ لَهَا، ولَوَازِمُ النَّفْسِ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ إِعْدَامِهَا بِالْكُلِّيَّةِ[2].

---

(١) (٢/ ١٦٠).

(٢) انظر: (٢/ ١٦٢).

المبحث الثلاثون

الرِّضَـــــا

(١) حَقِيقَةُ الرِّضَا

* الرِّضَا: سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَىٰ اخْتِيَارِ اللهِ لِلْعَبْدِ، أَنَّهُ اخْتَارَ لَهُ الْأَفْضَلَ؛ فَيَرْضَىٰ بِهِ(١).

* **الرِّضَا** مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ نَظِيرُ **الْجِهَادِ** مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِيمَانِ! قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: (**ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِيمَانِ: الصَّبْرُ لِلْحُكْمِ، وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ**)(٢).

* لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الرِّضَا: أَلَّا يُحِسَّ بِالْأَلَمِ وَالْمَكَارِهِ، بَلْ أَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَىٰ الْحُكْمِ وَلَا يَتَسَخَّطهُ(٣).

* حَقِيقَةُ الرِّضَا: مُوَافَقَتُهُ سُبْحَانَهُ فِي رِضَاهُ(٤).

* الرِّضَا: آخِذٌ بِزِمَامِ مَقَامَاتِ الدِّينِ كُلِّهَا، وَهُوَ رُوحُهَا وَحَيَاتُهَا(٥).

* سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الرِّضَا؟ فَقَالَ: (**أَنْ تَرْضَىٰ بِهِ: مُدَبِّرًا وَمُخْتَارًا، وَتَرْضَىٰ عَنْهُ: قَاسِمًا وَمُعْطِيًا وَمَانِعًا، وَتَرْضَاهُ: إِلَهًا وَمَعْبُودًا وَرَبًّا**)(٦).

* مَرَاتِبُ النَّاسِ فِي الْمَقْدُورِ ثَلَاثَةٌ: ١- **الرِّضَا**: وَهُوَ أَعْلَاهَا، ٢- **وَالسُّخْطُ**:

---

(١) انظر: (٢/ ١٧٣).

(٢) (٢/ ٢٠٦).

(٣) (٢/ ١٧٣).

(٤) (٢/ ٢٢٩).

(٥) انظر: (٢/ ٢٠٩-٢١٠).

(٦) (٢/ ٢١٦).

وَهُوَ أَسْفَلُهَا، ٣- وَ**الصَّبْرُ** عَلَيْهِ بِدُونِ الرِّضَا بِهِ: وَهُوَ أَوْسَطُهَا(١).

* **الرِّضَا**: لِلْمُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ. وَ**الصَّبْرُ**: لِلْمُقْتَصِدِينَ. و**السُّخْطُ** لِلظَّالِمِينَ. وَكَثِيرٌ مِن النَّاسِ يَصْبِرُ عَلَىٰ الْمَقْدُورِ فَلَا يَسْخَطُ، وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ بِه(٢).

* الرِّضَا بالقضاءِ والقدر، بمَا وَافَقَ الطَبْعَ وَالإِرَادة، لَا يُثَابُ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ إِنَّمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَعَنْ نَفْسِهِ، لَا بِرَبِّهِ، وَلَا عَنْ رَبِّهِ(٣).

* الرِّضَا قَبْلَ الْقَضَاء: عَزْمٌ عَلَىٰ الرِّضَا، وَالرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاء: هُوَ الرِّضَا(٤).

* **الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا**: هُوَ الرِّضَا بِهِ خَالِقًا وَمُدَبِّرًا، وَآمِرًا وَنَاهِيًا، وَحَكَمًا، وَوَكِيلًا، وَنَاصِرًا وَمُعِينًا. **وَأَمَّا الرِّضَا عَنْ اللهِ**: فَهُوَ رِضَا الْعَبْدِ بِمَا يَفْعَلُهُ بِهِ(٥).

* **الرِّضَا بِاللهِ**: أَصْلُ الرِّضَا عَنْهُ، **وَالرِّضَا عَنْهُ**: ثَمَرَةُ الرِّضَا بِهِ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الرِّضَا بِهِ: مُتَعَلِّقٌ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. وَالرِّضَا عَنْهُ: مُتَعَلِّقٌ بِثَوَابِهِ وَجَزَائِهِ(٦).

* **مَشْهَدُ الرِّضَا**: فَوْقَ مَشْهَدِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلنُّفُوسِ

---

(١) (١/ ١٣١).

(٢) انظر: (١/ ١٣١-١٣٢). قال ابنُ القيِّم: (وَقَدْ أُشْكِلَ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ: اجْتِمَاعُ الرِّضَا مَعَ التَّأَلُّمِ، وَظَنَّ أَنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنَّهُ؛ فَالْمَرِيضُ الشَّارِبُ لِلدَّوَاءِ الْكَرِيهِ: مُتَأَلِّمٌ بِهِ، رَاضٍ بِهِ، وَالصَّائِمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ: مُتَأَلِّمٌ بِصَوْمِهِ، رَاضٍ بِهِ، وَالْبَخِيلُ: مُتَأَلِّمٌ بِإِخْرَاجِ زَكَاةِ مَالِهِ، رَاضٍ بِهَا؛ فَالتَّأَلُّمُ كَمَا لَا يُنَافِي الصَّبْرَ، لَا يُنَافِي الرِّضَا بِهِ). (١/ ١٣٢).

(٣) انظر: (٢/ ٢٠٤).

(٤) (٢/ ١٧٥).

(٥) انظر: (٢/ ١٨١).

(٦) انظر: (٢/ ١٨١).

الْمُطْمَئِنَّةِ، سِيَّمَا إِنْ كَانَ مَا أُصِيبَتْ بِهِ: سَبَبُهُ الْقِيَامُ لِلهِ(١).

(٢) أَنْوَاعُ الرِّضَا

* الرِّضَا ثَلَاثَةُ أنواع:

١- الرِّضَا بِاللهِ، ٢- وَالرِّضَا عَنِ اللهِ، ٣- وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ(٢).

* **الرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ الله:** هُوَ رِضَا الْعَبْدِ بِمَا يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ، وَيَقْسِمُهُ لَهُ، وَيُقَدِّرُهُ عَلَيْهِ، فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا: يَسْتَلْزِمُ الرِّضَا عَنْهُ(٣).

* اخْتِيَارُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ لِعَبْدِهِ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: اخْتِيَارٌ دِينِيٌّ شَرْعِيٌّ؛ النَّوْعُ الثَّانِي: اخْتِيَارٌ كَوْنِيٌّ قَدَرِيٌّ(٤).

* الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ فِي اخْتِيَارِ اللهِ الشَّرْعِي: أَنْ لَا يَخْتَارَ غَيْرَ مَا اخْتَارَهُ لَهُ ربه؛ فَاخْتِيَارُ الْعَبْدِ خِلَافَ ذَلِكَ؛ مُنَافٍ لِإِيمَانِهِ وَتَسْلِيمِهِ(٥).

* الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ فِي اخْتِيَارِ اللهِ الْقَدَرِي: الصَّبْرُ عند الْمَصَائِبِ، وَعَدَمُ الرِّضَا بِالذُّنُوبِ والْمَعَائِبِ(٦).

* **الرِّضَا بِالْقَضَاءِ الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ:** وَاجِبٌ، وَهُوَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ وَقَاعِدَةُ الْإِيمَانِ؛ فَيَجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِهِ بِلَا حَرَجٍ، وَلَا مُنَازَعَةٍ وَلَا مُعَارَضَةٍ، وَلَا اعْتِرَاضٍ(٧).

---

(١) انظر: (٢/ ٣٠٣).

(٢) انظر: (٢/ ١٨٤).

(٣) انظر: (٢/ ١٨١).

(٤) انظر: (٢/ ١٨٥).

(٥) انظر: (٢/ ١٨٥).

(٦) انظر: (٢/ ١٨٥).

(٧) (٢/ ١٨٩).

* الرِّضَا بالْقَضَاءِ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ، الْمُوَافِقِ لِمَحَبَّةِ الْعَبْدِ (مِن الصِّحَّةِ وَالْغِنَىٰ وَالْعَافِيَةِ): يكون بمُقَابَلَتِهِ بِالشُّكْرِ، وَوَضْعِ النِّعْمَةِ مَوَاضِعَهَا الَّتِي يُحِبُّها اللهُ، وَأَنْ لَا يُعْصَىٰ الْمُنْعِمُ بِهَا(١).

* **الرِّضَا بِالْقَضَاءِ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ**، الْمُخَالِفِ لِمَحَبَّةِ الْعَبْدِ: (كَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَالْآلَامِ): مُسْتَحَبٌّ، وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ(٢).

* **الرِّضَا بِالْقَضَاءِ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ**، مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ: (كَالظُّلْمِ، وَالْفُسُوقِ، وَالْعِصْيَانِ): حَرَامٌ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُخَالَفَةٌ للهِ(٣).

(٣) فَوَائِدُ الرِّضَا

* **طَرِيقُ الرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ**: تُسَيِّرُ الْعَبْدَ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَىٰ فِرَاشِهِ؛ فَيُصْبِحُ أَمَامَ الرَّكْبِ بِمَرَاحِلَ!(٤)

* **ثَمَرَةُ الرِّضَا**: الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ بِالرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(٥).

* **الرِّضَا**: يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ مُخَاصَمَةِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ فِي أَحْكَامِهِ، وَأَصْلُ مُخَاصَمَةِ إِبْلِيسَ لِرَبِّهِ: مِنْ عَدَمِ رِضَاهُ بِأَحْكَامِهِ؛ فَلَوْ رَضِيَ: لَمْ يُمْسَخْ مِن الْحَقِيقَةِ الْمَلَكِيَّةِ إِلَىٰ الْحَقِيقَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ!(٦)

* **الرِّضَا**: يَقُومُ مَقَامَ كَثِيرٍ مِن التَّعَبُّدَاتِ الَّتِي تَشُقُّ عَلَىٰ الْبَدَنِ؛ فَيَكُونُ رِضَاهُ

---

(١) انظر: (٢/ ١٨٩).

(٢) انظر: (٢/ ١٨٩).

(٣) انظر: (٢/ ١٨٩).

(٤) (٢/ ١٧٤).

(٥) (٢/ ١٧٤).

(٦) انظر: (٢/ ٢٠٤).

أَسْهَلَ عَلَيْهِ، وَأَلَذَّ لَهُ، وَأَرْفَعَ فِي دَرَجَتِهِ[١].

* الرِّضَا: يُثْمِرُ سُرُورَ الْقَلْبِ، وَطِيبَ النَّفْسِ وَسُكُونَهَا، وَطُمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ عِنْدَ كُلِّ مُفْزِعٍ، وَيُذْهِبُ عَنْهُ شَكْوَىٰ رَبِّهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ![٢]

* الرِّضَا: حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ اللهِ؛ لأَنَّهُ يُوجِبُ تَرْكَ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ، وَحَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ؛ فلَا يُسَمِّي شَيْئًا قَضَاهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ: بَاسِمٍ مَذْمُومٍ، إِذَا لَمْ يَذُمَّهُ اللهُ[٣].

* الرِّضَا: يُخَلِّصُ مِنْ عَيْبِ مَا لَمْ يُعِبْهُ اللهُ، وَذَمِّ مَا لَمْ يَذُمَّهُ اللهُ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَمْ يَرْضَ بِالشَّيْءِ: عَابَهُ وَذَمَّهُ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا صَنَعَ لَكَ طَعَامًا فَعِبْتَهُ؛ لَكُنْتَ مُتَعَرِّضًا لِمَقْتِهِ، وَقَطَعَ ذَلِكَ عَنْكَ[٤].

* فِي القَلْبِ نِيرَانُ حَسَرَاتٍ: لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الرِّضَا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَقَضَائِهِ، وَمُعَانَقَةِ الصَّبْرِ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ وَقْتِ لِقَائِهِ![٥]

* الْمَحَبَّةُ، وَالْإِخْلَاصُ، وَالْإِنَابَةُ: لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَىٰ سَاقِ الرِّضَا؛ فَالْمُحِبُّ رَاضٍ عَنْ حَبِيبِهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ[٦].

* الرِّضَا عَنِ اللهِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ؛ يُثْمِرُ لِلْعَبْدِ رِضَا اللهِ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ[٧].

---

(١) (٢/ ٢١٠).

(٢) انظر: (٢/ ٢١٢).

(٣) انظر: (٢/ ٢١٢).

(٤) (٢/ ٢١٣).

(٥) انظر: (٣/ ١٥٦).

(٦) (٢/ ٢١٧).

(٧) انظر: (٢/ ٢٠٢).

❁ لَا تَصِيرُ النَّفْسُ مُطْمَئِنَّةً قَطُّ، حَتَّىٰ تَرْضَىٰ بِالْقَضَاءِ؛ فَحِينَئِذٍ تَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ لَهَا: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧-٢٨][(١)].

❁ **الرَّاضِي**: يَتَلَقَّىٰ أَوَامِرَ رَبِّهِ بِالِانْشِرَاحِ وَالتَّسْلِيمِ، وَطِيبِ النَّفْسِ، وَالِاسْتِسْلَامِ. وَالسَّاخِطُ: يَتَلَقَّاهَا بِضِدِّ ذَلِكَ، إِلَّا مَا وَافَقَ طَبْعَهُ وَإِرَادَتَهُ[(٢)].

❁ **الرِّضَا**: مَعْقِدُ نِظَامِ الدِّينِ: ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْعَبْدُ الرِّضَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ؛ فَقَدْ أَخَذَ بِالْحَظِّ الْوَافِرِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَفَازَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّىٰ[(٣)].

❁ مَنِ اجْتَمَعَ لَهُ: الرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَالرِّضَا بِرَسُولِهِ، وَالِانْقِيَادُ لَهُ، وَالرِّضَا بِدِينِهِ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ؛ فَهُوَ الصِّدِّيقُ حَقًّا[(٤)].

❁ رِضَا الْعَبْدِ عَنِ اللهِ، مِنْ نَتَائِجِ رِضَا اللهِ عَنْهُ؛ فَهُوَ مَحْفُوفٌ بِنَوْعَيْنِ مِنْ رِضَاهُ عَنْ عَبْدِهِ:

١- رِضًا قَبْلَهُ (أَوْجَبَ لَهُ أَنْ يَرْضَىٰ عَنْهُ).

٢- وَرِضًا بَعْدَهُ (هُوَ ثَمَرَةُ رِضَاهُ عَنْهُ)[(٥)].

❁ **الرِّضَا**: بَابُ اللهِ الْأَعْظَمِ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحُ الْعَارِفِينَ، وَحَيَاةُ الْمُحِبِّينَ، وَنَعِيمُ الْعَابِدِينَ، وَقُرَّةُ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ![(٦)]

❁ (الرِّضَا) يُوجِبُ: الطُّمَأْنِينَةَ، وَبَرْدَ الْقَلْبِ، وَسُكُونَهُ وَقَرَارَهُ. وَ(السُّخْطُ)

(١) انظر: (٢/ ٢٠٤).

(٢) انظر: (٢/ ٢٠٤).

(٣) انظر: (٢/ ٢٠٤).

(٤) انظر: (٢/ ١٧١).

(٥) انظر: (٢/ ١٧٣).

(٦) (٢/ ١٧٣).

يُوجِبُ: اضْطِرَابَ الْقَلْبِ، وَرِيْبَتَهُ وَانْزِعَاجَهُ، وَعَدَمَ قَرَارِهِ[١].

❁ قال الْحُسَيْنُ بْنِ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(مَن اتَّكَلَ عَلَىٰ حُسْنِ اخْتِيَارِ اللهِ لَهُ؛ لَمْ يَتَمَنَّ غَيْرَ مَا اخْتَارَ اللهُ لَهُ!)**[٢].

❁ **الرِّضَا بِاللهِ:** يَسْتَلْزِمُ الرِّضَا بِصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ وَأَحْكَامِهِ. وحَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ: أَنْ يُوَافِقَهُ عَبْدُهُ فِي رِضَاه وَسَخَطِهِ؛ فَيَرْضَىٰ مِنْهَا بِمَا يَرْضَىٰ بِهِ، وَيَسْخَطُ مِنْهَا مَا سَخِطَهُ[٣].

❁ **مَنْ رَضِيَ عَنْ اللهِ:** تَسْتَوِي النِّعْمَةُ وَالْبَلِيَّةُ فِي الرِّضَا؛ لأَنَّهُ فَوَّضَ أَمْرَهُ إلىٰ اللهِ، وَالْمُفَوِّضُ رَاضٍ بِكُلِّ مَا اخْتَارَهُ لَهُ مَنْ فَوَّضَ إِلَيْهِ، لَا سِيَّمَا إِذَا عَلِمَ كَمَالَ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ، وَحُسْنَ اخْتِيَارِهِ لَهُ[٤].

❁ **مَنْ رَضِيَ بالمِحْنَةِ:** انْقَلَبَتْ فِي حَقِّهِ مِنْحَةً، وَخَفَّ عَلَيْهِ حَمْلُهَا، وَأُعِينَ عَلَيْهِا. **وَإِذَا سَخِطَهُ:** تَضَاعَفَ عَلَيْهِ ثِقَلُهَا، وَلَمْ تَزْدَدْ إِلَّا شِدَّةً![٥]

❁ رِضَا المُسْلِمِ عَنْ رَبِّهِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ: يُثْمِرُ رِضَا رَبِّهِ عَنْهُ، فَإِذَا رَضِيَ عَنْهُ بِالْقَلِيلِ مِن الرِّزْقِ: رَضِيَ رَبُّهُ عَنْهُ بِالْقَلِيلِ مِن الْعَمَلِ[٦].

❁ **الرِّضَا:** يُوجِبُ الطُّمَأْنِينَةَ، وَبَرْدَ الْقَلْبِ، وَسُكُونَهُ وَقَرَارَهُ. **وَالسُّخْطُ:** يُوجِبُ

---

(١) انظر: (٢/ ٢٠٠).

(٢) (٢/ ١٧٥).

(٣) انظر: (٢/ ١٩٥).

(٤) انظر: (٢/ ١٩٩).

(٥) انظر: (٢/ ٢٠٠).

(٦) انظر: (٢/ ٢٠٠).

اضْطِرَابَ القَلْبِ، وَرَيْبَتَهُ، وَانْزِعَاجَهُ، وَعَدَمَ قَرَارِهِ[١].

❁ مَنْ مَلأَ قَلْبَهُ مِنَ الرِّضَا بِالْقَدَرِ: مَلأَ اللهُ صَدْرَهُ غِنًىٰ وَأَمْنًا وَقَنَاعَةً، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ. وَمَنْ فَاتَهُ حَظُّهُ مِنَ الرِّضَا: امْتَلأَ قَلْبُهُ بِضِدِّ ذَلِكَ، وَاشْتَغَلَ عَمَّا فِيهِ سَعَادَتُهُ وَفَلَاحُهُ[٢].

❁ **الرِّضَا: يُفَرِّغُ الْقَلْبَ لِله. وَالسُّخْطُ: يُفَرِّغُ الْقَلْبَ مِنَ اللهِ!**[٣].

(٤) أَسْبَابُ الرِّضَا

❁ **طَرِيقُ الرِّضَا:** طَرِيقٌ مُخْتَصَرَةٌ، مُوصِلَةٌ إِلَىٰ أَجَلِّ غَايَةٍ، وَلَكِنَّ فِيهَا مَشَقَّةً، وَإِنَّمَا عَقَبَتُهَا: هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَنَفْسٌ زَكِيَّةٌ، وَتَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ اللهِ![٤].

❁ مِمَّا يُسَهِّلُ الرِّضَا عَلَىٰ الْعَبْدِ: عِلْمُهُ بِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ، وَرَحْمَةِ اللهِ بِهِ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ؛ فَإِذَا شَهِدَ هَذَا وَهَذَا، وَلَمْ يَطْرَحْ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَرْضَىٰ بِهِ وَعَنْهُ: فَنَفْسُهُ نَفْسٌ مَطْرُودَةٌ عَنِ اللهِ، بَعِيدَةٌ عَنْهُ![٥].

❁ كُلُّ قَدَرٍ يَكْرَهُهُ الْعَبْدُ، لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ عُقُوبَةً عَلَىٰ ذَنْبٍ، أَوْ يَكُونَ سَبَبًا لِنِعْمَةٍ لَا تُنَالُ إِلَّا بِذَلِكَ الْمَكْرُوهِ، فَإِذَا شَهِدَ الْعَبْدُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: انْفَتَحَ لَهُ بَابُ الرِّضَا عَنْ رَبِّهِ فِي كُلِّ ما يُقَدِّرُهُ[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٠٠).

(٢) انظر: (٢/ ٢٠٢).

(٣) (٢/ ٢٠٢).

(٤) انظر: (٢/ ١٧٣).

(٥) انظر: (٢/ ١٧٣).

(٦) انظر: (٢/ ٢٠٥).

* قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (يَا ابْنَ آدَمَ، نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ فِيمَا تَكْرَهُ؛ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ فِيمَا تُحِبُّ؛ فَإِنَّهُ مَا مَنَعَكَ إِلَّا لِيُعْطِيَكَ، وَلَا ابْتَلَاكَ إِلَّا لِيُعَافِيَكَ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تُفَارِقَ الرِّضَا عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ!)(١).

* مِنْ أَسْبَابِ الرِّضَا: الجَزْمُ بِأَنَّهُ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وأَنَّ كُلًّا مِنَ الْبَلِيَّةِ وَالنِّعْمَةِ: بِقَضَاءٍ سَابِقٍ، وَقَدَرٍ حَتْمٍ(٢).

* مِنْ أَسْبَابِ الرِّضَا: أَنَّ العَبْدَ جَاهِلٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَرَبُّهُ أَعْلَمُ بِمَصْلَحَتِهِ، وَيَسُوقُ أَسْبَابَهَا بِالمَكَارِهِ؛ فَإِنَّ مَصْلَحَتَهُ فِيمَا يَكْرَهُ، أَضْعَافُ مَصْلَحَتِهِ فِيمَا يُحِبُّ!(٣).

* مِنْ أَسْبَابِ الرِّضَا: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَنْعَ اللهِ لِعَبْدِهِ الْمُحِبِّ: عَطَاءٌ. وَابْتِلَاءَهُ: عَافِيَةٌ؛ فإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْ عَنْ بُخْلٍ وَعَدَمٍ، وَإِنَّمَا نَظَرَ فِي خَيْرِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ؛ فَمَنَعَهُ اخْتِيَارًا، وَحُسْنَ نَظَرٍ(٤).

* مَنْ تَحَقَّقَ بِمَعْرِفَةِ اللهِ، وَأَنَّ مَا قَضَاهُ اللهُ فَلَا مَرَدَّ لَهُ الْبَتَّةَ: ظَفِرَ بِرَوْحِ الرِّضَا؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الرِّضَا فِي رَاحَةٍ وَلَذَّةٍ وَسُرُورٍ!(٥).

* مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا: أَنْ يَلْزَمَ مَا جَعَلَ اللهُ رِضَاهُ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ يُوصِلُهُ إِلَىٰ مَقَامِ الرِّضَا وَلَا بُدَّ(٦).

---

(١) (٢/ ٢٠٨). بتصرف

(٢) انظر: (٢/ ١٩٩).

(٣) انظر: (٢/ ١٩٩)

(٤) انظر: (٢/ ٢٠٧).

(٥) انظر: (٢/ ١٤٤).

(٦) انظر: (٢/ ١٧٣).

* مَتَىٰ خَالَطَ الْقَلْبَ بَشَاشَةُ الْإِيمَانِ، وَاكْتَحَلَتْ بَصِيرَتُهُ بِالْيَقِينِ، وَتَلَقَّىٰ أَحْكَامَ الرَّبِّ بِصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ: فَقَدْ رَضِيَ كُلَّ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ الدِّينِيِّ(١).

(٥) مَشَقَّةُ الرِّضَا

* **الرِّضَا باللهِ:** سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَىٰ وَاللِّسَانِ، وَهِيَ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ وَالِامْتِحَانِ!(٢).

* **الرِّضَا بِالْقَضَاءِ:** أَشَقُّ شَيْءٍ عَلَىٰ النَّفْسِ، بَلْ هُوَ ذَبْحُهَا فِي الْحَقِيقَةِ! فَإِنَّهُ مُخَالَفَةُ هَوَاهَا وَطَبْعِهَا وَإِرَادَتِهَا(٣).

* **مَنْ رَضِيَ بِدِينِ اللهِ؛** لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ، وسَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا، وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِمُرَادِ نَفْسِهِ، أَوْ قَوْلِ مُقَلَّدِهِ وَطَائِفَتِهِ، وَهَاهُنَا يُوحِشُكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا الْغُرَبَاءُ فِي الْعَالَمِ!(٤).

* لِصُعُوبَةِ الرِّضَا؛ لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ؛ رَحْمَةً بِهِمْ، لَكِنْ نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ رِضَاهُ عَنْهُمْ: أَعْظَمُ مِنَ الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا(٥).

* **الرِّضَا بِاللهِ:** فَرْضٌ، **وَالرِّضَا عَنْهُ:** لَيْسَ مَطْلُوبًا علىٰ الْعُمُومِ؛ لِمَشَقَّةِ حُصُولِهِ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَشْرَفِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ(٦).

---

(١) انظر: (٢/ ١٨٩).

(٢) انظر: (٢/ ١٧١).

(٣) (٢/ ٢٠٤).

(٤) انظر: (٢/ ١٧١-١٧٢).

(٥) انظر: (٢/ ١٧٣).

(٦) انظر: (٢/ ١٨٤).

(٦) رِضَا الله

❁ رِضَا اللهِ عَنِ الْعَبْدِ: أَكْبَرُ مِن الْجَنَّةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، وَهَذَا الرِّضَا: جَزَاءٌ عَلَىٰ رِضَاهُمْ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْجَزَاءُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ: كَانَ سَبَبُهُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ[١].

❁ الْعَبْدُ إِذَا رَضِيَ بِاللهِ وَعَنْهُ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ: لَمْ يَتَخَيَّرْ عَلَيْهِ الْمَسَائِلَ، وَأَغْنَاهُ رِضَاهُ بِمَا يَقْسِمُهُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ؛ فَهَذَا يُعْطَىٰ أَفْضَلَ مَا يُعْطَاهُ سَائِلٌ![٢].

(٧) عُبُودِيَّةُ الرِّضَا

❁ لَا تَتِمُّ لِلْمُسْلِمِ الْعُبُودِيَّةُ: مِن الصَّبْرِ، وَالرِّضَا، وَالتَّضَرُّعِ، وَغَيْرِهَا؛ إِلَّا بِجَرَيَانِ الْقَدَرِ بِمَا يَكْرَهُهُ؛ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الرِّضَا بِالْقَضَاءِ الْمُحبوبِ لِلطَّبعِ، إِنَّمَا الشَّأْنُ فِي الْقَضَاءِ الْمُؤْلِمِ الْمُنَافِرِ لِلطَّبْعِ![٣].

❁ مَنْ رَضِيَ عَنْ رَبِّهِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ: اسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ فِي مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ. **وَالسُّخْطُ**: يُوجِبُ تَلَوُّنَ الْعَبْدِ، وَعَدَمَ ثَبَاتِهِ مَعَ اللهِ؛ فَلَا تَثْبُتُ لَهُ قَدَمٌ عَلَىٰ الْعُبُودِيَّةِ[٤].

❁ **مَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْقَدَرِ**؛ وَقَعَ فِي لَوْمِ الْمَقَادِيرِ: إِمَّا بِقَالَبِهِ، وَإِمَّا بِقَلْبِهِ وَحَالِهِ. **وَلَوْمُ الْمَقَادِيرِ**: لَوْمٌ لِمُقَدِّرِهَا، وَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي لَوْمِ الْخَلْقِ، وَاللهُ وَالنَّاسُ يَلُومُونَهُ، فَلَا يَزَالُ لَائِمًا مَلُومًا![٥].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٠٨).

(٢) انظر: (٢/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٣) انظر: (٢/ ٢٠٠).

(٤) انظر: (٢/ ٢٠١).

(٥) انظر: (٢/ ٢١٦).

(٨) قَوَادِحُ الرِّضَا

❁ الْإِلْحَاحُ في السؤال: يُنَافِي حَالَ الرِّضَا[١]؛ فَإِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ الرِّضَا: تَرْكَ الْإِلْحَاحِ فِي الْمَسْأَلَةِ؛ فَلَا يُخَاصِمُ الناسَ فِي حَقِّهِ، وَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ حُقُوقَهُ[٢].

❁ الرَّاضِي: لَا يُخَاصِمُ وَلَا يُعَاتِبُ إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَقِّ اللهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ؛ فَالْمُخَاصَمَةُ لِحَظِّ النَّفْسِ: تُطْفِئُ نُورَ الرِّضَا، وَتُذْهِبُ بَهْجَتَهُ، وَتُبَدِّلُ بِالْمَرَارَةِ حَلَاوَتَهُ، وَتُكَدِّرُ صَفْوَهُ[٣].

❁ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَرْضَىٰ بِاللهِ رَبًّا، لَكِنَّهُ لَا يَرْضَىٰ بِهِ وَلِيًّا وَنَاصِرًا، بَلْ يُوَالِي مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ؛ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُمْ يُقَرِّبُونَهُ إِلَىٰ اللهِ، وَهَذَا عَيْنُ الشِّرْكِ![٤].

(٩) عَدَمُ الرِّضَا

❁ عَدَمُ الرِّضَا: إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِفَوَاتِ ما يُحِبُّهُ، وَإِمَّا لِإِصَابَةِ مَا يَكْرَهُهُ؛ فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ؛ فَلَا فَائِدَةَ فِي سَخَطِهِ بَعْدَ ذَلِكَ![٥].

❁ أَوَّلُ مَعْصِيَةٍ عُصِيَ اللهُ بِهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ: إِنَّمَا نَشَأَتْ مِنْ (عَدَمِ الرِّضَا): فَإِبْلِيسُ: لَمْ يَرْضَ بتَفْضِيلِ آدَمَ، وَلَا بِالسُّجُودِ له. وَآدَمُ: لَمْ يَرْضَ بِمَا أُبِيحَ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ حَتَّىٰ أَكَلَ الشَّجَرَةِ![٦].

---

(١) (٢/ ٢٢١).

(٢) انظر: (٢/ ٢٢٨).

(٣) انظر: (٢/ ٢٢٠).

(٤) انظر: (٢/ ١٧٨-١٧٩).

(٥) انظر: (٢/ ٢٠٦).

(٦) انظر: (٢/ ٢٠٦).

المبحث الحادي والثلاثون

الشُّــكْرُ

(١) حَقِيقَةُ الشُّكْرِ

❁ حَقِيقَةُ الشُّكْرِ: هُوَ ظُهُورُ أَثَرِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَىٰ لِسَانِ عَبْدِهِ: ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا. وَعَلَىٰ قَلْبِهِ: شُهُودًا وَمَحَبَّةً. وَعَلَىٰ جَوَارِحِهِ: انْقِيَادًا وَطَاعَةً[١].

❁ الشُّكْرُ: اسْمٌ لِمَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ، مُسْتَلْزِمًا لِمَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ. وَمَعْرِفَتُهُ: تَسْتَلْزِمُ مَحَبَّتَهُ. وَمَحَبَّتُهُ: تَسْتَلْزِمُ شُكْرَهُ[٢].

❁ الشُّكْرُ: أَنْ لَا تَحْجبَكَ رُؤْيَةُ النِّعْمَةِ وَمُشَاهَدَتُهَا، عَنْ رُؤْيَةِ الْمُنْعِمِ بِهَا[٣].

❁ قَالَ حَمْدُونُ الْقَصَّارُ: (شُكْرُ النِّعْمَةِ: أَنْ تَرَىٰ نَفْسَكَ فِيهَا طُفَيْلِيًّا!)، ولهذا قال بَعْضُهُمْ: (الشُّكْرُ: أَنْ لَا تَرَىٰ نَفْسَكَ أَهْلًا لِلنِّعْمَةِ!)[٤].

(٢) صِفَةُ الشُّكْرِ

❁ الشُّكْرُ: يَكُونُ بِالْقَلْبِ: خُضُوعًا وَاسْتِكَانَةً، وَبِاللِّسَانِ: ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا، وَبِالْجَوَارِحِ: طَاعَةً وَانْقِيَادًا[٥].

❁ الشُّكْرُ: يَكُونُ فِي مُقَابِلِ نِعَمِ اللهِ، دُونَ أَوْصَافِهِ؛ فَلَا يُقَالُ: شَكَرْنَا اللهَ عَلَىٰ

---

(١) انظر: (٢/ ٢٣٤).

(٢) (٢/ ٢٣٧).

(٣) انظر: (٢/ ٢٣٥).

(٤) (٢/ ٢٣٥).

(٥) (٢/ ٢٣٧).

حَيَاتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ! فالشُّكْرُ: يَكُونُ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ وَالنِّعَمِ[١].

* **الشُّكْرُ**: أَنْ لَا يُسْتَعَانَ بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ. وَقِيلَ: مَنْ قَصُرَتْ يَدَاهُ عَنِ الْمُكَافَآتِ؛ فَلْيَطُلْ لِسَانُهُ بِالشُّكْرِ[٢].

* **الشُّكْرُ** مَبْنِيٌّ عَلَىٰ خَمْسِ قَوَاعِدَ:

١- خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ ٢- وَحُبُّهُ لَهُ ٣- وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ

٤- وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا ٥- وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ[٣].

* ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ:١١]. وهَذَا التَّحْدِيثُ: هو: الْإِخْبَارُ بِالنِّعْمَةِ: كَأَنْ يقَوْل: (أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ بِكَذَا وَكَذَا)، وَقيل: إِنَّ التَّحَدُّثَ بِالنِّعْمَةِ: هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ، وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ يَعُمُّ النَّوْعَيْنِ[٤].

(٣) أَنْوَاعُ الشُّكْرِ

* **الشُّكْرُ عَلَىٰ الْمُحَابِّ**: تَشَارَكَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسُ. وَمِنْ سِعَةِ رَحْمَةِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ: أَنْ عَدَّهُ شُكْرًا، وَوَعَدَ عَلَيْهِ الزِّيَادَةَ، وَأَوْجَبَ فِيهِ الْمَثُوبَةَ[٥].

* **حَقِيقَةُ الشُّكْرِ عَلَىٰ الْمَحَابِّ**: هِيَ الِاسْتِعَانَةُ بِنِعَمِ الْمُنْعِمِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ: وَهَذِهِ الحَقِيقَةُ اخْتَصَّ اللهُ بِهَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ؛ فَلَيْسَتْ لِغَيْرِهِمْ![٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٣٧).

(٢) (٢/ ٢٣٦).

(٣) (٢/ ٢٣٤).

(٤) انظر: (٢/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٥) انظر: (٢/ ٢٤٢).

(٦) انظر: (٢/ ٢٤٣).

❁ **الشَّاكِرُ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ**: أَسْبَقُ النَّاسِ دُخُولًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ قَابَلَ لِلْمَكَارِهِ الَّتِي يُقَابِلُهَا أَكْثَرُ النَّاسِ بِالْجَزَعِ، وَأَوْسَاطُهُمْ بِالصَّبْرِ، وَخَاصَّتُهُمْ بِالرِّضَا؛ فَقَابَلَهَا هُوَ بِأَعْلَىٰ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ![1].

(٤) أَهَمِّيَّةُ الشُّكْرِ

❁ مَقَامُ الشُّكْرِ: جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ أَرْفَعَهَا وَأَعْلَاهَا، وَهُوَ فَوْقَ الرِّضَا؛ فَهُوَ يَتَضَمَّنُ: الصَّبْرَ، وَالتَّوَكُّلَ، وَالْإِنَابَةَ، وَالْحُبَّ، وَالْإِخْبَاتَ، وَالْخُشُوعَ، وَالرَّجَاءَ[2].

❁ جَمِيعُ الْمَقَامَاتِ مُنْدَرِجَةٌ فِي الشكر، وَلِهَذَا كَانَ الْإِيمَانُ نِصْفَيْنِ: نِصْفٌ صَبْرٌ، وَنِصْفٌ شُكْرٌ. وَالصَّبْرُ دَاخِلٌ فِي الشُّكْرِ؛ فَرَجَعَ الْإِيمَانُ كُلُّهُ شُكْرًا![3].

❁الشَّاكِرُونَ: هُمْ أَقَلُّ الْعِبَادِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣][4].

(٥) أَسْبَابُ الشُّكْرِ

❁ الْعَبْدُ سَائِرٌ إِلَىٰ اللهِ: بَيْنَ مُطَالَعَةِ الْمِنَّةِ، وَمُشَاهَدَةِ التَّقْصِيرِ[5].

❁ كُلَّمَا حَدَّقَ الْقَلْبُ فِي نِعَمِ اللهِ: شَاهَدَ عَظَمَتَهَا وَكَثْرَتَهَا؛ فَيَئِسَ مِنْ عَدِّهَا، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمُشَاهَدَةِ مِنَّةِ اللهِ عَلَيْهِ بِهَا![6].

(١) انظر: (٢/ ٢٤٣-٢٤٤).

(٢) انظر: (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: (١/ ١٥٧).

(٤) (١/ ١٥٧).

(٥) انظر: (١/ ١٦١).

(٦) انظر: (١/ ١٦١).

❁ مَنْ لَاحَظَ نِعَمَ اللهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ وَلَا اسْتِجْلَابٍ لَهَا بِثَمَنٍ؛ تَيَقَّنَ تَقْصِيرَهُ فِي وَاجِبِهَا، والْقِيَامِ بِشُكْرِهَا[١].

❁ إِذَا لَاحَظَ الْعَبْدُ مَا هُوَ فِيهِ مِن أَلْطَافِ اللهِ ومِنَّتِهِ وَجُوْدِهِ، وشَهِدَ مَعَ ذَلِكَ فَقْرَهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ؛ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الشُّكْرِ، وَأَسْبَابِ الْمَزِيدِ، وَتَوَالِي النِّعَمِ عَلَيْهِ![٢].

(٦) شُكْرُ الشُّكْر!

❁الرَّبُّ تَعَالَىٰ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُكَافِئَ أَدْنَىٰ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ؛ فَإِنَّهُ الْخَالِقُ لِلشُّكْرِ وَالشَّاكِرِ، وَمَا يُشْكَرُ عَلَيْهِ![٣].

❁ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُحْصِيَ ثَنَاءً عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الْمُحْسِنُ إِلَىٰ عَبْدِهِ بِنِعَمِهِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ بِأَنْ أَوْزَعَهُ شُكْرَهَا؛ فَشُكْرُهُ نِعْمَةٌ مِن اللهِ، تَحْتَاجُ إِلَىٰ شُكْرٍ آخر![٤].

❁ **شُكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ:** نِعْمَةٌ مِن اللهِ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ؛ فَهِيَ تَسْتَدْعِي شُكْرًا آخَرَ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ الشُّكْرُ نِعْمَةٌ أَيْضًا، فَيَسْتَدْعِي شُكْرًا ثَالِثًا، وَهَلُمَّ جرًّا؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ الْقِيَامِ بِشُكْرِ الرَّبِّ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ![٥].

❁ اللهُ تعالىٰ هُوَ الْمُنْعِمُ بِالنِّعْمَةِ وَبِشُكْرِهَا، وَإِنْ سَمَّىٰ عَبْدَهُ شَكُورًا، فَهُوَ الشَّاكِرُ لِنَفْسِهِ، بِمَا أَنْعَمَ عَلَىٰ عَبْدِهِ[٦].

---

(١) انظر: (١/ ١٦١).

(٢) انظر: (٣/ ٨٥).

(٣) انظر: (٢/ ٢٤٢).

(٤) انظر: (٢/ ٢٤٢).

(٥) (٣/ ١٠٨).

(٦) انظر: (٣/ ١٠٨).

(٧) فَوَائِدُ الشُّكْر

● وَصَفَ اللهُ بِالشُّكْرِ خَوَاصَّ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَحَارِسًا وَحَافِظًا لِنِعْمَتِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَهُ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِآيَاتِهِ، وَهُوَ غَايَةُ الرَّبِّ مِنْ عَبْدِهِ![1].

● الِاعْتِرَافُ بِنِعْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِهَا، وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ خَلْقِهِ مِنْهَا؛ يُوجِبُ حِفْظَهَا وَالْمَزِيدَ مِنْهَا، وَقَدْ تَكُونُ ثَمَرَتُهُ فِي الدُّنْيَا: بِعَاجِلِ الثَّوَابِ، وَفِي الْآخِرَةِ: بِتَخْفِيفِ الْعِقَابِ[2].

● الشُّكْرُ: قَيْدُ النِّعَمِ الْمَوْجُودَةِ، وَصَيْدُ النِّعَمِ الْمَفْقُودَةِ[3].

● **إِنْعَامُ الرَّبِّ عَلَىٰ عَبْدِهِ**: إِحْسَانٌ وَتَفَضُّلٌ عَلَيْهِ، لَا لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ.

وَأَمْرُهُ لَهُ بِالشُّكْرِ: إِنْعَامٌ آخَرُ عَلَيْهِ؛ إِذْ مَنْفَعَةُ الشُّكْرِ تَرْجِعُ إِلَىٰ الْعَبْدِ لَا إِلَىٰ اللهِ! ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠][4].

● اللهُ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ: أَنْ يَشْهَدَ نِعَمَهُ، وَيَعْتَرِفَ لَهُ بِهَا، وَيُثْنِيَ عَلَيْهِ بِهَا[5].

● مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللهِ، وَعَظِيمِ بِرِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ: مَحَبَّتُهُ لِلشُّكْرِ، مَعَ أَنَّ مَنْفَعَتَهُ مُخْتَصَّةٌ بِالْعَبْدِ![6].

● غَايَةُ الْكَرَمِ -الَّذِي لَا كَرَمَ فَوْقَهُ-: أَنْ يُنْعِمَ اللهُ عَلَيْكَ، ثُمَّ يُوزِعَكَ شُكْرَ النِّعْمَةِ، وَيَرْضَىٰ عَنْكَ، ثُمَّ يُعِيدَ إِلَيْكَ مَنْفَعَةَ شُكْرِكَ، وَيَجْعَلَهُ سَبَبًا لِتَوَالِي نِعَمِهِ![7].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: (٢/ ٢٤٣).

(٣) (٢/ ٢٣٥).

(٤) (٢٤١-٢٤٢).

(٥) انظر: (٢/ ٢٣٥).

(٦) انظر: (٢/ ٢٤٢).

(٧) انظر: (٢/ ٢٤٢).

المبحث الثاني والثلاثون

الامْتِنَـــانُ

(١) حَقِيْقَةُ مِنَّةِ الله

❁ المُؤْمِنُ: لَا يَرَىٰ الْفَضْلَ وَالْإِحْسَانَ إِلَّا مِن اللهِ، فَهُوَ الْمَانُّ بِهِ بِلَا سَبَبٍ مِنْكَ، وَلَا شَفِيعٍ لَكَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِالشَّفَاعَةِ، وَلَا وَسِيلَةٍ سَبَقَتْ مِنْكَ تَوَسَّلْتَ بِهَا إِلَىٰ إِحْسَانِهِ[١].

❁ الْمُؤْمِنُ: يَشْهَدُ مَا وَهَبَهُ اللهُ لَهُ، وَيُلَاحِظُهُ وَيَرَاهُ مِنْ مَحْضِ الْمِنَّةِ، وَعَيْنِ الْجُودِ؛ فَلَا يَفْنَىٰ بِالْمُعْطَىٰ عَنْ رُؤْيَةِ عَطِيَّتِهِ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِالْعَطِيَّةِ عَنْ مُعْطِيهَا![٢]

(٢) مُطَالَعَةُ مِنَّةِ الله

❁ مَحَبَّةُ اللهِ: تَنْشَأُ مِنْ مُطَالَعَةِ الْعَبْدِ مِنَّةَ اللهِ وَنِعَمَهُ، فَبِقَدْرِ مُطَالَعَتِهِ ذَلِكَ: تَكُونُ قُوَّةُ الْمَحَبَّةِ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ قَطُّ إِحْسَانٌ إِلَّا مِن اللهِ![٣]

❁ مِنْ أَعْظَمِ مُطَالَعَةِ مِنَّةِ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ: تَأْهِيلُهُ لِمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَإِرَادَةِ وَجْهِهِ، وَمُتَابَعَةِ حَبِيبِهِ. وَأَصْلُ هَذَا: نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ[٤].

❁ هَلْ يَشْهَدُ الْمَرْءُ (مِنَّةَ اللهِ) فِيمَا لَحِقَهُ مِن الْمَعْصِيَةِ؟ الجواب: **نَعَمْ، إِذَا اقْتَرَنَ بِهَا: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَالْحَسَنَاتُ الْمَاحِيَةُ؛ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَنِ عَلَيْهِ!**[٥]

❁ شُهُودُ مِنَّةِ اللهِ، وَالتَّقْصِيرِ فِي وَاجِبِهَا؛ يُوْجِبُ نَوْعَيْنِ جَلِيلَيْنِ مِن الْعُبُودِيَّةِ: ١- مَحَبَّةُ الْمُنْعِمِ، ٢- وَاللَّهَجُ بِذِكْرِهِ[٦].

---

(١) انظر: (١/ ٥٢١).

(٢) انظر: (٣/ ١٧٣).

(٣) انظر: (٣/ ٣٨-٣٩).

(٤) انظر: (٣/ ٣٩).

(٥) انظر: (١/ ٤٩٨).

(٦) انظر: (١/ ١٦١).

المبحث الثالث والثلاثون

اليَقِــيْنُ

(١) حَقِيْقَةُ اليَقِين

* اليَقِينُ: هُوَ الْوُقُوفُ عَلَىٰ مَا قَامَ بِالْحَقِّ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنُعُوتِ كَمَالِهِ، وَتَوْحِيدِهِ[١].

* يَقِينُ الْمُكَاشَفَةِ: هو أنْ يَصِيرَ الخبرُ لِلْقَلْبِ: كَالْمَرْئِيِّ لِلعَينِ؛ وَهَذَا أَعْلَىٰ أَنْوَاعِ الْمُكَاشَفَةِ[٢].

* **الْيَقِينُ**: ظُهُورُ الشَّيْءِ لِلْقَلْبِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ نِسْبَتُهُ إِلَيْهِ: كَنِسْبَةِ الْمَرْئِيِّ إِلَىٰ الْعَيْنِ؛ فَلَا يَبْقَىٰ مَعَكَ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ، وَهَذَا نِهَايَةُ الْإِيمَانِ، وَهُوَ مَقَامُ الْإِحْسَانِ[٣].

* قَالَ بَعضُ السَّلَفُ: (**رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقِيقَةً!**)، قِيلَ: (**وَكَيْف؟!**)، قال: (**رَأَيْتُهُمَا بِعَيْنَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرُؤْيَتِي لَهُمَا بِعَيْنَيْهِ: آثَرُ عِنْدِي مِنْ رُؤْيَتِي لَهُمَا بِعَيْنِي!**)[٤].

* **الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ** (الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الْحَقُّ عَلَىٰ لِسَانِ رُسُلِهِ)، وقَبُولُه: إِيمَانًا، وَتَصْدِيقًا: هُوَ الْيَقِينُ؛ بِحَيْثُ لَا يُخَالِجُ الْقَلْبَ فِيهِ شُبْهَةٌ، وَلَا شَكٌّ، وَلَا تَنَاسٍ، وَلَا غَفْلَةٌ[٥].

---

(١) (٢/ ٣٧٩).

(٢) انظر: (٢/ ٣٧٧).

(٣) انظر: (٢/ ٣٧٦).

(٤) (٢/ ٣٧٦).

(٥) انظر: (٢/ ٣٧٨).

(٢) أَهَمِيَّةُ اليَقِيْنِ

❁ اليَقِينُ مِنَ الْإِيمَانِ: بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، وَبِهِ تَفَاضَلَ الْعَارِفُونَ، وَفِيهِ تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهِ شَمَّرَ الْعَامِلُونَ![١].

❁ الْيَقِينُ: رُوحُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ والْجَوَارِحِ، وَعَمُوْدُهَا، وَذُرْوَةُ سَنَامِهَا، وَهُوَ حَقِيقَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ. وَاللهُ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَحَ: فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ: فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ[٢].

(٣) مَرَاتِبُ اليَقِيْنِ

❁ مَرَاتِبُ العِلْمِ ثَلَاث: (عِلْمُ اليَقِين): يَحْصُلُ عَنِ الْخَبَرِ، ثُمَّ تَتَجَلَّىٰ حَقِيقَةُ الْمُخْبَرِ عَنْهُ لِلْقَلْبِ أَوِ الْبَصَرِ؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ الْعِلْمُ بِهِ: (عَيْنَ اليَقِين)، ثُمَّ يُبَاشِرُهُ وَيُلَابِسُهُ؛ فَيَصِيرَ: (حَقَّ اليَقِين)[٣].

❁ عِلْمُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ: عِلْمُ يَقِينٍ؛ فَإِذَا شَاهَدَهَا الْخَلَائِقُ؛ فَذَلِكَ: عَيْنُ الْيَقِينِ؛ فَإِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ: فَذَلِكَ حَقُّ الْيَقِينِ[٤].

❁ عَيْنُ الْيَقِينِ: هُوَ قُوَّةُ الْإِيمَانِ، وَمُبَاشَرَتُهُ لِلْقَلْبِ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِيَانِ إِلَّا كَشْفُ الْحِجَابِ، الْمَانِعِ مِنْ مُكَافَحَةِ الْبَصَرِ![٥]

❁ الْفَرْقُ بَيْنَ عِلْمِ الْيَقِينِ، وَعَيْنِ الْيَقِينِ: كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْخَبَرِ الصَّادِقِ، وَالْعِيَانِ. وَحَقُّ الْيَقِينِ: فَوْقَ هَذَا![٦]

---

(١) انظر: (٢/ ٣٧٤).

(٢) انظر: (٢/ ٦٣، ٣٧٤).

(٣) انظر: (١/ ٤٦٩).

(٤) انظر: (٢/ ٣٧٩).

(٥) انظر: (٢/ ١٤٤).

(٦) (٢/ ٣٧٩).

* أَهْلُ اليَقِين: لَا يَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِيمَانُهُمْ عَنْ مُجَرَّدِ خَبَرٍ؛ حَتَّىٰ يَتَرَقَّوْا مِنْهُ إِلَىٰ مُشَاهَدَةِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ، فَيَطْلُبُونَ التَّرَقِّي مِنْ (عِلْمِ الْيَقِينِ) بِالْخَبَرِ، إِلَىٰ (عَيْنِ الْيَقِينِ) بِالشُّهُودِ[١].

* إِذَا بَاشَرَ الْقَلْبُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ وَذَاقَهَا؛ صَارَتْ فِي حَقِّهِ: (حَقَّ يَقِينٍ)![٢]

(٤) فَوَائِدُ اليَقِين

* إِذَا تَزَوَّجَ الصَّبْرُ بِالْيَقِينِ: وُلِدَ بَيْنَهُمَا: **الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ!** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤][٣].

* خَصَّ اللهُ أَهْلَ الْيَقِينِ: بِالْهُدَىٰ وَالْفَلَاحِ، وَأَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ: بِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ، وَخَصَّ اللهُ أَهْلَ الْيَقِينِ: بِالِانْتِفَاعِ بِالْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ؛ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠][٤].

* بِحَسَبِ **اليَقِينِ بِالْوَعِيدِ**؛ يَكُونُ التَشْمِيرُ فِي التَّخَلُّصِ مِن الْجِنَايَةِ والمعصية؛ فَإِذَا تَعَطَّلَ مِنْ قَلْبِهِ التَّصْدِيقُ بِالْوَعِيدِ؛ خَرِبَ خَرَابًا لَا يُرْجَىٰ مَعَهُ فَلَاحٌ الْبَتَّةَ![٥]

* **مَتَىٰ وَصَلَ الْيَقِينُ إِلَىٰ الْقَلْبِ**: امْتَلَأَ نُورًا وَإِشْرَاقًا، وَانْتَفَىٰ عَنْهُ كُلُّ شَكٍّ وَسَخَطٍ؛ فَامْتَلَأَ مَحَبَّةً لِلهِ، وَخَوْفًا مِنْهُ، وَرِضًا بِهِ، وَشُكْرًا لَهُ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ؛ فَهُوَ مَادَّةُ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ، وَالْحَامِلُ لَهَا[٦].

---

(١) انظر: (١/ ٤٦٩).

(٢) انظر: (٢/ ٣٨٠).

(٣) (٢/ ٣٧٤).

(٤) انظر: (٢/ ٣٧٤).

(٥) انظر: (٢/ ١٦٤).

(٦) انظر: (٢/ ٣٧٤).

* **الْيَقِينُ**: يَدْعُو إِلَىٰ قِصَرِ الْأَمَلِ. **وَقِصَرُ الْأَمَلِ**: يَدْعُو إِلَىٰ الزُّهْدِ. **وَالزُّهْدُ**: يُورِثُ الْحِكْمَةَ، وَهِيَ: تُورِثُ النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ(١).

* كُنْتُ آخُذُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمٍ، فَأَقْرَأُ عَلَيْهِ (الْفَاتِحَةَ)؛ فَأَجِدُ بِهِ مِن النَّفْعِ وَالْقُوَّةِ. وَالْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ! وَلَكِنْ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ(٢).

* يَقِينُ الْإِيمَانِ؛ يَحْرِقُ السَّيِّئَاتِ: كَمَا تَحْرِقُ النَّارُ الْحَطَبَ!(٣)

* ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]: فَنَالُوا إِمَامَةَ الدِّينِ: بِالصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ(٤).

* إِذَا تَيَقَّنَ الْعَبْدُ أَنَّ **الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ**، وَلَيْسَ لَهُ مِن الْأَمْرِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُعَوَّلٌ غَيْرَ الرِّضَا بِمَوَاقِعِ الْأَقْدَارِ، وَمَا يَجْرِي بِهِ مِنْ رَبِّهِ الِاخْتِيَارُ(٥).

* **لَوْلَا الْيَقِينُ**: مَا سَارَ رَكْبٌ إِلَىٰ اللهِ، وَلَا ثَبَتَ لِأَحَدٍ قَدَمٌ فِي السُّلُوكِ إِلَّا بِهِ(٦).

(٥) أَسْبَابُ اليَقِينِ

* مَتَىٰ دَاخَلَ اليَقِينَ (رُكُونٌ إِلَىٰ سَبَبٍ) وَتَعَلُّقٌ بِهِ؛ قَدَحَ ذَلِكَ فِي يَقِينِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ قَطْعَ الْأَسْبَابِ، وَلَكِنْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهَا(٧).

* لَا عِبْرَةَ بِجَدَلِ مَنْ قَلَّ فَهْمُهُ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بَابُ الشَّكِّ وَالتَّشْكِيكِ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ

---

(١) (٢/ ٣٧٥).

(٢) انظر: (١/ ٨٠).

(٣) انظر: (١/ ٤٠١).

(٤) (٣/ ٢٨٤).

(٥) انظر: (٢/ ٢٠٨).

(٦) (٢/ ٣٧٧-٣٧٨).

(٧) انظر: (١/ ٥١٥).

آفَةُ الْعُلُومِ، وَبَلِيَّةُ الْأَذْهَانِ وَالْفُهُومِ[١].

❁ الْمُعْرِضُونَ عَنْ نُصُوصِ الْوَحْيِ؛ خَلَعُوهَا عَنْ سُلْطَانِ الْحَقِيقَةِ، وَعَزَلُوهَا عَنْ وِلَايَةِ الْيَقِينِ، وَشَنُّوا عَلَيْهَا غَارَاتِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ![٢]

(٦) قَوَادِحُ اليَقِين

❁ **يَقِينُ الْخَبَرِ**: سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَىٰ خَبَرِ الْمُخْبِرِ، وَوُثُوقُهُ بِصِدْقِهِ.

وَيَقِينُ الدَّلَالَةِ: أَنْ يُقِيمَ لَهُ - مَعَ وُثُوقِهِ بِصِدْقِهِ - الْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

❁ اللهُ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ؛ لَكِنَّهُ يُقِيمُ لِعِبَادِهِ الْأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَىٰ صِدْقِ أَخْبَارِهِ؛ فَيَحْصُلُ لَهُمُ الْيَقِينُ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ، وَمِنْ جِهَةِ الدَّلِيلِ: كَعَامَّةِ أَخْبَارِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْقُرْآنِ[٣].

(٧) اليَقِينُ والعِلْم

❁ **الْيَقِينُ**: يَحْمِلُ عَلَىٰ الْأَهْوَالِ، وَرُكُوبِ الْأَخْطَارِ؛ فَإِنْ لَمْ يُقَارِنْهُ **الْعِلْمُ**: حَمَلَ عَلَىٰ الْمَعَاطِبِ. وَالْعِلْمُ يَأْمُرُ بِالتَّأَخُّرِ وَالْإِحْجَامِ؛ فَإِنْ لَمْ يَصْحَبْهُ الْيَقِينُ: قَعَدَ بِصَاحِبِهِ عَنِ الْمَكَاسِبِ وَالْغَنَائِمِ[٤].

---

(١) (٢/ ٩٨-٩٩).

(٢) انظر: (١/ ٢٩).

(٣) انظر: (٢/ ٣٧٧).

(٤) انظر: (٢/ ٣٧٧).

المبحث الرابع والثلاثون

الذِّكْــــرُ

(١) أَنْوَاعُ الذِّكْرِ

❁ الذِّكْرُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

١-ذِكْرُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمَعَانِيهَا، وَالثَّنَاءُ عَلَىٰ اللهِ، وَتَوْحِيدُه بِهَا.

٢- وذِكْرُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

٣-وذِكْرُ الْآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَيَادِي[١].

❁ الذِّكْرُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ أَيْضًا:

١-ذِكْرٌ يَتَوَاطَأُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ (وَهُوَ أَعْلَاهَا).

٢-وذِكْرٌ بِالْقَلْبِ وَحْدَهُ (وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ).

٣-وذِكْرٌ بِاللِّسَانِ الْمُجَرَّدِ (وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ)[٢].

❁ **ذِكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، مَحْفُوفٌ بِذِكْرَيْنِ مِنْ رَبِّهِ لَهُ:**

١-ذِكْرٍ قَبْلَهُ: بِهِ صَارَ الْعَبْدُ ذَاكِرًا لَهُ.

٢-وذِكْرٍ بَعْدَهُ: بِهِ صَارَ الْعَبْدُ مَذْكُورًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**»[٣].

(١) انظر: (٢/ ٤٠٣).

(٢) (٢/ ٤٠٣).

(٣) انظر: (٢/ ٤٠٥).

(٢) أَهَمِّيَّةُ الذِّكْر

❁ مَنْزِلَةُ الذِّكر: هِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْكُبْرَىٰ، الَّتِي مِنْهَا يَتَزَوَّدُونَ، وَفِيهَا يَتَّجِرُونَ، وَإِلَيْهَا دَائِمًا يَتَرَدَّدُونَ. وَالذِّكْرُ: مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ، الَّذِي مَنْ أُعْطِيَهُ: اتَّصَلَ، وَمَنْ مُنِعَهُ: عُزِلَ![١]

❁ **الذِّكْرُ**: هُوَ رِيَاضُ جَنَّةِ المؤمنينَ الَّتِي فِيهَا يَتَقَلَّبُونَ، وَرُؤوسُ أَمْوَالِ سَعَادَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ[٢].

❁ **فِي كُلِّ (جَارِحَةٍ) عُبُودِيَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ. وَالذِّكْرُ**: عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَهِيَ غَيْرُ مُؤَقَّتَةٍ، بَلْ هِيَ فِي كُلِّ حَالٍ: ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩١][٣].

❁ **الذِّكْرُ**: أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَهُوَ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّه الْمَقْصُودُ بِالطَّاعَاتِ كُلِّهَا، **وَالذِّكْرُ**: أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَبْقَىٰ مَعَهُ فَاحِشَةٌ وَمُنْكَرٌ، بَلْ إِذَا تَمَّ الذِّكْرُ: مَحَقَ كُلَّ خَطِيئَةٍ! ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥][٤].

❁ جَعَلَ اللهُ الذِّكْرَ **خَاتِمَةَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ**؛ وَلِهَذَا كَانَ خَاتِمَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِ؛ فَإِذَا كَانَ آخِرَ كَلَامِ الْعَبْدِ: أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ![٥]

(٣) حَيَاةُ القَلْبِ بِالذِّكْر

❁ **الذِّكْرُ**: هُوَ قُوتُ الْقُلُوبِ، الَّذِي مَتَىٰ فَارَقَهَا: صَارَتِ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا! وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِيْن، ودَوَاءُ أَسْقَامِهِمُ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٩٥).

(٢) انظر: (٢/ ٣٩٦).

(٣) انظر: (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر: (٢/ ٣٩٨).

(٥) انظر: (٢/ ٣٩٨).

(٦) انظر: (٢/ ٣٩٥).

❁ **الذِّكْرُ**: هُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَإِذَا خَلَا الْعَمَلُ عَنِ الذِّكْرِ: كَانَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ![(١)]

❁ **الْقَلْبُ الذَّاكِرَ**: كَالْحَيِّ فِي بُيُوتِ الْأَحْيَاءِ. **وَالْقَلْبُ الْغَافِلُ**: كَالْمَيِّتِ فِي بُيُوتِ الْأَمْوَاتِ؛ فَأَبْدَانُ الْغَافِلِينَ: قُبُورٌ لِقُلُوبِهِمْ، وَقُلُوبُهُمْ فِيهَا: كَالْأَمْوَاتِ فِي الْقُبُورِ![(٢)]

(٤) دَفْعُ الْبَلَاءِ بِالذِّكْرِ

❁ **بِالذِّكْرِ**: تُسْتَدْفَعُ الْآفَات، وَتُكْشَفُ الْكُرُبَات، وَتَهُونُ الْمُصِيبَات، فَإِذَا أَظَلَّ الْبَلَاءُ: فَإِلَيْهِ الْمَلْجَأ، وَإِذَا نَزَلَتْ النَّوَازِلُ: فَإِلَيْهِ الْمَفْزَع![(٣)]

❁ **الذِّكْرُ**: يَدَعُ الْقَلْبَ الْحَزِينَ: ضَاحِكًا مَسْرُورًا، وَيُوصِلُ الذَّاكِرَ إِلَىٰ الْمَذْكُورِ، بَلْ يَدَعُ الذَّاكِرَ مَذْكُورًا! ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢][(٤)].

(٥) عِلَاجُ الْقَلْبِ بِالذِّكْرِ

❁ كَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ قِيعَانٌ: وَالذِّكْرُ غِرَاسُهَا؛ فَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ خَرَابٌ: وَهُوَ عِمَارَتُهَا وَأَسَاسُهَا، وَهُوَ جِلَاءُ الْقُلُوبِ وَدَوَاؤُهَا؛ إِذَا غَشِيَهَا اعْتِلَالُهَا[(٥)].

❁ **دَوَامُ الذِّكْرِ** (الَّذِي تَوَاطَأَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ): يَجْمَعُ الْقَلْبَ عَلَىٰ اللهِ، وَيُسْقِطُ شَتَاتَهُ[(٦)].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٩٦).

(٢) انظر: (٢/ ٤٠٢).

(٣) انظر: (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر: (٢/ ٣٩٦).

(٥) انظر: (٢/ ٣٩٦).

(٦) انظر: (٣/ ٣٠٦).

(٦) الذِّكْرُ دَلِيلُ المَحَبَّة

❁ أَمَرَ اللهُ بِذِكْرِهِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْأَعْدَاءِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥][1]. قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (**الْمُحِبُّونَ يَفْتَخِرُونَ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّونَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ!**)[2].

❁ ذِكْرُ الْمُحِبِّ لِمَحْبُوبِهِ فِي حَالِ الحرب والقتال -الَّتِي لَا يَهُمُّ الْمَرْءَ فِيهَا غَيْرُ نَفْسِهِ- مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّةِ الْمَحَبَّةِ، وأَنَّهُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ أَوْ أَعَزَّ مِنْهَا، وَهَذَا دَلِيلُ عَلَىٰ صِدْقِ الْمَحَبَّةِ![3]

(٧) الغَفْلَةُ عَنِ الذِّكْر

❁ **الْأَلْسُنُ** مَتَىٰ تَرَكَتْ ذِكْرَ اللهِ -الَّذِي هُوَ مَحْبُوبُهَا-؛ **اشْتَغَلَتْ** بِذِكْرِ مَا يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ عَلَيْهِ[4].

❁ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (**تَدْرُونَ مَنْ هُمْ أَهْلُ الْبَلَاءِ؟ هُمْ: أَهْلُ الْغَفْلَةِ عَنِ اللهِ!**)[5].

❁ زَيَّنَ اللهُ بِالذِّكْرِ أَلْسِنَةَ الذَّاكِرِينَ؛ كَمَا زَيَّنَ بِالنُّورِ أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ، **فَاللِّسَانُ الْغَافِلُ**: كَالْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَالْأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَالْيَدِ الشَّلَّاءِ![6]

❁ **الذِّكْرُ**: بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ الْمَفْتُوحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، مَا لَمْ يُغْلِقْهُ الْعَبْدُ **بِغَفْلَتِهِ!** قَالَ الْحَسَنُ: (**تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي الصَّلَاةِ، وَالذِّكْرِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنْ وَجَدْتُمْ،**

---

(١) انظر: (٢/ ٣٩٩).

(٢) (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر: (٢/ ٣٩٩-٤٠٠).

(٤) (٣/ ٤٦).

(٥) (٣/ ٨٠).

(٦) (٢/ ٣٩٦).

وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ)[١].

* **الْأَذْكَارُ النَّبَوِيَّةُ**: مُتَضَمِّنَةٌ لِلثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ، وَمَصْلَحَةِ الْقَلْبِ، وَالتَّحَرُّزِ مِن الْغَفَلَاتِ، وَالِاعْتِصَامِ مِن الْوَسَاوِسِ وَالشَّيْطَانِ[٢].

فَنِسْيَانُ ذِكْرِ اللهِ مَوْتُ قُلُوبِهِمْ ... وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ
وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ ... وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّىٰ النُّشُورِ نُشُورُ[٣]

* **بِالذِّكْرِ**: يَصْرَعُ الْعَبْدُ الشَّيْطَانَ، كَمَا يَصْرَعُ الشَّيْطَانُ: أَهْلَ الْغَفْلَةِ[٤].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٩٦).

(٢) انظر: (٢/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٣) (٢/ ٤٠٢).

(٤) انظر: (٢/ ٣٩٦).

المبحث الخامس والثلاثون

تَدَبُّرُ الْقُرْآن

(١) شَرَفُ القرْآن

* **القُرْآنُ**: هُوَ نُورُ اللهِ الْمُبِينُ، الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَرَحْمَتُهُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْمَخْلُوقَاتِ[١].

* **القُرْآنُ**: هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا تَمِيلُ بِهِ الْآرَاءُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَالنُّزُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ[٢].

* **القُرْآنُ**: هُوَ نُورُ الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَاهَا، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا، وَحَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَىٰ بِلَادِ الْأَفْرَاحِ[٣].

(٢) أَهَمِيَةُ تَدَبُّرِ القُرْآن

* أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ: لِنَقْرَأَهُ تَدَبُّرًا، وَنَجْتَنِي ثِمَارَ عُلُومِهِ مِنْ أَشْجَارِهِ، وَرَيَاحِينَ الْحِكَمِ مِنْ بَيْنِ أَزْهَارِهِ[٤].

* الْحَقِيقَةُ الصَّحِيحَةُ: لَا تُقْتَبَسُ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ الْقُرْآنِ[٥].

* تُجْتَنَىٰ ثَمَرَةُ الْفِكْرَةِ؛ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ[٦].

---

(١) انظر: (١/ ٢٧).

(٢) انظر: (١/ ٢٧).

(٣) انظر: (١/ ٢٧).

(٤) انظر: (١/ ٢٧).

(٥) انظر: (١/ ٣٠).

(٦) انظر: (١/ ٤٤٨).

(٣) فَوَائِدُ التَّدَبُّر

❁ حَقِيقٌ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُنْفِقَ سَاعَاتِ عُمُرِهِ -بَلْ أَنْفَاسَهُ- بِالْإِقْبَالِ عَلَىٰ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ؛ فَإِنَّهُ الْكَفِيلُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ(١).

❁ لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَىٰ نَجَاتِهِ: مِنْ **تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ**، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَىٰ مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَافِيرِهِمَا(٢).

❁ **قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ**: تُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ(٣).

❁ **قِرَاءَةُ التَّدَبُّرِ**: تُشْهِدُهُ الْآخِرَةَ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ فِيهَا! وَتُغَيِّبُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّىٰ كَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا! وَتُمَيِّزُ لَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي كُلِّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْعَالَمُ(٤).

(٤) ثَمَرَاتُ التَّدَبُّر

❁ **سِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ**: انْتَهَىٰ إِلَىٰ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارُ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥](٥).

❁ إِذَا تَدَبَّرْتَ الْقُرْآنَ - مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ - رَأَيْتَهُ يَدُورُ عَلَىٰ **التَّوْحِيدِ**، وَتَقْرِيرِهِ وَحُقُوقِهِ(٦).

❁ **طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ**: هِيَ إِضَافَةُ النِّعَمِ إِلىٰ الله، وإِسْنَادُ الْخَيْرَاتِ إِلَيْهِ، وَحَذْفُ

---

(١) انظر: (١/ ٣٠).

(٢) انظر: (١/ ٤٥٠).

(٣) انظر: (١/ ٤٥٠).

(٤) انظر: (١/ ٤٥٠).

(٥) انظر: (١/ ٩).

(٦) انظر: (٣/ ٤٤٩).

الْفَاعِلِ فِي مُقَابَلَتِهِمَا: كَقَوْلِ مُؤْمِنِي الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠][١].

(٥) أَسْبَابُ التَّدَبُّرِ

* أَلْزِمْ نَفْسَكَ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ، وَمَعْرِفَةَ الْمُرَادِ، وَالنَّظَرَ إِلَىٰ مَا يَخُصُّكَ مِنْهُ، وَالتَّعَبُّدَ بِهِ، وَتَنْزِيلَ دَوَائِهِ عَلَىٰ أَدْوَاءِ قَلْبِكَ، وَالِاسْتِشْفَاءَ بِهِ[٢].

* **السَّمَاعُ لِلْقُرْآنِ**: كَالسَّمَاعِ مِنَ اللهِ؛ فَإِنَّهُ كَلَامُهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، فَمَنْ سَمِعَهُ أو قُرِئَ عَلَيْهِ؛ فَلْيُقَدِّرْ نَفْسَهُ كَأَنَّمَا يَسْمَعُهُ مِن اللهِ، ويُخَاطِبُهُ بِهِ![٣]

* **مِلَاكُ التَّدَبُّرِ**: أَنَّ تَنْقُلَ قَلْبَكَ مِنْ (وَطَنِ الدُّنْيَا)، فَتُسْكِنَهُ فِي (وَطَنِ الْآخِرَةِ)، ثُمَّ تُقْبِلَ بِهِ عَلَىٰ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَفَهْمِ مَا يُرَادُ مِنْهُ، وَأَخْذِ نَصِيبِكَ مِنْ كُلِّ آيَةٍ، وَتُنْزِلَهَا عَلَىٰ دَاءِ قَلْبِكَ[٤].

* إِذَا أَقْبَلَ الْقَلْبُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَىٰ الْقُرْآنِ، فَأَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، وَسَاعَدَهُ طِيبُ صَوْتِ الْقَارِئِ: كَادَ الْقَلْبُ أَنْ يُفَارِقَ هَذَا الْعَالَمَ، وَيَجِدَ لَهُ لَذَّةً لَا يَعْهَدُهَا؛ فَيَا لَهُ مِنْ غِذَاءٍ مَا أَنْفَعَهُ![٥]

* اللهُ فَطَرَ الْقُلُوبَ عَلَىٰ قَبُولِ الْحَقِّ وَالِانْقِيَادِ لَهُ، وَلِهَذَا نَدَبَ اللهُ عِبَادَهُ إِلَىٰ

---

(١) ومِنْهُ: قَوْلُ الْخَضِرِ -فِي شَأْنِ الْجِدَارِ وَالْيَتِيمَيْنِ-: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾، وَقَالَ فِي خَرْقِ السَّفِينَةِ: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾. انظر: (١/ ٣٥).

(٢) انظر: (١/ ٢٧٠).

(٣) انظر: (١/ ٤٩٩).

(٤) انظر: (٢/ ٣٠).

(٥) انظر: (٢/ ٣٨٦).

تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ؛ فَمَنْ تَدَبَّرَهُ: أَوْجَبَ لَهُ ذلك عِلْمًا ضَرُورِيًّا أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ[1].

(٦) مَوَانِعُ التَّدَبُّرِ

❁ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْعُرُونَ بِدُخُولِهِمْ تَحْتَ خِطَابِ القُرْآن، وَيَظُنُّونَهُ فِي قَوْمٍ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ![2]

❁ **لَوْ رُفِعَتِ الْأَقْفَالُ عَنِ الْقُلُوبِ**: لَبَاشَرَتْهَا حَقَائِقُ الْقُرْآنِ، وَاسْتَنَارَتْ فِيهَا مَصَابِيحُ الْإِيمَانِ، وَعَلِمَتْ عِلْمًا ضَرُورِيًّا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ: تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَبَلَّغَهُ رَسُولُهُ جِبْرِيلُ إِلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ[3].

---

(١) انظر: (٣/ ٤٣٧).

(٢) انظر: (١/ ٣٥١).

(٣) انظر: (٣/ ٤٣٧).

المبحث السادس والثلاثون

سَـــمَاعُ القَـــلْب

(١) حَقِيقَةُ السَّمَاع

❁ إِسْمَاعُ الْقُلُوْبِ: أَخَصُّ مِنْ إِسْمَاع الْآذَانِ؛ فَسَمَاعُ اللَّفْظِ: حَظُّ الْأُذُنِ، وَسَمَاعُ مَقْصُودِهِ: حَظُّ الْقَلْبِ(١).

❁ قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣]: أي لَأَسْمَعَ قُلُوبَهُمْ؛ فَإِنَّ سَمَاعَ الْقَلْبِ يَتَضَمَّنُ الْفَهْمَ. وَالْمَقْصُودُ: هو انْقِيَادُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْجَوَارِحِ، لِمَا سَمِعَتْهُ الْأُذُنَانِ(٢).

❁ مَرْتَبَةُ السَّمَاعِ: مَدَارُهَا عَلَىٰ إِيصَالِ الْمَقْصُودِ بِالْخِطَابِ إِلَىٰ الْقَلْبِ، وَهِيَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: ١-سَمَاعُ الْأُذُنِ، ٢-وَسَمَاعُ الْقَلْبِ، ٣-وَسَمَاعُ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ(٣).

❁ السَّمَاعُ: هو رَسُولُ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْقَلْبِ، وَهُوَ أَسَاسُهُ الَّذِي انْبَنَىٰ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ كُلَّ الشَّأْنِ فِي الْمَسْمُوعِ(٤).

❁ السَّمَاعُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ (بِنَاء الْإِيمَانِ)؛ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: ١-سَمَاعِ إِدْرَاكٍ بِحَاسَّةِ الْأُذُنِ، ٢-وَسَمَاعِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، ٣-وَسَمَاعِ فَهْمٍ وَإِجَابَةٍ وَقَبُولٍ(٥).

(١) انظر: (١/ ٦٧).

(٢) انظر: (٣/ ١٦٠).

(٣) انظر: (١/ ٦٨).

(٤) انظر: (١/ ٤٧٨).

(٥) انظر: (١/ ٤٨٠).

(٢) أَسْبَابُ السَّمَاعِ

* كُلَّمَا تَجَرَّدَت الرُّوحُ وَالْقَلْبُ، وَانْقَطَعَتَا عَنْ عَلَائِقِ الْبَدَنِ؛ كَانَ حَظُّهُمَا مِنْ ذَلِكَ السَّمَاعِ أَوْفَىٰ، وَتَأَثُّرُهُمَا بِهِ أَقْوَىٰ[1].

* إذا غَلَبَتْ عَلَىٰ القَلْبِ: الْمَعْرِفَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّهِ؛ فَهَذَا حَظُّهُ مِن السَّمَاعِ قَرِيبٌ مِنْ حَظِّ الْمَلَائِكَةِ! وَسَمَاعُهُ: غِذَاءُ قَلْبِهِ وَرُوْحِهِ[2].

* الْقَلْبُ يَتَأَثَّرُ بِالسَّمَاعِ، بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِن مَحَبَّةِ اللهِ؛ فَلَهُ مِنْ سَمَاعِهِ هَذَا شَأْنٌ، وَلِغَيْرِهِ شَأْنٌ آخَرُ![3] «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ»[4].

(٣) السَّمَاعُ النَّافِعِ

* سَمَاعُ الْقُرْآنِ يَكُونُ بِالِاعْتِبَارَاتِ الثَّلَاثَةِ: (فَهْمًا، وَتَدَبُّرًا، وَإِجَابَةً). وَكُلُّ سَمَاعٍ فِي الْقُرْآنِ: مَدَحَ اللهُ أَصْحَابَهُ، وَأَمَرَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ؛ فَهُوَ هَذَا السَّمَاعُ![5]

* مَنْ كَانَ مُحِبًّا صَادِقًا، طَالِبًا لِلهِ: كَانَ غِذَاؤُهُ بِالسَّمَاعِ الْقُرْآنِيِّ، الَّذِي كَانَ غِذَاءَ سَادَاتِ الْعَارِفِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، (وَهُمُ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم)[6].

* حُصُولُ السَّمْعِ الْحَقِيقِيِّ: مَبْدَأٌ لِظُهُورِ آثَارِ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْحَيَاةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ؛ فَإِنَّ بِهَا يَحْصُلُ غِذَاءُ الْقَلْبِ وَيَعْتَدِلُ؛ فَتَتِمُّ قُوَّتُهُ وَحَيَاتُهُ، وَسُرُورُهُ وَنَعِيمُهُ[7].

---

(١) (٢/ ٣٨٦).

(٢) انظر: (٢/ ٣٨٨).

(٣) انظر: (٢/ ٣٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٥) انظر: (١/ ٤٨١).

(٦) انظر: (٢/ ٣٨٢).

(٧) انظر: (٢/ ٣٨٥).

* **سَمَاعُ التَّدَبُّرِ**: حَادٍ يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَىٰ جِوَارِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، وَسَائِقٌ يَسُوقُ الْأَرْوَاحَ إِلَىٰ دِيَارِ الأَفراحِ![١]

* **السَّمَاعُ الْقُرْآنِيُّ**: يَصِلُ نَعِيمُهُ إِلَىٰ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَرُبَّمَا فَاضَ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ الْأَجْسَامِ؛ فَيَجِدُ مِن اللَّذَّةِ مَا لَمْ يَعْهَدْ مِثْلَهُ مِن اللَّذَّاتِ الْحِسِّيَّةِ![٢]

(٤) السَّمَاعُ الضَّار

* هَلْ تُقَاسُ سَكْرَةُ الشَّرَابِ، بِسَكْرَةِ الْأَرْوَاحِ بِالسَّمَاعِ؟ وَهَلْ يُظَنُّ بِحَكِيمٍ: يُحَرِّمَ سُكْرًا لِمَفْسَدَةٍ مَعْلُومَةٍ، وَيُبِيحَ سُكْرًا مَفْسَدَتُهُ أَضْعَافُ مَفْسَدَةِ الشَّرَابِ؟![٣]

* مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِحَقَائِقِ الْقُرْآنِ، وَمُطَالَعَةِ أَسْرَارِهِ: ابتَلَاهُ اللهُ بِقُرْآنِ الشَّيْطَانِ![٤]

* مِنْ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ السُّكْرِ: سَمَاعُ **الْأَصْوَاتِ الْمُطْرِبَةِ**، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَتْ مِنْ صُورَةٍ مُسْتَحْسَنَةٍ، وَصَادَفَتْ مَحَلًّا قَابِلًا؛ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ سُكْرِ السَّامِعِ![٥]

* قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (**الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ: كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ!**)[٦].

* مَا اعْتَادَ أَحَدٌ الغناءَ؛ إِلَّا نَافَقَ قَلْبُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ! وَلَوْ عَرَفَ حَقِيقَةَ النِّفَاقِ وَغَايَتَهُ؛ لَأَبْصَرَهُ فِي قَلْبِهِ[٧].

---

(١) انظر: (١/ ٤٨١-٤٨٢).

(٢) انظر: (٢/ ٣٨٢).

(٣) انظر: (١/ ٤٩٠).

(٤) انظر: (١/ ٤٨٢).

(٥) (٣/ ٢٨٩).

(٦) (١/ ٤٨٣).

(٧) انظر: (١/ ٤٨٣).

* مَا اجْتَمَعَ فِي قَلْبِ عَبْدٍ قَطُّ: مَحَبَّةُ الْغِنَاءِ، وَمَحَبَّةُ الْقُرْآنِ؛ إِلَّا طَرَدَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ[١].

* قَدْ شَاهَدْنَا -نَحْنُ وَغَيْرُنَا- ثِقَلَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ (أَهْلِ الْغِنَاءِ وَسَمَاعِهِ)، وَتَبَرُّمَهُمْ بِهِ، وَصِيَاحَهُمْ بِالْقَارِئِ إِذَا طَوَّلَ عَلَيْهِمْ، وَعَدَمَ انْتِفَاعِ قُلُوبِهِمْ بِمَا يَقْرَؤُهُ![٢]

* لَنْ يَجْعَلَ اللهُ مَنْ نَصِيبُهُ مِنْ سَمَاعِ (الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ)؛ كَمَنْ نَصِيبُهُ مِنْ سَمَاعِ (الْغِنَاءِ وَالْأَبْيَاتِ)![٣]

* الْمُنْصِفُ: يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا نِسْبَةَ بَيْنَ سُقْمِ الْأَرْوَاحِ بِسُكْرِ الشَّرَابِ، وَسُقْمِهَا بِسُكْرِ السَّمَاعِ![٤]

* كَيْفَ يُظَنُّ بِالْحَكِيمِ الْخَبِيرِ؛ أَنْ يُحَرِّمَ مِثْلَ رَأْسِ الْإِبْرَةِ مِنَ الْمُسْكِرِ، ثُمَّ يُبِيحُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ سَوْقًا إِلَىٰ الْحَرَامِ! فَإِنَّ الْغِنَاءَ -كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه-: (**رُقْيَةُ الزِّنَا**)[٥].

* صَوْتَانِ أَحْمَقَانِ فَاجِرَانِ، هُمَا لِلشَّيْطَانِ لَا لِلرَّحْمَنِ: ١-صَوْتُ النَّدْبِ وَالنِّيَاحَةِ عِنْدَ الْحُزْنِ، ٢-وَصَوْتُ اللَّهْوِ وَالْمِزْمَارِ وَالْغِنَاءِ عِنْدَ الْفَرَحِ![٦]

* مُنَافَاةُ النَّوْحِ لِلصَّبْرِ، وَالْغِنَاءِ لِلشُّكْرِ: أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنَ الدِّينِ، لَا يَمْتَرِي فِيهِ إِلَّا أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ![٧]

---

(١) (١/ ٤٨٣).

(٢) (١/ ٤٨٣).

(٣) انظر: (١/ ٤٨٤).

(٤) (١/ ٤٩١).

(٥) انظر: (١/ ٤٩٤).

(٦) انظر: (١/ ٤٩٥).

(٧) (١/ ٤٩٥).

* الشُّكْرُ: هُوَ الِاشْتِغَالُ بِطَاعَةِ اللهِ، لَا بِصوْتِ الشَّيْطَانُ، وَكَذَلِكَ النَّوْحُ ضِدُّ الصَّبْرِ(١).

* فِتْنَةُ الْغِنَاءِ: أَعْظَمُ مِنْ النَّوْحِ، وَالَّذِي شَاهَدْنَاهُ وَعَرَفْنَاهُ بِالتَّجَارِبِ؛ أَنَّهُ مَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ فِي قَوْمٍ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَدُوَّ، وَبُلُوا بِالْقَحْطِ وَوُلَاةِ السُّوءِ!(٢)

* مَنْ كَانَ فَاسِدَ الْحَالِ: كَانَ غِذَاؤُهُ بِالسَّمَاعِ الشَّيْطَانِيِّ، الَّذِي هُوَ قُرْآنُ الشَّيْطَانِ، وَأَصْحَابُهُ: أَبْعَدُ الْخَلْقِ مِن اللهِ، وَأَغْلَظُهُمْ عَنْهُ حِجَابًا(٣).

(٥) ارْتِبَاطُ الْقَلْبِ بِالسَّمْعِ

* ارْتِبَاطُ القَلْبِ بِحَاسَّتَي (السَّمْعِ وَالْبَصرِ): أَشَدُّ مِن ارْتِبَاطِهِ بِغَيْرِهِمَا، وَوُصُولُ الْغِذَاءِ مِنْهُمَا إِلَيْهِ: أَقْوَىٰ مِنْ سَائِرِ الْحَوَاسِّ؛ وَلِهَذَا تَجِدُ فِي الْقُرْآنِ: اقْتِرَانَهُ بِهِمَا أَكْثَرَ مِن غَيْرِهِمَا(٤).

* تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالسَّمْعِ: أَشَدُّ مِنْ تَعَلُّقِهِ بِالْبَصَرِ، وَلِهَذَا يَتَأَثَّرُ الإنسانُ بِمَا يَسْمَعُهُ: أَعْظَمُ مِمَّا يَتَأَثَّرُ بِمَا يَرَاهُ!(٥)

* الصَّحِيحُ أَنَّ حَاسَّةَ السَّمْعِ: أَفْضَلُ مِنْ حَاسَّةِ الْبَصرِ؛ لِشَدَّةِ تَعَلُّقِهَا بِالْقَلْبِ، وَحَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَوُصُولِ الْعُلُومِ إِلَيْهِ بِهَا، وَتَوَقُّفِ الْهُدَىٰ عَلَىٰ سَلَامَتِهَا(٦).

* تَعَلُّقُ (السَّمْعِ الظَّاهِرِ الْحِسِّيِّ) بِالْقَلْبِ أَشَدُّ، وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا أَقْرَبُ مِن الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْبَصرِ وَبَيْنَهُ!(٧)

---

(١) انظر: (١/ ٤٩٥-٤٩٦).

(٢) انظر: (١/ ٤٩٦).

(٣) انظر: (٢/ ٣٨٢).

(٤) انظر: (٢/ ٣٨٣).

(٥) انظر: (٢/ ٣٨٤).

(٦) انظر: (٢/ ٣٨٤).

(٧) انظر: (٢/ ٣٨٥).

(٦) سَمَاعُ الكُفَّار

❁ نَفَىٰ اللهُ عَنِ الْكُفَّارِ السَّمْعَ: لِعَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِهِ، أو لِأَنَّ النَّفْيَ تَوَجَّهَ إِلَىٰ أَسْمَاعِ قُلُوبِهِمْ: كَقَوْلِ أَصْحَابِ النَّارِ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠](١).

❁ السَّمْعُ الثَابِتُ لَلْكُفَّارِ: هُوَ **السَّمَاعُ الحِسِّيّ**، الَّذِي تَقُومُ بِهِ الحُجَّة. والسَّمَاعُ الْمُنْتَفِي عَنْهُمْ: **هُوَ سَمْعُ الْقَلْبِ**(٢).

❁ كَان الكُفَّارُ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ (مِنْ حَيْثُ السَّمْعُ الْحِسِّيُّ): كَالْغَنَمِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ إِلَّا نَعِيقَ الرَّاعِي! وَلَمْ يَسْمَعُوهُ بقلوبهم(٣).

❁ لَوْ سَمِعَ الكفارُ الْقُرْآنَ: سَمَاعًا مُتَّصِلًا أَثَرُهُ بِالْقَلْبِ؛ لَحَصَلَتْ لَهُمُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، وَزَالَ عَنْهُمُ الصَّمَمُ وَالْبَكَمُ، وأَنْقَذُوا نُفُوسَهُمْ مِن السَّعِيرِ!(٤)

❁ **سَمَاعُ الْأُذُنِ**: لَا يُفِيدُ السَّامِعَ إِلَّا قِيَامَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مَقْصُودُ السَّمَاعِ: فَلَا يَحْصُلُ مَعَ لَهْوِ الْقَلْبِ! ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:٢-٣](٥).

❁ مَن غَلَبَ عَلَىٰ قَلْبِهِ: آفَاتُ الشَّهَوَاتِ، وَدَعَوَاتُ الْهَوَىٰ؛ فَهَذَا حَظُّهُ مِن السَّمَاعِ: كَحَظِّ الْبَهَائِمِ، لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً!(٦)

---

(١) انظر: (٢/ ٣٨٥).

(٢) انظر: (٢/ ٣٨٥).

(٣) انظر: (٢/ ٣٨٥).

(٤) انظر: (٢/ ٣٨٥-٣٨٦).

(٥) انظر: (١/ ٦٧).

(٦) انظر: (٢/ ٣٨٨).

المبحث السَّابع والثلاثون
التَّفَــكُّرُ

(١) حَقِيقَةُ التَّفَكُّرِ

* الفِكْرَةُ: هِيَ تَحْدِيقُ الْقَلْبِ إِلَىٰ جِهَةِ الْمَطْلُوبِ؛ الْتِمَاسًا لَهُ[١].

* فِكْرَةُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، والنَّافِعِ وَالضَّارِّ؛ هِيَ مَجَالُ أَفْكَارِ الْعُقَلَاءِ[٢].

* **الْفِكْرَةُ فِي التَّوْحِيدِ**: اسْتِحْضَارُ أَدِلَّتِهِ، وَبُطْلَانِ الشِّرْكِ وَاسْتِحَالَتِهِ، وَأَنَّ الْإِلَهِيَّةَ والرُّبُوبِيَّةَ يَسْتَحِيلُ ثُبُوتُهَا لِاثْنَيْنِ[٣].

* **الِاعْتِبَارُ**: هُوَ عُبُورُ الْقَلْبِ مِن الْأَثَرِ إِلَىٰ الْمُؤَثِّرِ، وَمِنَ الصَّنْعَةِ إِلَىٰ الصَّانِعِ، وَمِنَ الدَّلِيلِ إِلَىٰ الْمَدْلُولِ! ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢][٤].

* **اعْتِبَارُ الْخَوَاصِّ**: أَنَّهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وأَنَّهُ يَفْعَلُ كَذَا، وَلَا يَفْعَلُ كَذَا؛ فَيَفْعَلُ مَا هُوَ مُوجَبُ حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَغِنَاهُ وَحَمْدِهِ، وَلَا يَفْعَلُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ[٥].

* ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١]: أي يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ، وَالْعِلْمِ بِلِقَائِهِ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَانْقِضَائِهَا، وَالْآخِرَةِ وَدَوَامِهَا[٦].

---

(١) انظر: (١/ ١٦٦).

(٢) انظر: (١/ ١٦٦).

(٣) انظر: (١/ ١٦٦).

(٤) انظر: (٣/ ٣٣٣).

(٥) انظر: (٣/ ٣٣٣).

(٦) انظر: (٣/ ٣٣٢).

(٢) أَسْبَابُ التَّفَكُّرِ

* اللهُ تعالىٰ يَدُلُّ بِآيَاتِهِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، عَلَىٰ صِدْقِ آيَاتِهِ الْقَوْلِيَّةِ الْكَلَامِيَّةِ! ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣][1].

* آيَاتُ اللهِ (الْعِيَانِيَّةُ الْخَلْقِيَّةُ)، تَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ آيَاتِهِ (الْقَوْلِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ)، فَالرُّسُلُ تُخْبِرُ عَنْ اللهِ بآيَاتِهِ الْقَوْلِيَّةِ، وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِمَفْعُولَاتِهِ الَّتِي تَشْهَدُ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ[2].

* (الآيَاتُ الكَوْنِيَّةُ): تُصَدِّقُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّة، وَبِهَا عُرِفَتْ رُبُوبِيَّتُهُ وَإِلَهِيَّتُهُ، وَمُلْكُهُ وَصِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ[3].

* الْمَخْلُوقَاتُ تَدُلُّ عَلَىٰ خَالِقِها وَبَارِئِها؛ فَهِيَ تُنَادِي بِلِسَانِ حَالِها: (**اِسْمَعْ شَهَادَتِي لِمَنْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ؛ فَأَنَا صُنْعُ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ!**)[4].

* لَابُدَّ أَنْ يَرَىٰ الْعِبَادُ مِن آيَاتِ اللهِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ؛ مَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْوَحْيَ -الَّذِي بَلَّغَتْهُ رُسُلُهُ- حَقٌّ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]: أَيِ الْقُرْآنُ[5].

* (مَخْلُوقَاتُ اللهِ): دَالَّةٌ عَلَىٰ ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. (وَأَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ): دَالَّةٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُهُ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَمَا لَا يَفْعَلُهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ[6].

---

(١) انظر: (٣/ ٤٢٢).

(٢) انظر: (٣/ ٤٣٠).

(٣) انظر: (٣/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٤) انظر: (٣/ ٣٥٣).

(٥) انظر: (٣/ ٤٣٢).

(٦) انظر: (٣/ ٣٣٣).

❁ الْمَوْجُودَاتُ بِأَسْرِهَا: شَوَاهِدُ صِفَاتِ الرَّبِّ وَنُعُوتِهِ؛ فَهِيَ كُلُّهَا تُشِيرُ إِلَىٰ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَحَقَائِقِها، وَتُنَادِي عَلَيْهَا، وَتَدُلُّ عَلَيْهَا، وَتُخْبِرُ بِهَا بِلِسَانِ النُّطْقِ وَالْحَالِ![١]

❁ اللهُ يَدْعُو عِبَادَهُ بِآيَاتِهِ **الْمَتْلُوَّةِ**، إِلَىٰ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ **الْمَشْهُودَةِ**، وَيَحُضُّهُمْ عَلَىٰ التَّفْكِيرِ فِي هَذِهِ وَهَذِهِ[٢].

❁ مِمَّا يُعِينُ علىٰ **التَّفَكُّرِ**: قَمْعُ الشَّهَوَاتِ الْمُرْدِيَةِ، وَإِخْمَادُ نِيرَانِهَا الْمُحْرِقَةِ؛ فَحِينَئِذٍ يَتَفَرَّغُ الْقَلْبُ لِلتَّفَكُّرِ فِيمَا فِيهِ كَمَالُ الْعَبْدِ، وَيَرَىٰ أَنَّ إِيثَارَ الظِّلِّ الزَّائِلِ عَلَىٰ الْعَيْشِ اللَّذِيذِ الدَّائِمِ: أَخْسَرُ الْخُسْرَانِ![٣]

❁ **تَأَمَّلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا ... مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَىٰ إِلَيْكَ رَسَائِلُ**
وَقَدْ خَطَّ فِيهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا ... أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ[٤]

(٣) فَوَائِدُ التَّفَكُّرِ

❁ الْفِكْرُ الصَّحِيحُ: يَدُلُّ عَلَىٰ إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الْجَلَالِ. وَأَمَّا فِكْرٌ مَصْحُوبٌ بِمَوْتِ الْقَلْبِ وَعَمَىٰ الْبَصِيرَةِ: فَإِنَّمَا يُعْطِي صَاحِبَهُ نَفْيَهَا وَتَعْطِيلَهَا![٥]

❁ لَذَّةُ الْأَرْوَاحِ وَالْعُقُولِ -لَا مَحَالَةَ-: فِي مُطَالَعَةِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوتِ الْجَمَالِ[٦].

---

(١) انظر: (٣/ ٣٣٢).

(٢) انظر: (١/ ٦٦).

(٣) انظر: (٣/ ٢٤٨).

(٤) (٣/ ٣٣٢).

(٥) انظر: (٣/ ٣٣٣).

(٦) (٣/ ٤٢).

* نَظَرُ الْفِكْرِ وَالِاعْتِبَارِ إِلَىٰ آيَاتِهِ (الْمَشْهُودَةِ والْمَسْمُوعَةِ)؛ دَاعٍ قَوِيٌّ إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهَا أَدِلَّةٌ عَلَىٰ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَنُعُوتِ جَلَالِهِ [١].

* اللهُ سُبْحَانَهُ: أَقَامَ الشَّوَاهِدَ عَلَيْهِ، وَهَدَىٰ عِبَادَهُ إِلَىٰ النَّظَرِ فِيهَا، وَلَكِنَّ الْعَارِفَ: وصَلَ مِنْهَا إِلَىٰ الْيَقِينِ، وَسَافَرَ قَلْبُهُ إِلَىٰ اللهِ؛ فَكَأَنَّهُ يَرَىٰ الْبَانِيَ وَهُوَ يَبْنِي مَا شَاهَدَهُ مِن الْبِنَاءِ الْمُحْكَمِ الْمُتْقَنِ![٢]

* التَّذَكُّرُ وَالتَّفَكُّرُ: مَنْزِلَانِ يُثْمِرَانِ أَنْوَاعَ الْمَعَارِفِ، وَحَقَائِقَ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ [٣].

* الْعَارِفُ: لَا يَزَالُ يَعُودُ بِتَفَكُّرِهِ عَلَىٰ تَذَكُّرِهِ، وَبِتَذَكُّرِهِ عَلَىٰ تَفَكُّرِهِ؛ حَتَّىٰ يُفْتَحَ قُفْلُ قَلْبِهِ بِإِذْنِ الْفَتَّاحِ الْعَلِيمِ![٤]

(٤) ثَمَرَاتُ التَّفَكُّرِ

* سُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ حِكْمَتُهُ عُقُولَ الْعَالَمِينَ، وَشَهِدَتْ بِأَنَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ [٥].

* كُلُّ مَا تَرَاهُ فِي الْوُجُودِ (مِنْ شَرٍّ وَأَلَمٍ وَعُقُوبَةٍ)؛ فَهُوَ مِنْ عَدْلِ اللهِ، وَإِنْ أَجْرَاهُ عَلَىٰ يَدِ ظَالِمٍ؛ فَالْمُسَلِّطُ لَهُ: أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ [٦].

* مَنْ أَيِسَ مِنْ عَمَلِهِ وَالنَّجَاةِ بِهِ: نَظَرَ إِلَىٰ أَلْطَافِ اللهِ، وَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ فِيهِ:

---

(١) انظر: (٣/ ٤٠-٤١).

(٢) انظر: (٣/ ٢٨٣).

(٣) (١/ ٤٤٠).

(٤) (١/ ٤٤٠).

(٥) انظر: (١/ ٣٤٣).

(٦) انظر: (١/ ٤٢٥).

لُطْفٌ مِن اللهِ، وَصَدَقَةٌ تَصدَّقَ بِهَا عَلَيْهِ بِلَا سَبَبٍ مِنْهُ[١].

❁ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (**نِعْمَةُ اللهِ فِيمَا زَوَىٰ عَنِّي مِن الدُّنْيَا؛ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَتِهِ فِيمَا بَسَطَ لِي مِنْهَا؛ إِنِّي رَأَيْتُهُ أَعْطَاهَا قَوْمًا فَاغْتَرُّوا!**)[٢].

❁ اللهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُ شَرًّا مَحْضًا؛ فَإِنَّ حِكْمَتَهُ تَأْبَىٰ ذَلِكَ، بَلْ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ: شَرًّا وَمَفْسَدَةً بِبَعْضِ الِاعْتِبَارَاتِ، وَفِي خَلْقِهِ: مَصَالِحُ بِاعْتِبَارَاتٍ أُخَرَ، أَرْجَحَ مِن اعْتِبَارَاتِ مَفَاسِدِهِ[٣].

❁ مَنْ تَأَمَّلَ أَقْدَارَ الرَّبِّ تَعَالَىٰ، وَجَرَيَانَهَا فِي الْخَلْقِ: عَلِمَ أَنَّهَا وَاقِعَةٌ فِي أَلْيَقِ الْأَوْقَاتِ بِهَا، فَهَكَذَا وَقْتُ الْعَبْدِ مَعَ اللهِ؛ يَعْمُرُهُ بِأَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لَهُ؛ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَىٰ عِمَارَتِهِ[٤].

❁ مَدُّ الظِّلِّ وَقَبْضُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا: تُعْرَفُ بِهِ أَوْقَاتُ الصَّلَوَاتِ، وَمَا مَضَىٰ وَمَا بَقِيَ مِنْ اليوم، وَفِي تَحَرُّكِهِ وَانْتِقَالِهِ: مَا يُبْرِدُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ؛ فَهُوَ مِنْ آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ[٥].

❁ مَنْ شَهِدَ حَقِيقَةَ الْخَلْقِ، وَإِضَاعَتَهُمْ لِحَقِّ اللهِ، وَإِقْبَالَهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِ؛ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ مَقْتِهِمْ، وَلَكِنْ إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَحَالِهِ وَتَقْصِيرِهِ؛ كَانَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مَقْتًا، فَهَذَا هُوَ الْفَقِيهُ![٦]

---

(١) انظر: (١/ ٤٣٩).

(٢) انظر: (١/ ٤٩٨).

(٣) انظر: (٢/ ١٩٤).

(٤) انظر: (٣/ ١٢٣).

(٥) انظر: (٣/ ٢٧٣).

(٦) انظر: (١/ ٤٣٧).

المبحث الثامن والثلاثون

الذُّلُّ لله

(١) حَقِيقَةُ الذُّلِّ لله

* **مَشْهَدُ الذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ**: هُوَ أَنْ يَشْهَدَ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ؛ ضَرُورَةً وافْتِقَارًا تَامًّا إِلَىٰ رَبِّهِ، وَهَذِهِ الْحَالُ لَا تَنَالُ الْعِبَارَةُ حَقِيقَتَهَا، وَإِنَّمَا تُدْرَكُ بِالْحُصُولِ![١]

* **الذُّلُّ للهِ**: هُوَ لُبُّ الْعُبُودِيَّةِ وَسِرُّهَا، وَحُصُولُهُ: أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْعَبْدِ، وَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَىٰ اللهِ[٢].

(٢) أَسْبَابُ الذُّلِّ لله

* **أَوْلِيَاءُ اللهِ الْمُتَّقُونَ**: إِذَا شَاهَدُوا أَحْوَالَ أَعْدَائِهِ وَمَقْتَهُ لَهُمْ، وَخِذْلَانَهُ لَهُمْ: ازْدَادُوا خُضُوعًا وَذُلًّا، وَافْتِقَارًا وَانْكِسَارًا، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا مَلْجَأَ لَهُمْ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ[٣].

* مَنْ يَشْهَدُ تَوْفِيقَ اللهِ وَخِذْلَانَهُ؛ فَإِنَّهُ يَسْأَلُهُ تَوْفِيقَهُ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ، وَيَعُوذُ بِهِ مِنْ خِذْلَانِهِ عِيَاذَ الْمَلْهُوفِ، وَيُلْقِي نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ: طَرِيحًا بِبَابِهِ، مُسْتَسْلِمًا لَهُ، خَاضِعًا ذَلِيلًا مُسْتَكِينًا[٤].

* قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (**إِنَّهُ تَكُونُ لِي حَاجَةٌ إِلَىٰ اللهِ، فَأَسْأَلُهُ إِيَّاهَا؛ فَيَفْتَحُ عَلَيَّ مِنْ مُنَاجَاتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَالتَّمَلُّقِ بَيْنَ يَدَيْهِ: مَا أُحِبُّ مَعَهُ أَنْ يُؤَخِّرَ عَنِّي**

---

(١) انظر: (١/ ٤٢٧).

(٢) انظر: (١/ ٢٢٤).

(٣) انظر: (١/ ٤١١).

(٤) انظر: (١/ ٤١٥).

قَضَاءَهَا، وَتَدُومَ لِي تِلْكَ الْحَالُ»(١).

❁ قَدْ يَكُونُ لِلعَبْدِ حَاجَةٌ؛ فَيُلِحُّ عَلَىٰ رَبِّهِ فِي طَلَبِهَا؛ حَتَّىٰ يَفْتَحَ لَهُ مِنْ لَذِيذِ مُنَاجَاتِهِ، وَالذُّلِّ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ مَا يُنْسِيهِ حَاجَتَه، وَيَكُونَ مَا فُتِحَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ؛ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ حَاجَتِهِ!(٢)

(٣) فَوَائِدُ الذُّلِّ للهِ

❁ **الصَّادِقُ**: يُلْقِي نَفْسَهُ بِالْبَابِ: طَرِيحًا، ذَلِيلًا، مِسْكِينًا، مُسْتَكِينًا: كَالْإِنَاءِ الْفَارِغِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِيهِ الْبَتَّةَ؛ فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ أَقَامَكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَرْحَمَكَ وَيَمْلَأَ إِنَاءَكَ!(٣)

❁ السَّالِكُ فِي طَرِيقِ الذُّلِّ والافْتِقَارِ: غَرِيبٌ فِي النَّاسِ، وَهُمْ فِي وَادٍ، وَهُوَ فِي وَادٍ، وَهِيَ تُسَمَّىٰ «طَرِيقَ الطَّيْرِ»، يَسْبِقُ النَّائِمُ فِيهَا -عَلَىٰ فِرَاشِهِ- السُّعَاةَ، فَيُصْبِحُ وَقَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَ، وَسَبَقَ الرَّكْبَ!(٤)

❁ لَا شَيْءَ أَنْفَع لِلصَّادِقِ مِن التَّحَقُّقِ بِالْمَسْكَنَةِ وَالْفَاقَةِ وَالذُّلِّ، وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ لَمْ يَصِحَّ لَهُ بَعْدُ الْإِسْلَامُ؛ حَتَّىٰ يَدَّعِيَ الشَّرَفَ فِيهِ!(٥)

❁ النَّفْسُ فِيهَا مُضَاهَاةٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ، وَلَوْ قَدَرَتْ لَقَالَتْ: كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ، وَلَكِنَّهُ قَدَرَ فَأَظْهَرَ، وَغَيْرُهُ عَجَزَ فَأَضْمَرَ، وَإِنَّمَا يُخَلِّصُهَا مِنْ هَذِهِ الْمُضَاهَاةِ: **ذُلُّ الْعُبُودِيَّةِ**(٦).

---

(١) انظر: (٢/ ٢٢٩).

(٢) انظر: (٢/ ٢٢٩).

(٣) انظر: (٣/ ١٢٢).

(٤) انظر: (٢/ ٤٣٠).

(٥) (٢/ ٤٢٠).

(٦) (٢٢٤). فائدة: ذُلُّ العُبُودِيَّةِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

١- مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْخَلْقِ: وَهِيَ ذُلُّ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ إِلَىٰ اللهِ. =

❁ كُلَّمَا ازْدَادَتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ بِنَقْصِهِ وَعَيْبِهِ وَفَقْرِهِ وَذُلِّهِ وَضَعْفِهِ؛ ازْدَادَتْ مَعْرِفَتُهُ لِرَبِّهِ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ[١].

= ٢- ذُلُّ الطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّة: وَهُوَ ذُلُّ الِاخْتِيَارِ، وَهَذَا خَاصٌّ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَهُوَ سِرُّ الْعُبُودِيَّةِ!

٣- ذُلُّ الْمَحَبَّةِ: فَإِنَّ الْمُحِبَّ ذَلِيلٌ بِالذَّاتِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ مَحَبَّتِهِ يَكُونُ ذُلُّهُ

٤- ذُلُّ الْمَعْصِيَةِ وَالْجِنَايَةِ؛ (فَإِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ؛ كَانَ الذُّلُّ لِله أَكْمَلَ وَأَتَمَّ).

انظر: (١/ ٢٢٤).

(١) (١/ ٤٢٧).

المبحث التاسع والثلاثون

الانْكِسَـــارُ

(١) حَقِيقَةُ الانْكِسَار

* تَحْصُلُ لِقَلْبِ الْمُؤْمِنِ **كَسْرَةٌ خَاصَّةٌ** لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ، بِحَيْثُ يَرَىٰ نَفْسَهُ كَالْإِنَاءِ الْمَرْضُوضِ تَحْتَ الْأَرْجُلِ، وَأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ للانْتِفَاعِ إِلَّا بِجَبْرٍ جَدِيدٍ مِنْ صَانِعِهِ! فَحِينَئِذٍ يَسْتَكْثِرُ مِن الْخَيْرِ[١].

* **صَاحِبُ الْقَلْبِ الْمَكْسُوْرِ**: يَرَىٰ أَنَّ أَيَّ خَيْرٍ لَهُ مِن اللهِ؛ اسْتَكْثَرَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ قَدْرَهُ دُونَهُ، وَاسْتَقَلَّ مِنْ نَفْسِهِ الطَّاعَاتِ، وَلَوْ سَاوَتْ طَاعَات الثَّقَلَيْنِ، وَاسْتَكْثَرَ قَلِيلَ مَعَاصِيهِ وَذُنُوبِهِ[٢].

* قِيلَ لِبَعْضِ الْعَارِفِينَ: أَيَسْجُدُ الْقَلْبُ؟ قَالَ: (**نَعَمْ، يَسْجُدُ سَجْدَةً لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْهَا إِلَىٰ يَوْمِ اللِّقَاءِ!**)[٣].

* إِذَا سَجَدَ الْقَلْبُ لِلهِ؛ سَجَدَتْ مَعَهُ جَمِيعُ الْجَوَارِحِ، وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَىٰ عَتَبَةِ الْعُبُودِيَّةِ، نَاظِرًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ، نَظَرَ الذَّلِيلِ إِلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ[٤].

(٢) أَسْبَابُ الانْكِسَار

* **الْمَرِيضُ**: مَكْسُورُ الْقَلْبِ، وَلَوْ كَانَ مَنْ كَانَ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكْسِرَهُ الْمَرَضُ، فَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا قَدِ انْكَسَرَ قَلْبُهُ بِالْمَرَضِ: كَانَ اللهُ عِنْدَهُ![٥]

---

(١) انظر: (١/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٢) انظر: (٢/ ٤٢٨).

(٣) (٢/ ٤٢٨).

(٤) (٢/ ٤٢٨).

(٥) (١/ ٣٠٧).

❁ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ لِأَنَّهُ مَقَامُ ذُلٍّ وَانْكِسَارٍ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ(١).

❁ قَدْ يَعْمَلُ الْعَبْدُ الذَّنْبَ؛ فَيُحْدِثُ لَهُ انْكِسَارًا وَنَدَمًا؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ نَجَاتِهِ، وَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَتُورِثُهُ عُجْبًا وَكِبْرًا؛ فَتَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ!(٢)

❁ إِذَا أَرَادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا؛ أَلْقَاهُ فِي ذَنْبٍ يَكْسِرُهُ بِهِ، وَيُعَرِّفُهُ قَدْرَهُ، وَيَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنْهُ دَاءَ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ، وَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ شُرْبِ الدَّوَاءِ؛ لِيَسْتَخْرِجَ بِهِ الدَّاءَ الْعُضَالَ!(٣)

❁ قَدْ تَكُوْنُ الْهَفْوَةُ سَبَبًا لِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَذُلٍّ خَاصٍّ، وَانْكِسَارٍ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ، وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ تَزِيدُ فِي قُرْبِهِ مِنْهُ؛ فَتَكُونُ تِلْكَ الْهَفْوَةُ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةٍ! وَهَذَا مِنْ اعْتِنَاءِ اللهِ بِالْعَبْدِ(٤).

❁ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ، وَهُوَ صَادِقٌ فِي طَلَبِهِ؛ لَمْ يُبْقِ لَهُ نَظَرُهُ فِي سَيِّئَاتِهِ حَسَنَةً الْبَتَّةَ؛ فَلَا يَلْقَىٰ اللهَ إِلَّا بِالْإِفْلَاسِ الْمَحْضِ، وَالْفَقْرِ الصِّرْفِ!(٥)

(٣) فَوَائِدُ الِانْكِسَار

❁ الذُّلُّ وَالِانْكِسَارُ: رُوحُ الْعُبُودِيَّةِ وَمُخُّهَا وَلُبُّهَا!(٦)

❁ السِّرُّ فِي اسْتِجَابَةِ دَعْوَةِ (الْمَظْلُومِ، وَالْمُسَافِرِ، وَالصَّائِمِ)؛ هِيَ الْكَسْرَةُ الَّتِي فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ(٧).

---

(١) (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: (١/ ٣٠٧).

(٣) انظر: (١/ ٣٠٨).

(٤) انظر: (٢/ ٤٢٦).

(٥) انظر: (١/ ٢٣٦).

(٦) (١/ ٣٠٦).

(٧) انظر: (١/ ٣٠٧).

* شَمْعَةُ الْجَبْرِ وَالْفَضْلِ وَالْعَطَايَا؛ تَنْزِلُ فِي شَمْعَدَانِ الِانْكِسَار![1]

* مَا أَقْرَبَ الْجَبْرَ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ الْمَكْسُورِ، وَمَا أَنْفَعَ هَذَا الْمَشْهَدَ لَهُ! وَذَرَّةٌ مِنْ هَذَا وَنَفَسٌ مِنْهُ؛ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ طَاعَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِن الْمُعْجَبِينَ بِأَعْمَالِهِمْ وَعُلُومِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ![2]

* **أَحَبُّ الْقُلُوبِ إِلَىٰ اللهِ:** قَلْبٌ قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْكَسْرَةُ؛ فَهُوَ نَاكِسُ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ: حَيَاءً وَخَجَلًا[3].

* هَذِهِ الذِّلَّةُ وَالْكَسْرَةُ الْخَاصَّةُ: تُدْخِلُ الْقَلْبَ عَلَىٰ اللهِ، وَتَرْمِيهِ عَلَىٰ طَرِيقِ الْمَحَبَّةِ؛ فَيُفْتَحُ لَهُ مِنْهَا بَابٌ لَا يُفْتَحُ لَهُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ![4]

* الطَّاعَاتُ تَفْتَحُ لِلْعَبْدِ أَبْوَابًا مِن الْمَحَبَّةِ، لَكِنَّ الَّذِي يَفْتَحُ مِنْهَا مِنْ طَرِيقِ الذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ؛ نَوْعٌ وَفَتْحٌ آخَرُ![5]

* إِمَاتَةُ النَّفْسِ وَإِذْلَالُهَا وَكَسْرُهَا؛ يُوجِبُ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَعِزَّهُ وَجَبْرَهُ![6]

* كُلُّ قَبُولٍ فِي النَّاسِ، وَتَعْظِيمٍ وَمَحَبَّةٍ، إِذَا اتَّصَلَ بِهِ خُضُوعٌ لِلرَّبِّ، وَذُلٌّ وَانْكِسَارٌ، وَمَعْرِفَةٌ بِعَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ، وَبَذْلُ النَّصِيحَةِ لِلْخَلْقِ: فَهُوَ مِنَّةٌ، وَإِلَّا فَهُوَ حُجَّةٌ![7]

---

(١) (١/ ٣٠٧).

(٢) انظر: (٢/ ٤٢٨).

(٣) انظر: (٢/ ٤٢٨).

(٤) انظر: (٢/ ٤٣٠).

(٥) انظر: (٢/ ٤٣٠).

(٦) (٢/ ٣٠).

(٧) انظر: (١/ ١٩٠).

* كَسْرَةُ العاصي بِذَنْبِهِ، وَمَا أَحْدَثَ لَهُ مِن الذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ: أَنْفَعُ لَهُ، وَخَيْرٌ مِنْ صَوْلَةِ الطَّاعَةِ، وَالتكَثُّرِ بِهَا![1]

* لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ **كَسْرَةِ القلب**: بِالتَّوْبَةِ، وَالْخُضُوعِ، وَالتَّذَلُّلِ، وَالِانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فمَا أَنْفَعَ تِلْكَ الكَسْرَةَ لِلْعَبْدِ، وَمَا أَجْدَىٰ عَائِدَتَها عَلَيْهِ، وَمَا أَعْظَمَ جَبْرَهُ بِهَا![2]

* دَخَلَ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَذَقْنُهُ تَمَسُّ سَرْجَهُ: انْكِسَارًا وَتَوَاضُعًا، فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ، الَّتِي عَادَةُ النُّفُوسِ فِيهَا: أَنْ يَمْلِكَهَا النَّصْر، وَيَرْفَعُهَا إِلَىٰ عَنَانِ السَّمَاءِ![3]

---

(١) انظر: (١/ ١٩٥).

(٢) انظر: (٢٠٤). قال ابن القيّم: (فَلِلَّهِ مَا أَحْلَىٰ قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ: أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي إِلَّا رَحِمْتَنِي، أَسْأَلُكَ بِقُوَّتِكَ وَضَعْفِي، وَبِغِنَاكَ عَنِّي، وَفَقْرِي إِلَيْكَ! هَذِهِ نَاصِيَتِي الْكَاذِبَةُ الْخَاطِئَةُ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَبِيدُكَ سِوَايَ كَثِيرٌ، وَلَيْسَ لِي سَيِّدٌ سِوَاكَ! لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَىٰ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ! أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْخَاضِعِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ! سُؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، وَذَلَّ لَكَ قَلْبُهُ!). المصدر السابق (٢٠٤-٢٠٥).

(٣) انظر: (٢/ ٣٧٢).

المبحث الأربعون

الافْتِقَـــارُ

(١) حَقِيقَةُ الافْتِقَار

* حَقِيقَةُ الْفَقْرِ: أَنْ لَا يَسْتَغْنِيَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ[١].

* طَرِيقَةُ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ: تَأْبَىٰ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهَا عَمَلٌ أَوْ حَالٌ أَوْ مَقَامٌ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَىٰ رَبِّهِ بِالْإِفْلَاسِ الْمَحْضِ، وَالْفَاقَةِ الْمُجَرَّدَةِ[٢].

* **الفَقْرُ إِلَىٰ اللهِ**: هُوَ الِافْتِقَارُ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ. وَهَذَا الْمَعْنَىٰ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُسَمَّىٰ فَقْرًا! بَلْ هُوَ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَلُبُّهَا[٣].

* حَقِيقَةُ الْفَقْرِ: هو **فَقْرُ الْأَرْوَاحِ إِلَىٰ مَحْبُوبِهَا**، وَهُوَ أَعْلَىٰ أَنْوَاعِ الْفَقْرِ؛ فَإِنَّهُ لَا فَقْرَ أَتَمّ مِنْ فَقْرِ الْقَلْبِ إِلَىٰ مَنْ يُحِبُّهُ، لَا سِيَّمَا إِذَا وَحَّدَهُ فِي الْحُبِّ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ عِوَضًا سِوَاهُ[٤].

* إِذَا عَرَفْتَ مَعْنَىٰ الْفَقْرِ؛ عَلِمْتَ أَنَّهُ عَيْنُ الْغِنَىٰ بِاللهِ. والِاسْتِغْنَاءُ بِهِ: هُوَ عَيْنُ الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ![٥]

* الْفَقْرُ الَّذِي إِلَىٰ اللهِ: لَا ينَافِيهِ الْمالُ وَالْأَمْلَاكُ؛ فَقَدْ كَانَ رُسُلُ اللهِ وَأَنْبِيَاؤُهُ فِي ذُرْوَتِهِ مَعَ أَمْوَالِهِمْ وَمُلْكِهِمْ؛ فَكَانُوا أَغْنِيَاءَ فِي فَقْرِهِمْ، فُقَرَاءَ فِي غِنَاهُمْ![٦]

---

(١) انظر: (٢/ ٤١٢).

(٢) (٣/ ٤٠).

(٣) انظر: (٢/ ٤١٠).

(٤) انظر: (٣/ ٢٨).

(٥) انظر: (٢/ ٤١٢).

(٦) انظر: (٢/ ٤١١).

❁ **الْفَقْرُ الْحَقِيقِيُّ**: دَوَامُ الِافْتِقَارِ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَأَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدُ -فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ- فَاقَةً تَامَّةً إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ[١].

❁ مَنْ كَانَ مَالِكًا مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ: فَلَيْسَ بِغَنِيٍّ؛ وَعَلَىٰ هَذَا: فَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْغَنِيِّ بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا اللهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ: فَقِيرٌ إِلَيْهِ بِالذَّاتِ.

❁ حَقِيقَةُ غِنَىٰ الْقَلْبِ: تَعَلُّقُهُ بِاللهِ وَحْدَهُ. وَحَقِيقَةُ فَقْرِهِ الْمَذْمُومِ: تَعَلُّقُهُ بِغَيْرِهِ[٢].

❁ مَنْ كَانَ سُكُونُهُ إِلَىٰ رَبِّهِ: فَهُوَ غَنِيٌّ بِهِ. وَكُلُّ مَا سَكَنَتِ النَّفْسُ إِلَيْهِ: فَهِيَ فَقِيرَةٌ إِلَيْهِ[٣].

❁ **الْغِنَىٰ بِغَيْرِ اللهِ**: عَيْنُ الْفَقْرِ؛ فَإِنَّهُ غِنًىٰ بِمَعْدُومٍ فَقِيرٍ، والفَقِيرُ كَيْفَ يَسْتَغْنِي بِفَقِيرٍ مِثْلِهِ؟![٤]

(٢) أَسْبَابُ الِافْتِقَارِ

❁ **الْمُوَفَّقُ**: مَنْ عَرَّفَهُ اللهُ فَقْرَهُ وَحَاجَتَهُ وَضَرُورَتَهُ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَغْنٍ عَنْ فَضْلِهِ وَبِرِّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَنَّهُ إِنِ انْقَطَعَ عَنْهُ إِمْدَادُهُ: فَسَدَ بِالْكُلِّيَّةِ[٥].

❁ إِنْ وَضَعْتَ الْقَلْبَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الِافْتِقَارِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَلْبٌ مُضَيَّعٌ؛ فَسَلْ رَبَّهُ، وَمَنْ هُوَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ: أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْكَ، وَيَجْمَعَ شَمْلَكَ بِهِ[٦].

❁ كَمْ فِي الذُّنُوبِ مِنْ حُصُولِ مَحْبُوبٍ لِلرَّبِّ، وَخُضُوعٍ لَهُ وَتَذَلُّلٍ، وَتَعَبُّدٍ وَخَشْيَةٍ، وَافْتِقَارٍ إِلَيْهِ، وَانْكِسَارٍ بَيْنَ يَدَيْهِ![٧]

---

(١) (٢/ ٤١١).

(٢) (٢/ ٤٢٠).

(٣) انظر: (٢/ ٤٢٠).

(٤) انظر: (٢/ ٤٢٢).

(٥) انظر: (٣/ ١٧٩).

(٦) انظر: (٣/ ١٢٢).

(٧) انظر: (١/ ٤١١).

* الْعَبْدُ -وَكُلَّ مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ- هُوَ مَحْضُ جُودِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ ذَاتِهِ سِوَىٰ الْعَدَمِ؛ فَإِذَا شَهِدَ هَذَا: خَلَّصَهُ مِنْ (رُؤْيَةِ أَعْمَالِهِ)؛ فَإِنَّهُ لَا يَرَاهَا إِلَّا مِنَ اللهِ، وَبِاللهِ، وَلَيْسَتْ مِنْهُ هُوَ، وَلَا بِهِ![1]

* قَالَ مُطَرِّفُ بْنِ عَبْدِ اللهِ: تَذَاكَرْتُ مَا جِمَاعُ الْخَيْرِ؟ فَإِذَا الْخَيْرُ كَثِيرٌ، وَإِذَا هُوَ فِي يَدِ اللهِ، وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ مَا فِي يَدِه إِلَّا أَنْ تَسْأَلَهُ فَيُعْطِيَكَ؛ فَإِذَا **جِمَاعُ الْخَيْرِ: الدُّعَاءُ**![2]

* **أَوَّلُ قَدَمِ الْفَقْرِ**: الْخُرُوجُ عَنِ النَّفْسِ، وَتَسْلِيمُهَا لِمَالِكِهَا وَمَوْلَاهَا؛ فَلَا يُخَاصِمُ لَهَا، وَلَا يَتَوَكَّلُ لَهَا، وَلَا يُحَاجِجُ عَنْهَا، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، بَلْ يُفَوِّضُ ذَلِكَ لِمَالِكِهَا وَسَيِّدِهَا[3].

* مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِنَفْسِهِ وبِحُقُوقِ اللهِ: لَمْ يُبْقِ لَهُ نَظَرُهُ فِي سَيِّئَاتِهِ: حَسَنَةً الْبَتَّةَ؛ فَلَا يَلْقَىٰ اللهَ إِلَّا بِالْإِفْلَاسِ[4].

* مَنْ فَتَّشَ عَنْ (عُيُوبِ نَفْسِهِ وعَمَلِهِ)؛ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلهِ، وَأَنَّ بِضَاعَتَهُ لَا تُشْتَرَىٰ بِهَا النَّجَاةُ مِنْ الْعَذَابِ، فَضْلًا عَنِ الْفَوْزِ بِالثَّوَابِ![5]

* مَنْ طَالَعَ سَبْقَ فَضْلِ اللهِ: عَلِمَ أَنَّ كُلَّ مَا حَصَلَ لَهُ؛ هُوَ مَحْضُ جُودِهِ، فَقَدْ جَعَلَ عُدَّتَهُ لِلِقَاءِ رَبِّهِ: فَقْرَهُ الْمَحْضَ مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ فَالْفَقْرُ هو الْبَابُ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَيْهِ[6].

---

(١) انظر: (٢/ ٤١٧).

(٢) انظر: (٣/ ١٠٤).

(٣) (٢/ ٤١٤).

(٤) انظر: (١/ ٢٣٦).

(٥) انظر: (١/ ٢٣٦).

(٦) انظر: (٢/ ٤١٧).

(٣) فَوَائِدُ الافْتِقَار

❁ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (دَخَلْتُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، فَمَا دَخَلْتُ مِنْ بَابٍ: إِلَّا رَأَيْتُ عَلَيْهِ الزِّحَامَ، حَتَّىٰ جِئْتُ بَابَ الذُّلِّ وَالِافْتِقَارِ؛ فَإِذَا هُوَ أَقْرَبُ بَابٍ وَأَوْسَعُهُ، وَلَا مُزَاحِمَ فِيهِ!)[١].

❁ الْمُؤْمِنُ: يُعَايِنُ فَقْرَهُ وَفَاقَتَهُ وَضَرُورَتَهُ التَّامَّةَ إِلَىٰ اللهِ، وَيَرَىٰ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ: ضَرُورَةً وَفَاقَةً تَامَّةً إِلَىٰ اللهِ؛ فَنَجَاتُهُ إِنَّمَا هِيَ بِاللهِ لَا بِعَمَلِهِ![٢]

❁ مَنْ شَهِدَ عَجْزَ نَفْسِهِ، وَكَمَالَ فَقْرِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَعَدَمَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْ عِصْمَتِهِ؛ كَانَ عَلَيْهِ حِصْنًا حَصِينًا مِنْ اللهِ[٣].

❁ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ: تَلَقِّيهَا مِنَ الْمُنْعِمِ بِإِظْهَارِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ إِلَيْهَا، وَأَنَّ وُصُولَهَا إِلَيْهِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُ، وَلَا بَذْلِ ثَمَنٍ، بَلْ يَرَىٰ نَفْسَهُ فِيهَا كَالطُّفَيْلِيِّ![٤]

❁ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ، يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَسْأَلَهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّذَلُّلِ: إِظْهَارًا لِمَرْتَبَةِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، وَاعْتِرَافًا بِعِزِّ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا غِنَىٰ لَهُ عَنْ فَضْلِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ![٥]

❁ إِذَا صَحَّ الِافْتِقَارُ إِلَىٰ اللهِ؛ فَقَدْ صَحَّ الِاسْتِغْنَاءُ بِاللهِ، وَإِذَا صَحَّ الِاسْتِغْنَاءُ بِاللهِ: كَمُلَ الْغِنَىٰ بِهِ[٦].

---

(١) انظر: (١/ ٤٢٩).

(٢) انظر: (٢/ ١٤١).

(٣) انظر: (٢/ ١٩٨).

(٤) انظر: (٢/ ٢٣٨).

(٥) انظر: (٣/ ١٠١-١٠٢).

(٦) (٢/ ٤١٢-٤١٣).

* طَرِيقَةُ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ: تَأْبَىٰ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهَا عَمَلٌ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَىٰ رَبِّهِ بِالْإِفْلَاسِ الْمَحْضِ، وَالْفَاقَةِ الْمُجَرَّدَةِ؛ وَمَا أَعَزَّهُ مِنْ مَقَامٍ، وَأَعْلَاهُ مِنْ مَشْهَدٍ، وَمَا أَنْفَعَهُ لِلْعَبْدِ![1]

* لَا طَرِيقَ إِلَىٰ اللهِ الْبَتَّةَ أَبَدًا -وَلَوْ تَعَنَّىٰ الْمُتَعَنُّونَ، وَتَمَنَّىٰ الْمُتَمَنُّونَ- إِلَّا بِالِافْتِقَارِ، وَمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ؛ فَلَا يُتْعِبُ السَّالِكُ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ؛ فَإِنَّهُ عَلَىٰ غَيْرِ شَيْءٍ[2].

* أَحْسَنُ مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَىٰ اللهِ: دَوَامُ الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَمُلَازَمَةُ السُّنَّةِ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ، وَطَلَبُ الْقُوتِ مِنْ وَجْهٍ حَلَالٍ[3].

* الْكَلَامُ الْمُتَضَمِّنُ لِلتَّذَلُّلِ وَالِافْتِقَارِ: مِنْ **تَمَامِ التَّوْبَةِ**[4]، وَإِنَّمَا يَسْلُكُهُ الْأَكْيَاسُ الْمُتَمَلِّقُونَ لِرَبِّهِمْ. وَاللهُ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَتَمَلَّقَ لَهُ![5]

---

(١) انظر: (٣/ ٤٠).

(٢) انظر: (٣/ ٨٤-٨٥).

(٣) انظر: (٢/ ٤١٢).

(٤) مِثْلُ أَنْ يقول: (لَمْ يَكُنْ مِنِّي مَا كَانَ عَنِ اسْتِهَانَةٍ بِحَقِّكَ، وَلاَ إِنْكَارًا لِاطِّلَاعِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَىٰ، وَضَعْفِ الْقُوَّةِ، وَطَمَعًا فِي مَغْفِرَتِكَ، وَاتِّكَالًا عَلَىٰ عَفْوِكَ، وَرَجَاءً لِكَرَمِكَ، وَغَرَّنِي بِكَ الْغَرُورُ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، وَسِتْرُكَ الْمُرْخَىٰ عَلَيَّ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ الِاعْتِصَامِ لِي إِلَّا بِكَ، وَلَا مَعُونَةَ عَلَىٰ طَاعَتِكَ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ!). وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُتَضَمِّنِ لِلتَّذَلُّلِ وَالِافْتِقَارِ. وَمِثْلُ هَذَا: هُوَ الِاعْتِذَارُ الْمَحْمُودُ النَّافِعُ، وَأَمَّا الِاعْتِذَارُ بِالْقَدَرِ: فَهُوَ مُخَاصَمَةٌ لِله، وَاحْتِجَاجٌ مِنَ الْعَبْدِ عَلَىٰ الرَّبِّ، وَحَمْلٌ لِذَنْبِهِ عَلَىٰ الْأَقْدَارِ، وَهَذَا فِعْلُ خُصَمَاءِ اللهِ! انظر: (٢٠٠-٢٠١).

(٥) انظر: (٢٠٠-٢٠١).



(٤) مَوَانِعُ الافْتِقَار

❁ مَنْ حُجِبَ عَنْ مَشْهَدِ العَجْزِ والافْتِقَار؛ سَقَطَ إِلَىٰ وُجُودِهِ الطَّبِيعِيِّ، واسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ حُكْمُ النَّفْسِ وَالطَّبْع وَالْهَوَىٰ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي شَبَكَةٍ مِنْ تِلْكَ الشِّبَاكِ[1].

---

(١) انظر: (٢/ ١٩٨).

المبحث الحادي والأربعون

الـمَعْرِفَةُ بِالله

(١) أَنْوَاعُ المَعْرِفَةِ بالله

* مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ وصِفَاتِه؛ مِنْ أَجَلِّ الْمَعَارِفِ وَأَشْرَفِهَا، وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ الْمَشَاهِدِ، وهو: مَعْرِفَةُ تَعَلُّقِ الْوُجُودِ (خَلْقًا وَأَمْرًا) بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الْعُلَا[١].

* مُشَاهَدَةُ مِنَّةِ اللهِ، وَمُشَاهَدَةُ عُيُوبِ النَّفْسِ وَالعَمَلِ؛ مِنْ أَجَلِّ أَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ، وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ[٢].

* الْفَرَحُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ، وَالْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ: مِنْ أَعْلَىٰ مَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ! ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد:٣٦][٣].

(٢) صِفَاتُ العَارِفِيْنَ بالله

* الْعَارِفُونَ بِاللهِ: يُثْبِتُونَ لَهُ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ مُشَابَهَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَيَجْمَعُونَ بَيْنَ الْإِثْبَاتِ وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَبَيْنَ التَّنْزِيهِ وَعَدَمِ التَّعْطِيلِ[٤].

* الْعَارِفُ: مَنْ صَغُرَتْ حَسَنَاتُهُ فِي عَيْنِهِ، وَعَظُمَتْ ذُنُوبُهُ عِنْدَهُ، وَكُلَّمَا صَغُرَت الْحَسَنَاتُ فِي عَيْنِكَ: كَبُرَت عِنْدَ اللهِ، وَكُلَّمَا كَبُرَتْ فِي قَلْبِكَ: صَغُرَتْ عِنْدَ اللهِ![٥]

---

(١) (١/ ٤١٨).

(٢) انظر: (١/ ٢٣٦).

(٣) انظر: (٣/ ١٥٠).

(٤) انظر: (٣/ ٣٣٤).

(٥) انظر: (١/ ٢٧٦).

❁ **مَنْ عَرَفَ اللهَ، وَعَرَفَ نَفْسَهُ:** لَمْ يَرَ نَفْسَهُ إِلَّا بِعَيْنِ النُّقْصَانِ[١].

❁ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ بِاللهِ: أَنَّ (التَّوْفِيقَ) هُوَ أَنْ لَا يَكِلَكَ اللهُ إِلَىٰ نَفْسِكَ، وَأَنَّ (الْخِذْلَانَ) هُوَ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ؛ فَالْعَبِيدُ مُتَقَلِّبُونَ بَيْنَ تَوْفِيقِهِ وَخِذْلَانِهِ[٢].

❁ عَاذَ الْعَارِفُونَ بِاللهِ مِنْهُ، وَهَرَبُوا مِنْهُ إِلَيْهِ، وَالْتَجَؤوا مِنْهُ إِلَيْهِ، وَفَرُّوا مِنْهُ إِلَيْهِ، وَتَوَكَّلُوا بِهِ عَلَيْهِ، وَخَافُوا مِنْهُ، لَا مِنْ غَيْرِهِ[٣].

❁ **الْعَارِفُونَ بِاللهِ:** شَهِدُوا أَوَّلِيَّتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَفَرُّدَهُ فِي الصُّنْعِ؛ فَمَشِيئَتُهُ: هِيَ السَّبَبُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَمَا يُشَاهَدُ مِنَ الْأَسْبَابِ: فَمَحَلٌّ لِنُفُوذِ الْمَشِيئَةِ، لَا أَنَّهُ مُؤَثِّرٌ وَفَاعِلٌ[٤].

❁ **مَنْ عَرَفَ اللهَ:** لَا يَسْتَغْنِي إِلَّا بِاللهِ، وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ، وَلَا يَفْرَحُ إِلَّا بِمُوَافَقَتِهِ لِمَرْضَاةِ اللهِ، وَلَا يَحْزَنُ إِلَّا عَلَىٰ مَا فَاتَهُ مِنَ اللهِ، وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنْ سُقُوطِهِ مِنْ عَيْنِ اللهِ![٥]

❁ سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: (**الْعَارِفُ: لَا يَرَىٰ لَهُ عَلَىٰ أَحَدٍ حَقًّا، وَلَا يَشْهَدُ عَلَىٰ غَيْرِهِ فَضْلًا؛ وَلِذَلِكَ لَا يُعَاتِبُ، وَلَا يُطَالِبُ، وَلَا يُضَارِبُ!**)[٦].

❁ **الْعَارِفُ:** يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنَ الْمُبَاحِ إِبْقَاءً عَلَىٰ صِيَانَتِهِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ

---

(١) (٢/ ٢٦٩).

(٢) (١/ ٤١٥).

(٣) انظر: (٣/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٤) انظر: (٣/ ٣٦٨).

(٥) انظر: (١/ ٤٧١).

(٦) (١/ ٥١٩).

الْمُبَاحُ بَرْزَخًا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ[١].

❁ **العَارِفُ بِاللهِ**: صَادِقُ الْبَصِيرَةِ، تَامُّ الْمَعْرِفَةِ، عِلْمُهُ مُتَّصِلٌ بِمِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، قَدْ أَشْرَقَ فِي بَاطِنِهِ نُورُ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ[٢].

❁ لِجَهْلِ الْعَبْدِ وَظُلْمِهِ؛ لَا يَعُدُّ الْعَطَاءَ وَالنِّعْمَةَ؛ إِلَّا مَا الْتَذَّ بِهِ فِي الْعَاجِلِ! وَلَوْ رُزِقَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ حَظًّا وَافِرًا: لَعَدَّ الْمَنْعَ نِعْمَةً، وَالْبَلَاءَ رَحْمَةً، وَتَلَذَّذَ بِالْبَلَاءِ، أَكْثَرَ مِنْ لَذَّتِهِ بِالْعَافِيَةِ![٣]

❁ مَا كَانَ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ (بِجَمْعِهِ عَلَىٰ اللهِ): فَهُوَ نِعْمَةٌ حَقِيقَةٌ، وَمَا (فَرَّقَهُ عَنْهُ): فَهُوَ الْبَلَاءُ فِي صُورَةِ النِّعْمَةِ؛ فَلْيَحْذَرْ فَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَدْرَجٌ![٤]

❁ مَتَىٰ عَرَفَ الْمُنْعِمَ: أَحَبَّهُ، وَجَدَّ فِي طَلَبِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ **عَرَفَ اللهَ**؛ أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ، وَمَنْ **عَرَفَ الدُّنْيَا**؛ أَبْغَضَهَا لَا مَحَالَةَ[٥].

❁ **مِنْ عَلَامَاتِ الْعَارِفِ**: أَنَّهُ لَا يُطَالِبُ وَلَا يُخَاصِمُ، وَلَا يُعَاتِبُ، وَلَا يَرَىٰ لَهُ عَلَىٰ أَحَدٍ فَضْلًا، وَلَا يَرَىٰ لَهُ عَلَىٰ أَحَدٍ حَقًّا![٦]

❁ **مِنْ عَلَامَاتِ العَارِفِ**: أَنَّهُ لَا يَأْسَفُ عَلَىٰ فَائِتٍ، وَلَا يَفْرَحُ لِآتٍ؛ لِأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْأَشْيَاءِ بِعَيْنِ الْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ[٧].

---

(١) (٢/ ٢٨).

(٢) انظر: (٣/ ٦٧).

(٣) انظر: (٢/ ٢٠٧).

(٤) انظر: (١/ ١٨٩).

(٥) (٢/ ٢٣٧).

(٦) (٣/ ٣١٨).

(٧) انظر: (٣/ ٣١٨).

* يَخْرُجُ الْعَارِفُ مِن الدُّنْيَا، وَلَمْ يَقْضِ وَطَرَهُ مِنْ شَيْئَيْنِ: (بُكَاءٍ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَثَنَاءٍ عَلَىٰ رَبِّهِ)؛ لمَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَعُيُوبِهِ، ومَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ وَكَمَالِهِ، فَهُوَ شَدِيدُ الإِزْرَاءِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، لَهِجٌ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ رَبِّهِ(١).

* (الْعَارِفُ) ابْنُ وَقْتِهِ، فَهُوَ مَشْغُولٌ بِوَظِيفَةِ وَقْتِهِ؛ فَهَمُّهُ عِمَارَةُ وَقْتِهِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ الْبَاقِيَةِ(٢).

* **مِنْ عَلَامَاتِ العَارِفِ:** أَنَّهُ مُسْتَأْنِسٌ بِرَبِّهِ، مُسْتَوْحِشٌ مِمَّنْ يَقْطَعُهُ عَنْهُ(٣).

* التَّسْلِيمُ لِحُكْمِ اللهِ **الدِّينِيِّ الأَمْرِيِّ**؛ هُوَ تَسْلِيمُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَارِفِينَ! ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥](٤).

(٣) فَوَائِدُ المَعْرِفَةِ باللهِ

* فِي القَلْبِ فَاقَةٌ: لَا يَسُدُّهَا إِلَّا مَحَبَّتُهُ، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَدَوَامُ ذِكْرِهِ، وَصِدْقُ الْإِخْلَاصِ لَهُ، وَلَوْ أُعْطِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لَمْ تُسَدَّ تِلْكَ الْفَاقَةُ مِنْهُ أَبَدًا(٥).

* (نَوْمُ الْعَارِفِ) يَقَظَةٌ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ حَيٌّ؛ فَعَيْنَاهُ تَنَامَانِ، وَرُوحُهُ سَاجِدَةٌ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا وَفَاطِرِهَا؛ فَجَسَدُهُ فِي الْفَرْشِ، وَقَلْبُهُ حَوْلَ الْعَرْشِ!(٦)

* مَنْ عَرَفَ اللهَ وَحَقَّهُ وَمَا يَنْبَغِي لِعَظَمَتِهِ: تَلَاشَتْ حَسَنَاتُهُ عِنْدَهُ، وَصَغُرَتْ

---

(١) انظر: (٣/ ٣١٨).

(٢) انظر: (٣/ ٣١٩).

(٣) انظر: (٣/ ٣١٩).

(٤) انظر: (٢/ ١٤٥).

(٥) انظر: (٣/ ١٥٦).

(٦) انظر: (٣/ ٣٢٢).

جِدًّا فِي عَيْنِهِ، وَعَلِمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا يَنْجُو بِهَا مِنْ عَذَابِهِ، وَكُلَّمَا اسْتَكْثَرَ مِنْهَا: اسْتَقَلَّهَا وَاسْتَصْغَرَهَا[١].

* **الْقُلُوبُ تَخَافُ اللهَ، وَتَرْجُوهُ، وَتَشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَتَلْتَذُّ بِقُرْبِهِ، وَتَطْمَئِنُّ إِلَىٰ ذِكْرِهِ، بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهَا بِصِفَاتِهِ**[٢].

* **الْإِيمَانُ بِصِفَاتِ اللهِ، وَمَعْرِفَتُهَا، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِهَا: هُوَ مَبْدَأُ الطَّرِيقِ وَوَسَطُهُ وَغَايَتُهُ، وَهُوَ رُوحُ السَّالِكِينَ، وَحَادِيهِمْ إِلَىٰ الْوُصُولِ، وَمُحَرِّكُ عَزَمَاتِهِمْ، وَمُثِيرُ هِمَمِهِمْ**[٣].

* **ذَنْبُ الْعَارِفِ بِاللهِ؛ قَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ حَسَنَاتٌ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ عِصْمَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ: مِنْ ذُلٍّ وَانْكِسَارٍ وَخَشْيَةٍ، وَإِنَابَةٍ وَنَدَمٍ، وَمُرَاغَمَةٍ للشيطان**[٤].

* مَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ مَعْرِفَةِ اللهِ: لَمْ يَكُنْ لَهُ أَمَلٌ فِي غَيْرِهِ، وَإِنْ تَعَلَّقَ أَمَلُهُ بِسِوَاهُ، فَهُوَ لِإِعَانَتِهِ عَلَىٰ مَرْضَاتِهِ وَمَحَابِّهِ، فَهُوَ يُؤَمِّلُهُ لِأَجْلِهِ، وَلَا يُؤَمِّلُهُ مَعَهُ[٥].

* قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (**إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ!**)[٦].

* مَنْ عَرَفَ اللهَ تَعَالَىٰ: صَفَا لَهُ الْعَيْشُ؛ فَطَابَتْ لَهُ الْحَيَاةُ، وَهَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَذَهَبَ عَنْهُ خَوْفُ الْمَخْلُوقِينَ، وَأَنِسَ بِاللهِ[٧].

---

(١) انظر: (١/ ٢٧٦).

(٢) انظر: (٣/ ٣٢٧).

(٣) انظر: (٣/ ٣٢٧).

(٤) انظر: (١/ ٣١١).

(٥) انظر: (٣/ ٩٢).

(٦) (٢/ ٦٧).

(٧) (٣/ ٣١٧).

* مَنْ عَرَفَ اللهَ: قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللهِ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِالْمَوْتِ، وَقَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ: تَقَطَّعَ قَلْبُهُ عَلَىٰ الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ، وَمَنْ عَرَفَ اللهَ: لَمْ يَبْقَ لَهُ رَغْبَةٌ فِيمَا سِوَاهُ(١).

* مَنْ عَرَفَ اللهَ: أَحَبَّهُ، وَخَافَهُ، وَرَجَاهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَلَهَجَ بِذِكْرِهِ، وَاشْتَاقَ إِلَىٰ لِقَائِهِ، وَاسْتَحْيَا مِنْهُ، وَأَجَلَّهُ وَعَظَّمَهُ عَلَىٰ قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ بِهِ(٢).

(٤) أَسْبَابُ المَعْرِفَةِ بِاللهِ

* مَنِ اسْتَكْثَرَ مِنَ **الحَسَنَاتِ**: فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ؛ فَشَاهَدَ قَلْبُهُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ؛ مَا يَسْتَصْغِرُ مَعَهُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ، وَلَوْ كَانَتْ أَعْمَالَ الثَّقَلَيْنِ!(٣)

* لَا يَسْتَقِرُّ لِلْعَبْدِ قَدَمٌ فِي الْمَعْرِفَةِ؛ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِصِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ، وَيَعْرِفَهَا مَعْرِفَةً تُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْجَهْلِ بِرَبِّهِ(٤).

* كُلَّمَا ازْدَادَتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ بِنَقْصِهِ وَعَيْبِهِ وَفَقْرِهِ وَذُلِّهِ وَضَعْفِهِ؛ ازْدَادَتْ مَعْرِفَتُهُ لِرَبِّهِ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ(٥).

* اللهُ سُبْحَانَهُ عَرَّفَ نَفْسَهُ بِالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ؛ لِيَعْرِفَ الْعَبْدُ بِهَا رَبَّهُ، وَيَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا: عَطَّلَ عَلَيْهِ طَرِيقَ الْمَعْرِفَةِ؛ وَلِهَذَا يُوصَفُ الْغَافِلُ عَنِ اللهِ: بِالصَّمِّ، وَالْبَكَمِ، وَالْعَمَىٰ!(٦)

---

(١) (٣/ ٣١٧-٣١٨).

(٢) انظر: (٣/ ٣١٨).

(٣) انظر: (١/ ٢٧٦).

(٤) انظر: (٣/ ٣٢٤).

(٥) (١/ ٤٢٧).

(٦) انظر: (٣/ ٣٦).

(٥) قَوَادِحُ المَعْرِفَةِ بالله

❋ لَا شَيْءَ أَضَرّ عَلَىٰ الْعَارِفِ بِاللهِ: مِنْ إِضَاعَةِ وَقْتِهِ، وَيُخْشَىٰ عَلَيْهِ -إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ بِالرُّجُوعِ-؛ أَنْ تَسْتَمِرَّ الْإِضَاعَةُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ![١]

❋ مَنْ كَثُرَتْ الحَسَنَاتُ فِي عَيْنِهِ وَعَظُمَتْ؛ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ مَحْجُوبٌ عَنِ اللهِ، غَيْرُ عَارِفٍ بِهِ وَبِمَا يَنْبَغِي لَهُ![٢]

---

(١) انظر: (١/ ٢٧٩).

(٢) انظر: (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

المبحث الثاني والأربعون

تَعْظِيمُ الله

(١) أَدِلَّةُ تَعْظِيمِ الله

* اللهُ تعالىٰ: موْجُودٌ بِالضَّرُورَةِ، مَعْرُوفٌ بِالْفِطْرَةِ، أَقَرَّتْ بِهِ الْعُقُولُ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَوْجُودَاتُ، وَشَهِدَتْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ(١).

* قال تَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (**لَا تَرْجُونَ لِلهِ عَظَمَةً**)، وَقِيلَ: (**مَا لَكُمْ لَا تُعَظِّمُونَ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ؟**)، وَقِيل: (**لَا تَخَافُونَ لِلهِ عَظَمَةً**)(٢).

* ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة:١٠٩]: أي أَنَّ عُلُومَهُمْ تَلَاشَتْ فِي عِلْمِ الله؛ فَعُلُومُهُمْ وَعُلُومُ الْخَلَائِقِ جَمِيعِهِمْ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللهِ: كَنَقْرَةِ عُصْفُورٍ، فِي بَحْرٍ مِنْ بِحَارِ الْعَالَمِ!(٣)

(٢) أَسْبَابُ تَعْظِيمِ الله

* عَلَىٰ قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ فِي الْقَلْبِ، **وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ: أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا**(٤).

* مَنْ ازْدَادَ قُرْبًا مِن الْحَقِّ: ازْدَادَ لَهُ تَعْظِيمًا، وَذُهُولًا عَنْ سِوَاهُ، وَبُعْدًا عَنِ الْخَلْقِ!(٥)

---

(١) انظر: (٣/ ٢٦٢).

(٢) انظر: (٢/ ٤٦٤).

(٣) انظر: (٣/ ٣٦٢).

(٤) (٢/ ٤٦٣).

(٥) انظر: (٢/ ٦٧).

* مَن عرَفَ حقَارَةَ نَفْسِهِ، مَعَ عِظَمِ قَدْرِ مَنْ خَالَفَهُ (وهو الله)؛ عَظُمَتِ الْجِنَايَةُ عِنْدَهُ؛ فَشَمَّرَ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهَا[١].

* **مَقَامُ الْهَيْبَةِ**: جَامِعٌ لِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ، وَالْإِجْلَالِ، وَالتَّعْظِيمِ[٢].

* مَنْ سَمِعَ القُرآن، وفُتِحَ لَهُ بَابُ شُهُودِ عَظَمَةِ اللهِ الْمُتَكَلِّم بِهِ، وَكَمَالِ صِفَاتِهِ، وَمَعَانِي خِطَابِهِ؛ واسْتَغْرَقَ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يُحِسُّ بِقَلْبِهِ وَقَدْ دَخَلَ فِي عَالَمٍ آخَرَ، غَيْرِ مَا النَّاسُ فِيهِ![٣]

* رِعَايَةُ الْأَعْمَالِ: بِتَحْقِيرِهَا واسْتِصْغَارِهَا، وَأَنَّ مَا يَلِيقُ بِعَظْمَةِ اللهِ وَجَلَالِهِ أَمْرٌ آخَرُ، وَأَنَّهُ لَمْ يُوَفِّهِ حَقَّهُ، وَقَدْ قِيلَ: (**عَلَامَةُ قَبُولِ الْعَمَلِ: احْتِقَارُهُ، وَاسْتِقْلَالُهُ، وَصِغَرُهُ فِي قَلْبِكَ**)[٤].

* **كُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ شُكْرًا**: زَادَهُ اللهُ فَضْلًا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ مِنْهُ **قُرْبًا**: لَاحَ لَهُ مِنْ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، مَا لَمْ يُشَاهِدْهُ قَبْلَ ذَلِكَ![٥]

* اللهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا حَصَلَ الشَّرُّ لِعَدَمِ إِضَافَتِهِ إِلَىٰ اللهِ؛ وعَدَمِ إِمْدَادِهِ بِالْخَيْرِ. وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، حَتَّىٰ يُنْسَبَ إِلَىٰ مَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ![٦]

(٣) عَظَمَةُ الكَمَالِ لله

* اللهُ تعالَىٰ له **الْجَمَالُ كُلُّهُ**، وَنِسْبَةُ كُلِّ جَمَالٍ فِي الْوُجُودِ إِلَىٰ جَمَالِهِ؛ أَقَلّ مِنْ نِسْبَةِ سِرَاجٍ ضَعِيفٍ إِلَىٰ عَيْنِ الشَّمْسِ[٧].

---

(١) انظر: (١/ ١٦٤).

(٢) (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: (٣/ ٣٥٢-٣٥٣).

(٤) انظر: (٢/ ٦٢).

(٥) انظر: (٢/ ٢٥٦).

(٦) انظر: (٢/ ١٩٤).

(٧) انظر: (٣/ ٣٤٨).

● لَمَّا عَلِمَ اللهُ أَنَّ قُوَىٰ الْبَشَرِ لَا تَحْتَمِلُ رُؤْيَتَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ احْتَجَبَ عَنْ عِبَادِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشِئُهُمْ نَشْأَةً يَتَمَكَّنُونَ بِهَا مِنْ مُشَاهَدَةِ جَمَالِهِ، وَرُؤْيَةِ وَجْهِهِ!(١)

● اللهُ: هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ، الْمُنْفَرِدُ بِالْكَمَالِ، الْمُبَرَّأُ عَنِ النَّقَائِصِ، لَا يَبْلُغُ الْمُثْنُونَ ثَنَاءً عَلَيْهِ -وَإِنِ اسْتَوْعَبُوا جَمِيعَ الْأَوْقَاتِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الثَّنَاءِ- بَلْ ثَنَاؤُهُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ!(٢)

(٤) فَوَائِدُ تَعْظِيمِ اللهِ

● مَن اجْتَمَعَ لَهُ تَعْظِيمُ الْخَالِقِ، وَحُسْنُ النَّظَرِ فِي صُنْعِهِ: أَثْمَرَا لَهُ إِثْبَاتَ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَلَابُدَّ(٣).

● مَنْ كَمُلَتْ عَظَمَةُ الْحَقِّ تَعَالَىٰ فِي قَلْبِهِ؛ عَظُمَتْ عِنْدَهُ مُخَالَفَتُهُ؛ لِأَنَّ مُخَالَفَةَ الْعَظِيمِ، لَيْسَتْ كَمُخَالَفَةِ مَنْ هُوَ دُونَهُ!(٤)

● امْتِلَاءُ الْقَلْبِ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ؛ يُذْهِلُكَ عَنْ تَعْظِيمِ غَيْرِهِ، وَعَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَيهِ(٥).

● مَنْ شَاهَدَ (جَلَالَ الرَّبِّ، وَجَمَالَهُ وَكَمَالَهُ)؛ فَلَهُ سَيْرٌ خَاصٌّ، لَيْسَ لِغَيْرِهِ؛ فَإِنَّهُ سَائِرٌ إِلَىٰ اللهِ فِي يَقَظَتِهِ وَمَنَامِهِ، وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ، لَهُ شَأْنٌ، وَلِلنَّاسِ شَأْنٌ، هُوَ فِي وَادٍ، وَالنَّاسُ فِي وَادٍ(٦).

● مَنْ لَاحَظَ بِقَلْبِهِ جَلَالَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَكَمَالَ الرَّبِّ وَنُعُوتِهِ، وَمَوَاقِعَ لُطْفِهِ وَفَضْلِهِ

(١) انظر: (٣/ ٣٤٨).

(٢) انظر: (٣/ ٢٦٣).

(٣) انظر: (٣/ ٣٣٣).

(٤) (١/ ١٦٤).

(٥) انظر: (٢/ ٦٧).

(٦) انظر: (٣/ ٢٣٧-٢٣٨).

وَبِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ: اسْتَرَقَّ قَلْبُهُ لَهُ، وَصَارَتْ لَهُ عُبُودِيَّةٌ خَاصَّةٌ![١]

❁ **الْحُضُورُ مَعَ اللهِ:** يُوجِبُ أُنْسًا وَمَحَبَّةً، إِنْ لَمْ يُقَارِنْهُمَا تَعْظِيمٌ؛ أَوْرَثَاهُ خُرُوجًا عَنْ حُدُودِ الْعُبُودِيَّةِ وَرُعُونَةً؛ فَكُلُّ حُبٍّ لَا يُقَارِنُهُ تَعْظِيمُ الْمَحْبُوبِ؛ فَهُوَ سَبَبٌ لِلْبُعْدِ عَنْهُ، وَالسُّقُوطِ مِنْ عَيْنَيْهِ![٢]

❁ **اللهُ تعالَىٰ:** هو الَّذِي لَا تَسْكُنُ الْأَرْوَاحُ إِلَّا بِحُبِّهِ، وَلَا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَلَا تَزْكُو الْعُقُولُ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ، وَلَا يُدْرَكُ النَّجَاحُ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ[٣].

❁ لَا تَحْيَا الْقُلُوبُ إِلَّا بِنَسِيمِ لُطْفِ اللهِ وَقُرْبِهِ، وَلَا يَقَعُ أَمْرٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَهْتَدِي ضَالٌّ إِلَّا بِهِدَايَتِهِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَحَدٌ إِلَّا بِتَقْوِيمِهِ، وَلَا يَفْهَمُ أَحَدٌ إِلَّا بِتَفْهِيمِهِ، وَلَا يُتَخَلَّصُ مِنْ مَكْرُوهٍ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ[٤].

❁ لَا يُفْتَتَحُ أَمْرٌ إِلَّا بِاسْمِ اللهِ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِحَمْدِهِ، وَلَا يُدْرَكُ مَأْمُولٌ إِلَّا بِتَيْسِيرِهِ، وَلَا تُنَالُ سَعَادَةٌ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَلَا حَيَاةٌ إِلَّا بِذِكْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ[٥].

(٥) تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ الله

❁ **حُرُمَاتُ اللهِ:** هِيَ مَا يَجِبُ احْتِرَامُهُ، وَحِفْظُهُ مِن الْحُقُوقِ، وَالْأَشْخَاصِ، وَالْأَزْمِنَةِ، وَالْأَمَاكِنِ؛ وتَعْظِيمُهَا يَكُونُ: بتَوْفِيَتِهَا حَقَّهَا، وَحِفْظِهَا مِن الْإِضَاعَةِ[٦].

❁ **تَعْظِيمُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ:** هُوَ أَنْ لَا يُعَارَضَا بِتَرَخُّصٍ جَافٍّ، وَلَا يُعَرَّضَا لِتَشَدُّدٍ

(١) انظر: (٣/ ١٠٠).

(٢) انظر: (٢/ ٦٧).

(٣) انظر: (٣/ ٢٦٣).

(٤) انظر: (٣/ ٢٦٣).

(٥) انظر: (٣/ ٢٦٣).

(٦) انظر: (٢/ ٧٣).

غَالٍ، وَلَا يُحْمَلَا عَلَىٰ عِلَّةٍ تُوهِنُ الِانْقِيَادَ[١].

(٦) تَعْظِيمُ قَضَاءِ اللهِ

❁ **قَضَاءُ اللهِ**: كُلُّهُ حَقٌّ، وَعَدْلٌ، وَمَرْضِيٌّ، ومُسَالَمٌ. **وَالْمَقْضِيُّ**: مِنْهُ حَقٌّ، وَمِنْهُ بَاطِلٌ، ومِنْهُ مَا يُسَالَمُ، وَمِنْهُ مَا يُحَارَبُ[٢].

❁ الرَّبُّ تَعَالَىٰ: لَا يَأْتِي أَبَدًا إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَيَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ، كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ خِلَافُ كَمَالِهِ، وَقَدْ أَفْصَحَ أَعْرَفُ الْخَلْقِ بِرَبِّهِ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[٣].

❁ **الشَّرُّ** لَا يُضَافُ وَلَا يُنْسَبُ إِلَىٰ اللهِ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْه؛ فَإِنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا حِكْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ؛ فَكُلُّ مَا يَأْتِي مِنْهُ: فَلَهُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ، وَلَهُ فِيهِ النِّعْمَةُ وَالْفَضْلُ[٤].

❁ أَسْمَاءُ اللهِ: كُلُّهَا حُسْنَىٰ. وَأَوْصَافُهُ وَأَفْعَالُهُ وأَقْوَالُهُ: كُلُّهَا كَمَالٌ، وصِدْقٌ وَعَدْلٌ، يَسْتَحِيلُ دُخُولُ الشَّرِّ فِيهَا[٥].

❁ **أَحْكَامُ اللهِ** الشَّرْعِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ؛ لَا ظُلْمَ فِيهَا، وَلَا حَيْفَ وَلَا جَوْرَ، وَإِنْ أَجْرَاهَا عَلَىٰ أَيْدِي الظَّلَمَةِ؛ فَهُوَ أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ، وَمَنْ جَرَتْ عَلَىٰ يَدَيْهِ: هُوَ الظَّالِمُ[٦].

❁ **اللهُ سُبْحَانَهُ**: مَا أَعْطَىٰ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ، وَلَا مَنَعَ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ، وَلَا أَضَلَّ إِلَّا

---

(١) انظر: (٢/ ٤٦٤).

(٢) انظر: (٢/ ٤٦٨).

(٣) انظر: (٢/ ٣٠٩).

(٤) انظر: (٢/ ٣٠٩).

(٥) انظر: (١/ ٤٤).

(٦) انظر: (٢/ ٤٥٠).

بِحِكْمَتِهِ، وَإِذَا تَأَمَّلَ الْبَصِيرُ أَحْوَالَ الْعَالَمِ: رَآهُ عَيْنَ الْحِكْمَةِ، وَمَا عُمِرَت الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ[١].

(٧) عَظَمَةُ فَضْلِ الله

* فَضْلُ اللهِ: لَا يَقِفُ عَلَىٰ غَايَةٍ وَلَا نِهَايَةٍ؛ وَلِهَذَا جَاءَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي مَزِيدٍ دَائِمٍ بِلَا انْتِهَاءٍ؛ فَإِنَّ نَعِيمَهُمْ مُتَّصِلٌ مِمَّنْ لَا نِهَايَةَ لِفَضْلِهِ وعَطَائِهِ! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤][٢].

* إِثَابَةُ اللهِ لِعَابِدِيهِ: حَقٌّ أَحَقَّهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِمَحْضِ كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ لَا بِاسْتِحْقَاقِ الْعَبِيدِ وَأَعْمَالِهِمْ![٣].

* لَا يَسْتَوْجِبُ الْعَبْدُ عَلَىٰ اللهِ بِسَعْيِهِ نَجَاةً وَلَا فَلَاحًا، وَلَا يُدْخِلُ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. وَاللهُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؛ أَوْجَبَ لِعَبْدِهِ عَلَيْهِ حَقًّا بِمُقْتَضَىٰ الْوَعْدِ؛ فَإِنَّ وَعْدَ الْكَرِيمِ إِيجَابٌ![٤].

* الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: مَا لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقٌّ، وَلَا يَضِيعُ لَدَيْهِ سَعْيٌ!

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَلَّا وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ[٥]

* عَدَمُ رُؤْيَةِ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ؛ لَا يُنَافِي مَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَجَعَلَهُ حَقًّا لِعَبْدِهِ[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٤٥٠).

(٢) انظر: (٢/ ٢٥٦).

(٣) انظر: (٢/ ٣٢٢).

(٤) انظر: (٢/ ٣٢٢).

(٥) (٢/ ٣٢٢).

(٦) (٢/ ٣٢٢).

المبحث الثالث والأربعون
التَّعَلُّقُ بِالله

(١) أَسْبَابُ التَّعَلُّقِ بالله

❁ التَّبَتُّلُ يَجْمَعُ أَمْرَيْنِ: ١- انْقِطَاعُ القَلْبِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ الْمُزَاحِمَةِ لِمُرَادِ اللهِ، وَعَدمُ الْتِفَاتِ القَلْبِ إِلَىٰ مَا سِوَىٰ اللهِ. ٢- اتِّصَالُ الْقَلْبِ بِاللهِ، وَإِقْبَالُهُ عَلَيْهِ[١].

❁ إِذَا أَيِسَ الإنسانُ مِنْ عَمَلِهِ بِدَايَةً، وَأَيِسَ مِن النَّجَاةِ بِهِ نِهَايَةً، شَهِدَ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْهُ: ضَرُورَةً تَامَّةً إِلَىٰ اللهِ[٢].

❁ الْوُجُودُ الْحَقِيقِيُّ (الَّذِي هُوَ مُسْتَغْنٍ فِيهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ)، لَيْسَ إِلَّا للهِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ بِالذَّاتِ، لَا قِيَامَ لَهُ بِنَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ[٣].

❁ مَتَىٰ شَهِدَ الْعَبْدُ مَشْهَدَ **التَّوْفِيقِ والخِذْلانِ**؛ عَلِمَ شِدَّةَ ضَرُورَتِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَىٰ التَّوْفِيقِ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَأَنَّ إِيمَانَهُ وَتَوحِيدَهُ بِيَدِ اللهِ[٤].

(٢) حَاجَةُ العَبْدِ إِلَىٰ الرَّب

❁ لَوْ تَخَلَّىٰ اللهُ عَنْ العَبْدِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ لَثُلَّ عَرْشُ تَوْحِيدِهِ، وَخَرَّتْ سَمَاءُ إِيمَانِهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَالْمُمْسِكُ لَهُ: هُوَ مَنْ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥][٥].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٢).

(٢) انظر: (١/ ٤٣٩).

(٣) انظر: (٣/ ٣٤٦).

(٤) انظر: (١/ ٤١٥).

(٥) انظر: (١/ ٤١٥).

❁ اللهُ سُبْحَانَهُ، غَايَةُ كُلِّ مَطْلَبٍ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢]، وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مَرْمَىٰ، وَلَا دُونَهُ مُسْتَقَرٌّ، وَلَا تَقَرُّ الْعَيْنُ بِغَيْرِهِ الْبَتَّةَ، وَكُلُّ مَطْلُوبٍ سِوَاهُ: فَظِلٌّ زَائِلٌ، وَخَيَالٌ مُفَارِقٌ!(١).

❁ **الْمُؤْمِنُ يَنْقَطِعُ أَمَلُهِ مِمَّا سِوَىٰ اللهِ؛** فَيُضْطَرُّ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَنَفْسِهِ وَبَدَنِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ: ضَرُورَةً تَامَّةً، بِحَيْثُ يَجِدُ فِي كُلِّ مَنْبَتِ شَعْرَةٍ مِنْهُ: فَاقَةً تَامَّةً إِلَىٰ رَبِّهِ وَمَعْبُودِهِ(٢).

❁ **ضَرُورَةُ العَبْدِ إِلَىٰ اللهِ؛** مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ: رَبَّهُ وَخَالِقَهُ وَفَاطِرَهُ وَالْقَائِمَ بِجَمِيعِ مَصَالِحِهِ، وَمِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ: مَعْبُودَهُ وَإِلَهَهُ وَحَبِيبَهُ(٣).

❁ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَعَلَّقَ إِلَّا بِاللهِ، وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَّا إِلَىٰ الْمُعْطِي الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ (وَهُوَ اللهُ وَحْدَهُ)(٤).

(٣) فَوَائِدُ التَّعَلُّقِ باللهِ

❁ لَا يُلَمُّ شَعَثُ الْقُلُوبِ بِشَيْءٍ غَيْرِ الْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ؛ فَهُنَاكَ يُلَمُّ شَعَثُهُ، وَيَزُولُ كَدَرُهُ، وَيَصِحُّ سَفَرُهُ، وَيَجِدُ رُوحَ الْحَيَاةِ، وَيَذُوقُ طَعْمَ الْحَيَاةِ الْمَلَكِيَّةِ!(٥)

❁ **الْمُؤْمِنُ** ظَاهِرُهُ: مُنْبَسِطٌ مَعَ الْخَلْقِ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ، وَبَاطِنُهُ: مُنْقَبِضٌ عَنْهُمْ؛ لِقُوَّةِ تَعَلُّقِهِ بِاللهِ، وَاشْتِغَالِهِ بِهِ عَنْهُمْ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧](٦).

---

(١) نظر: (١/ ٤٩٩).

(٢) انظر: (٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر: (٣/ ٢٧٠).

(٤) انظر: (٣/ ٥٢).

(٥) (٣/ ٩٥).

(٦) انظر: (٣/ ٣٩٤).

❁ النَّفْسُ لَا بُدَّ لَهَا مِن التَّعَلُّقِ؛ فإذا انْقَطَعَ تَعلُّقُهَا مِنْ هَوَاهَا: وَجَدَتْ رَوْحَ الْأُنْسِ بِاللهِ، وَهَبَّتْ عَلَيْهَا نَسَمَاتُهُ؛ فَرَيَّحَتْهَا وَأَحْيَتْهَا![1].

(٤) أَضْرَارُ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ

❁ الْمَخْلُوقُ مِن الْمَاءِ وَالطِّينِ: بَشَرٌ ضَعِيفٌ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ جَلْبَ مَنْفَعَةٍ، وَلَا دَفْعَ مَضَرَّةٍ! ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات:١١][2].

❁ **الْوُقُوفُ عِنْدَ مَدْحِ النَّاسِ وَذَمِّهِمْ**: عَلَامَةُ انْقِطَاعِ الْقَلْبِ، وَخُلُوِّهِ مِن اللهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَذُقْ حَلَاوَةَ التَّعَلُّقِ بِهِ![3]

❁ **مَنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللهِ**: وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ مَا تَعَلَّقَ بِهِ، وَخَذَلَهُ مِنْ جِهَةِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ! ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:٨١-٨٢][4].

❁ **أَعْظَمُ النَّاسِ خِذْلَانًا**: مَنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللهِ، وَمَثَلُهُ: كَمَثَلِ الْمُسْتَظِلِّ مِن الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ![5]

❁ أَسَاسُ الشِّرْكِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا: التَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللهِ، وَلِصَاحِبِهِ الذَّمُّ وَالْخِذْلَانُ، ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢][6].

(١) انظر: (٢/ ٣٣).

(٢) انظر: (٣/ ٣٩٧).

(٣) انظر: (٢/ ٩).

(٤) انظر: (١/ ٤٥٥).

(٥) انظر: (١/ ٤٥٥).

(٦) انظر: (١/ ٤٥٥).

● إِذَا تَعَلَّقْتَ بِمَنْ هُوَ فَانٍ؛ انْقَطَعَ ذَلِكَ التَّعَلُّقُ عِنْدَ فَنَائِهِ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِذَا تَعَلَّقْتَ بِمَنْ هُوَ بَاقٍ لَا يَفْنَىٰ: لَمْ يَنْقَطِعْ تَعَلُّقُكَ، وَدَامَ بِدَوَامِهِ[١].

● أَعْظَمُ مُفْسِدَاتِ القَلْبِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ: **التَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللهِ**؛ فَلَيْسَ عَلَيْهِ أَضَرُّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا أَقْطَعُ لَهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَسَعَادَتِهِ مِنْهُ[٢].

● لَا يَرْكَنُ الْعَبْدُ إِلَىٰ شَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ الْبَتَّةَ، وَمَتَىٰ وَجَدَ قَلْبَهُ رُكُونًا إِلَىٰ غَيْرِهِ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ أُحِيلَ عَلَىٰ مُفْلِسٍ، بَلْ مُعْدَمٍ، وَأَنَّهُ قَدْ فُتِحَ لَهُ الْبَابُ مَكْرًا، فَلْيَحْذَرْ وُلُوجَهُ![٣]

(٥) التَّعَلُّقُ بِالأَسْبَابِ

● **الأَسْبَابُ**: ثَابِتَةٌ قَدَرًا وَشَرْعًا، وَلَكِنَّهَا تَحْتَ تَدْبِيرِهِ، وَطَوْعُ إِرَادَتِهِ، لِيُعْلِمَ خَلْقَهُ أَنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، وَأَنَّ التَّعَلُّقَ بِالسَّبَبِ دُونَهُ: كَالتَّعَلُّقِ بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ! وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ فِي التَّوْحِيدِ[٤].

● الِالْتِفَاتُ إِلَىٰ الأسبابِ بِالْكُلِّيَّةِ: شِرْكٌ مُنَافٍ لِلتَّوْحِيدِ. وَإِنْكَارُ أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا بِالْكُلِّيَّةِ: قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ وَالْحِكْمَةِ. وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا: نُقْصَانٌ فِي الْعَقْلِ[٥].

● **الْوُقُوفُ مَعَ الْأَسْبَابِ قِسْمَانِ:**

١ - أَنْ يَقِفَ مَعَهَا حَيْثُ أَوْقَفَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ: فَلَا يَتَعَدَّىٰ حُدُودَهَا، وَلَا يَقْصُرُ عَنْهَا

٢ - أن يَعْتَقِدَ أَنَّهَا هِيَ الْفَاعِلَةُ الْمُؤَثِّرَةُ بِنَفْسِهَا: فَهَذَا لَا يَعْتَقِدُهُ مُوَحِّدٌ![٦]

---

(١) (٣/ ٣٤٤).

(٢) انظر: (١/ ٤٥٥).

(٣) (٣/ ١٧٩).

(٤) انظر: (١/ ٢٧٥).

(٥) انظر: (١/ ٢٧٥).

(٦) انظر: (٣/ ٤٤٤).

* المُؤْمِنُ: لَا يَنْقَطِعُ بِالأَسبابِ عَنْ رُؤْيَةِ الْمُسَبِّبِ، بَلْ يَقُومُ بِهَا، مُعْتَقِدًا أَنَّهَا وَسِيلَةٌ مُوْصِلَةٌ إِلَىٰ الْغَايَةِ: فَهِيَ كَالطَّرِيقِ الْحِسِّيِّ الَّذِي يَقْطَعُهُ الْمُسَافِرُ إِلَىٰ مَقْصِدِهِ(١).

(٦) التَّعَلُّقُ بِسُؤَالِ الخَلْقِ

* الطَّلَبُ مِن الْخَلْقِ: ظُلْمٌ فِي حَقِّ **الرُّبُوبِيَّةِ**، وَظُلْمٌ فِي حَقِّ **الْخَلْقِ**، وَظُلْمٌ فِي حَقِّ **النَّفْسِ**(٢).

* **الطَّلَبُ مِن الْخَلْقِ**: فِيهِ مِن الذُّلِّ لِغَيْرِ اللهِ، وَإِرَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ لِغَيْرِ خَالِقِهِ، وَالتَّعَرُّضِ لِمَقْتِهِ (إِذَا سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يَكْفِيهِ يَوْمَهُ)!(٣)

* **الطَّلَبُ مِن الْخَلْقِ**: ظُلْمٌ فِي حَقِّ النَّاسِ؛ لِمُنَازَعَتِهِمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بِالسُّؤَالِ. وَأَبْغَضُ مَا إِلَيْهِمْ: مَنْ يَسْأَلُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ؛ فَإِنَّ أَمْوَالَهُمْ: مَحْبُوبَاتُهُمْ، وَمَنْ سَأَلَكَ مَحْبُوبَكَ: فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمَقْتِكَ(٤).

* **الطَّلَبُ مِن الْخَلْقِ**: ظُلْمٌ للسَّائِلِ نَفْسِه؛ فَقَدْ أَقَامَ السَّائِلُ نَفْسَهُ مَقَامَ الذُّلِّ، وَأَهَانَهَا بِذَلِكَ، وَرَضِيَ أَنْ يَكُونَ شَحَّاذًا مِنْ شَحَّاذٍ مِثْلِهِ!(٥)

* **سُؤَالُ الْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ**: سُؤَالُ الْفَقِيرِ لِلْفَقِيرِ. وَالرَّبُّ تَعَالَىٰ كُلَّمَا سَأَلْتَهُ: كَرُمْتَ عَلَيْهِ، وَرَضِيَ عَنْكَ، وَأَحَبَّكَ. وَالْمَخْلُوقُ كُلَّمَا سَأَلْتَهُ: هُنْتَ عَلَيْهِ، وَأَبْغَضَكَ(٦).

---

(١) انظر: (٣/ ٤٤٤).

(٢) انظر: (٢/ ١٣٠).

(٣) انظر: (٢/ ١٣٠).

(٤) انظر: (٢/ ١٣٠).

(٥) انظر: (٢/ ١٣٠).

(٦) (٢/ ١٣١).

❋ قَبِيحٌ بِالْعَبْدِ الْمُرِيدِ: أَنْ يَتَعَرَّضَ لِسُؤَالِ الْعَبِيدِ، وَهُوَ يَجِدُ عِنْدَ مَوْلَاهُ كُلَّ مَا يُرِيد!(١)

❋ اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبَنِيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ!(٢)

❋ يقولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ: لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ! وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ: فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ**)(٣).

---

(١) (٢/ ١٣١).

(٢) (٢/ ١٣١).

(٣) (٢/ ١٣٢).

المبحث الرابع والأربعون

الطُّمَأْنِينَةُ

(١) حَقِيقَةُ الطُّمَأْنِينَة

* الطُّمَأْنِينَةُ: سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَىٰ الشَّيْءِ، وَعَدَمُ اضْطِرَابِهِ وَقَلَقِهِ[١].

* مَقَامُ الطُّمَأْنِينَةِ: جَامِعٌ لِلْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ، وَالتَّفْوِيضِ، وَالرِّضَىٰ وَالتَّسْلِيمِ؛ فَإِذَا اجْتَمَعَتْ: صَارَ صَاحِبُهَا صَاحِبَ طُمَأْنِينَةٍ، وَمَا نَقَصَ مِنْهَا: نَقَصَ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ[٢].

(٢) أَسْبَابُ الطُّمَأْنِينَة

* ذِكْرُ الْعَبْدِ رَبَّهُ؛ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ قَلْبُهُ وَيَسْكُنُ؛ فَإِذَا اضْطَرَبَ الْقَلْبُ وَقَلِقَ؛ فَلَيْسَ لَهُ مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ سِوَىٰ ذِكْرِ اللهِ![٣]

* الْقَلْبُ لَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ حُصُولِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ إِلَّا مِنَ الْقُرْآنِ[٤].

* سُكُونُ الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينَتُهُ: يَكُونُ مِنْ يَقِينِهِ. وَاضْطِرَابُ الْقَلْبِ وَقَلَقُهُ: يَكُونُ مِنْ شَكِّهِ. **وَالْقُرْآنُ**: هُوَ الْمُحَصِّلُ لِلْيَقِينِ، الدَّافِعُ لِلشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ؛ فَلَا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ إِلَّا بِهِ[٥].

* الْمُؤْمِنُونَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَىٰ الصَّادِقِ (وَلَوْ لَمْ يَحْلِفْ)، وَلَا تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ

---

(١) (٢/ ٤٧٩).

(٢) انظر: (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: (٢/ ٤٨٠).

(٤) (٢/ ٤٨٠).

(٥) (٢/ ٤٨٠).

إِلَىٰ مَنْ يَرْتَابُونَ فِيهِ (وَلَوْ حَلَفَ)[1].

* **اطْمَأَنَّتْ الْقُلُوبُ بِالْقُرْآنِ**؛ لَمَّا حَصَلَ لَهَا الإيمانُ بِهِ، وَمَعْرِفَتُهُ وَالْهِدَايَةُ بِهِ فِي ظُلَمِ الْآرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ: فَبِهِ خَاصَمَتْ، وَإِلَيْهِ حَاكَمَتْ، وَبِهِ صَالَتْ، وَبِهِ دَفَعَت الشُّبَهَ![2]

* طُمَأْنِينَةُ الْقُلُوبِ الصَّحِيحَةِ، وَالْفِطَرِ السَّلِيمَةِ: بِالْقُرْآنِ. وَسُكُونُهَا إِلَيْهِ: مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ فِي الْعَادَةِ أَنْ تَطْمَئِنَّ الْقُلُوبُ وَتَسْكُنَ إِلَىٰ الْكَذِبِ وَالِافْتِرَاءِ وَالْبَاطِلِ[3].

(٣) فَوَائِدُ الطُّمَأْنِينَة

* جَعَلَ اللهُ الطُّمَأْنِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَنُفُوسِهِمْ، وَجَعَلَ الْبِشَارَةَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ لِأَهْلِ الطُّمَأْنِينَةِ؛ فَـ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:٢٩][4].

* مَنْ اطْمَأَنَّ إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ **الدِّينِيِّ**: عَلِمَ أَنَّهُ دِينُهُ الْحَقُّ، وَهُوَ صِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ وَنَاصِرُ أَهْلِهِ وَكَافِيهِمْ وَوَلِيُّهُمْ[5].

* مَنْ اطْمَأَنَّ إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ **الْكَوْنِيِّ**: عَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، وَأَنَّهُ مَا يَشَاءُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلَا وَجْهَ لِلْجَزَعِ وَالْقَلَقِ![6]

---

(١) (٢/ ٤٨١).

(٢) انظر: (٢/ ٤٨٢).

(٣) انظر: (٣/ ٤٣٨).

(٤) انظر: (٢/ ٤٨١).

(٥) انظر: (٢/ ٤٨٣).

(٦) انظر: (٢/ ٤٨٣).

المبحث الخامس والأربعون

السَّكِينَة

(١) حَقِيقَةُ السَّكِينَة

❁ السَّكِينَةُ: هِيَ الطُّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَهو السُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللهُ فِي القَلْبِ عِنْدَ اضْطِرَابِهِ؛ فَلَا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ[١].

❁ السَّكِينَةُ: ثَبَاتُ الْقَلْبِ عِنْدَ هُجُومِ الْمَخَاوِفِ عَلَيْهِ، وَسُكُونُهُ وَزَوَالُ قَلَقِهِ وَاضْطِرَابِهِ، كَمَا يَحْصُلُ لِحِزْبِ اللهِ عِنْدَ مُقَابَلَةِ الْعَدُوِّ وَصَوْلَتِهِ[٢].

❁ السَّكِينَةُ: شَيْءٌ يَجْمَعُ قُوَّةً وَرُوحًا: يَسْكُنُ إِلَيْهِ الْخَائِفُ، وَيَتَسَلَّىٰ بِهِ الْحَزِينُ وَالضَّجِرُ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ الْعَصِيُّ وَالْأَبِيُّ[٣].

(٢) أَسْبَابُ السَّكِينَة

❁ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ: تَنَزُّلُ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهَا: الرِّضَا عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ[٤].

❁ الْمُبْتَلَىٰ إِذَا قَوِيَتْ مُشَاهَدَتُهُ لِلْمَثُوبَةِ: سَكَنَ قَلْبُهُ، وَاطْمَأَنَّ بِمُشَاهَدَةِ الْعِوَضِ، وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ بِهِ الْبَلَاءُ: إِذَا غَابَ عَنْهُ مُلَاحَظَةُ الثَّوَابِ[٥].

❁ كَانَ (شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ) إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ: قَرَأَ آيَاتِ السَّكِينَةِ.

---

(١) انظر: (٢/ ٤٧١).

(٢) انظر: (٢/ ٤٨٢).

(٣) انظر: (٢/ ٤٧٤).

(٤) انظر: (٢/ ٢٠١).

(٥) انظر: (٢/ ٤٨٣).

وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا أَيْضًا قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ؛ فَرَأَيْتُ لَهَا تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي سُكُونِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ![1]

* أَكْثَرُ مَا تكُونُ السَّكِيْنَة: عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَصِدْقِ الرَّغْبَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالْإِسْرَاعِ بِالقَلْبِ إِلَيْهِ، مَعَ تَجَرُّدِهِ مِن الْأَهْوَاءِ، وَتَجْرِيدِهِ النَّصِيحَةَ لِلهِ[2].

(٣) فَوَائِدُ السَّكِيْنَة

* السَّكِينَةُ إِذَا نَزَلَتْ عَلَىٰ الْقَلْبِ: اطْمَأَنَّ بِهَا، وَسَكَنَتْ إِلَيْهَا الْجَوَارِحُ وَخَشَعَتْ، وَاكْتَسَبَت الْوَقَارَ، وَأَنْطَقَت اللِّسَانَ بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِ كُلِّ بَاطِلٍ[3].

* اشْتَمَلَتْ السَّكِيْنَةُ عَلَىٰ **ثَلَاثَةِ مَعَانٍ**: النُّورِ، وَالْقُوَّةِ، وَالرُّوحِ.

ولَهَا **ثَلَاثُ ثَمَرَاتٍ**: سُكُونُ الْخَائِفِ، وَتَسْلِيَةُ الْحَزِينِ، وَاسْتِكَانَةُ صَاحِبِ الْمَعْصِيَةِ[4].

* أَخْبَرَ اللهُ عَنْ إِنْزَالِ السَّكِيْنَةِ عَلَىٰ رَسُوْلِهِ ﷺ والْمُؤْمِنِينَ، فِي مَوَاضِعِ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ: كَيَوْمِ الْهِجْرَةِ (إِذْ هُوَ وَصَاحِبُهُ فِي الْغَارِ)، وَكَيَوْمِ حُنَيْنٍ وَالْحُدَيْبِيَةِ (حِينَ اضْطَرَبَتْ قُلُوبُهُمْ)[5].

* مَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ السِّكِّينَةُ: اسْتَقَامَ حالُهُ، وَصَلَحَ بَالُهُ. وَإِذَا تَرَحَّلَتْ عَنْهُ

---

(١) انظر: (٢/ ٤٧١).

(٢) انظر: (٢/ ٤٧٤).

(٣) انظر: (٢/ ٤٧٣).

(٤) انظر: (٢/ ٤٧٥).

(٥) انظر: (٢/ ٤٧١).

السَّكِينَةُ: تَرَحَّلَ عَنْهُ السُّرُورُ وَالْأَمْنُ، وَطِيبُ الْعَيْشِ![١]

❁ السَّكِينَةُ إِذَا نَزَلَتْ عَلَىٰ الْقَلْبِ: اطْمَأَنَّ بِهَا، وَسَكَنَتْ إِلَيْهَا الْجَوَارِحُ وَخَشَعَتْ، وَاكْتَسَبَت الْوَقَارَ، وَأَنْطَقَت اللِّسَانَ بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِ كُلِّ بَاطِلٍ[٢].

❁ كَثِيرًا مَا يَنْطِقُ صَاحِبُ السَّكِينَةِ بِكَلَامٍ لَمْ يَكُنْ عَنْ فِكْرَةٍ مِنْهُ، وَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا هِبَةٍ، وَيَسْتَغْرِبُهُ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ، كَمَا يَسْتَغْرِبُ السَّامِعُ لَهُ، وَرُبَّمَا لَا يَعْلَمُ بَعْدَ انْقِضَائِهِ بِمَا صَدَرَ مِنْهُ![٣]

❁ الْخَائِفُ إِذَا طَالَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ وَاشْتَدَّ بِهِ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرِيحَهُ، وَيَحْمِلَ عَنْهُ: أَنْزَلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ، فَاسْتَرَاحَ قَلْبُهُ إِلَىٰ الرَّجَاءِ، وَاطْمَأَنَّ بِهِ، وَسَكَنَ لَهِيبُ خَوْفِهِ![٤]

❁ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ وَالسُّلُوكِ؛ تَحْيَا بها الأرواحُ وَتَتَنَعَّمُ، وَتَكْشِفُ عَنْهَا الشُّبَهَات؛ فَتَسْكُنُ الْأَرْوَاحُ وَالْقُلُوبُ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّ الشُّبُهَاتِ لَا يَكْشِفُهَا إِلَّا سَكِينَةُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ![٥]

❁ السَّكِينَةُ مِنْ أَعْظَمِ مَوَاهِبِ اللهِ، وَمِنْ أَجَلِّ عَطَايَاهُ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَجْعَلْهَا إِلَّا لِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ؛ فَمَنْ أُعْطِيَهَا: فَقَدْ خُلِعَتْ عَلَيْهِ خُلَعُ الْوِلَايَةِ[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٠١).

(٢) انظر: (٢/ ٤٧٣).

(٣) (٢/ ٤٧٣). قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ!).
المصدر السابق

(٤) (٢/ ٤٨٣).

(٥) انظر: (٢/ ٤٧٤).

(٦) انظر: (٢/ ٤٧٩).

* إِذَا بَاشَرَت السَّكِينَةُ القَلْبَ: سَكَّنَتْ خَوْفَهُ، وَسَلَّتْ حُزْنَهُ؛ فَهِيَ سَلْوَةُ الْمَحْزُونِ، وَمُذْهِبَةُ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ، وَكَذَلِكَ تُذْهِبُ الضَجَر، وَتَبْعَثُ الْعَزْم، وتَحولُ بينَ النَّفْسِ وبَيْنَ مُخَالَفَةِ الأَمْر(١).

* إِذَا نَزَلَت عَلَىٰ العاصي (السَّكِينَةُ)؛ اعْتَاضَ بنَعِيمِهَا عَنْ لَذَّةِ الْمَعْصِيَةِ؛ فَاسْتَرَاحَتْ بِهَا نَفْسُهُ؛ فَصَارَتْ لَذَّتهُ رُوحَانِيَّةً قَلْبِيَّةً، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ جِسْمَانِيَّةً!(٢)

---

(١) انظر: (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: (٢/ ٤٧٦). ولهذا يَسْكُنُ العاصي إِلَىٰ الْمَعْصِيَةِ؛ لِعَدَمِ سَكِينَةِ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ وَجَدَ فِيهَا مَطْلُوبَهُ: وَهِيَ اللَّذَّةُ الَّتِي كَانَ يَطْلُبُهَا مِن الْمَعْصِيَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُعِيضُهُ عَنْهَا. انظر: (٢/ ٤٧٥).

المبحث السادس والأربعون
الأُنْسُ بِالله

(١) حَقِيقَةُ الأُنْسِ

* مَقَامُ الْأُنْسِ: جَامِعٌ لِمَقَامِ الْحُبِّ مَعَ الْقُرْبِ؛ فَلَوْ كَانَ الْمُحِبُّ بَعِيدًا مِنْ مَحْبُوبِهِ: لَمْ يَأْنَسْ بِهِ، وَلَوْ كَانَ قَرِيبًا مِنْ رَجُلٍ وَلَمْ يُحِبَّهُ: لَمْ يَأْنَسْ بِهِ؛ حَتَّىٰ يَجْتَمِعَ لَهُ حُبُّهُ، مَعَ الْقُرْبِ مِنْهُ[١].

* قَلْبُ المُؤْمِنِ: مُتَعَلِّقٌ بِالْأُنْسِ بِاللهِ، تَعَلُّقًا لَازِمًا لَا يُفَارِقُهُ، ويَجِدُ الْوَحْشَةَ فِي مُلَابَسَةِ الخَلْقِ، بِقَدْرِ أُنْسِهِ بِرَبِّهِ[٢].

(٢) أَسْبَابُ الأُنْسِ

* الْأُنْسُ باللهِ: يَكُونُ مَبْدَؤُهُ الْكَشْف عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي يَحْصُلُ عَنْهَا الْأُنْسُ، وَيَتَعَلَّقُ بِهَا: كَاسْمِ الْجَمِيلِ، وَالْبَرِّ، وَاللَّطِيفِ، وَالْوَدُودِ[٣]، وَالْحَلِيمِ، وَالرَّحِيمِ وَنَحْوِهَا[٤].

* الْأُنْسُ بِاللهِ: حَالَةٌ وِجْدَانِيَّةٌ، وَهِيَ مِنْ مَقَامَاتِ الْإِحْسَانِ. وتَقْوَىٰ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: دَوَامِ الذِّكْرِ، وَصِدْقِ الْمَحَبَّةِ، وَإِحْسَانِ الْعَمَلِ[٥].

* قُوَّةُ الْأُنْسِ وَضَعْفُهُ: عَلَىٰ حَسَبِ قُوَّةِ الْقُرْبِ؛ فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ مِنْ رَبِّهِ

---

(١) (١/ ١٥٧).

(٢) انظر: (٢/ ٢٥٦).

(٣) الْوِدَادُ: هُوَ صَفْوُ الْمَحَبَّةِ. وَالْوَدُودُ: مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: (الْوَدُودُ: الْحَبِيبُ)، وَقيل: (إِنَّهُ الْوَادُّ لِعِبَادِهِ: أَيِ الْمُحِبُّ لَهُمْ). انظر: (٣/ ٣٠).

(٤) انظر: (٢/ ٣٩٢).

(٥) (٣/ ٩٥).

أَقْرَبَ: كَانَ أُنْسُهُ بِهِ أَقْوَىٰ، وَكُلَّمَا كَانَ مِنْهُ أَبْعَدَ: كَانَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ أَشَدّ![1]

* مَنْ تَمَكَّنَ فِي جَمْعِ هَمِّهِ عَلَىٰ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ: وَجَدَ لَذَّةَ الْجَمْعِ عَلَيْهِ، وَذَاقَ طَعْمَ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَالْأُنْسِ بِهِ[2].

* الْأُنْسُ: ثَمَرَةُ الطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ؛ فَكُلُّ مُطِيعٍ مُسْتَأْنِسٌ، وَكُلُّ عَاصٍ مُسْتَوْحِشٌ؛ كَمَا قِيلَ:

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَوْحَشَتْكَ الذُّنُوبُ ... فَدَعْهَا إِذَا شِئْتَ وَاسْتَأْنِسِ[3]

* مَنْ أَيْقَنَ بِلِقَاءِ اللهِ: فَتَحَ لَهُ بَابَ الْأُنْسِ بِالْخَلْوَةِ وَالْوَحْدَةِ، وَالْأَمَاكِنِ الْخَالِيَةِ الَّتِي تَهْدَأُ فِيهَا الْأَصْوَاتُ وَالْحَرَكَاتُ؛ فَلَا شَيْءَ أَشْوَق إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ[4].

* لَوْ كَانَتْ أعمالُ العَبْدِ صَحِيحَةً سَالِمَةً، لَا عِلَّةَ فِيهَا وَلَا غِشَّ: لَأَثْمَرَتْ لَهُ الْأُنْسَ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ شَكُورٌ؛ فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ أَثَرًا فِي قَلْبِهِ مِن الْأُنْسِ: اسْتَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ غَيْرُ سَالِمٍ مِن الْآفَاتِ[5].

(٣) فَوَائِدُ الأُنْسِ

* فِي الْقَلْبِ شَعَثٌ، لَا يَلُمُّهُ إِلَّا (الْإِقْبَالُ عَلَىٰ اللهِ). وَفِيهِ وَحْشَةٌ، لَا يُزِيلُهَا إِلَّا (الْأُنْسُ بِهِ فِي خَلْوَتِهِ)[6].

* لَا حَيَاةَ لِلْقَلْبِ وَلَا نَعِيمَ: إِلَّا بِحُبِّ اللهِ، وَالْقُرْبِ مِنْهُ، وَالْأُنْسِ بِذِكْرِهِ[7].

---

(١) (٣/ ٩٥).

(٢) انظر: (٣/ ٩٦).

(٣) (٢/ ٣٨١-٣٨٢).

(٤) انظر: (٣/ ٣٥٢).

(٥) انظر: (٢/ ٢١٨).

(٦) انظر: (٣/ ١٥٦).

(٧) انظر: (٣/ ١١١).

* مَنْ أَنِسَ باللهِ؛ لا يُوحِشُهُ التَّفَرُّدُ[١]، كَمَا قَالَ بَعْضُهم: (**انْفِرَادُكَ فِي طَرِيقِ طَلَبِكَ: دَلِيلٌ عَلَىٰ صِدْقِ الطَّلَبِ**). وَقَالَ آخَرُ: (**لا تَسْتَوْحِشْ فِي طَرِيقِكَ مِنْ قِلَّةِ السَّالِكِينَ، وَلا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ**)[٢].

* السَّالِكُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ: يَجِدُ التعَبَ وَالمَشَقَّةَ؛ لِعَدَمِ أُنْسِ قَلْبِهِ بِمَعْبُودِهِ، فَإِذَا حَصَلَ لِلْقَلْبِ رُوحُ الْأُنْسِ؛ زَالَتْ عَنْهُ تِلْكَ الْمَشَاقُّ؛ فَصَارَتْ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ![٣]

(٤) الْأُنْسُ بِالرَّفِيقِ

* لَمَّا كَانَتِ النُّفُوسُ مَجْبُولَةً عَلَىٰ وَحْشَةِ التَّفَرُّدِ، وَالْأُنْسِ بِالرَّفِيقِ، نَبَّهَ اللهُ عَلَىٰ الرَّفِيقِ فِي هذا الطَّرِيقِ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء:٦٩][٤].

* أُضِيفَ الصِّرَاطُ المستقيمُ إِلَىٰ الرَّفِيقِ السَّالِكِ لَهُ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]؛ لِيَزُولَ عَنِ طَّالِبِ الهِدَايَةِ؛ وَحْشَةَ تَفَرُّدِهِ عَنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَبَنِي جِنْسِهِ[٥].

* اِعْلَمْ أَنَّ رَفِيقَكَ فِي هَذَا الصِّرَاطِ المستقيم؛ هُمُ الَّذِينَ ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء:٦٩]، فَلَا تكْتَرِثْ بِمُخَالَفَةِ النَّاكِبِينَ عَنْهُ لَهُ؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ الأَقَلُّونَ قَدْرًا، وَإِنْ كَانُوا الْأَكْثَرِينَ عَدَدًا[٦].

* طَالِبُ الأُنْسِ بِاللهِ؛ أَزْهَدُ شَيْءٍ فِي الْخَلْقِ، إِلَّا مَنْ أَعَانَهُ عَلَىٰ هَذَا الْمَطْلُوبِ؛ فَعَلَيْكَ بِطَلَبِ هَذَا الرَّفِيقِ، فَإِنْ لَمْ تَظْفَرْ بِهِ؛ فَاتَّخِذ اللهَ صَاحِبًا، وَدَعِ النَّاسَ كُلَّهُمْ جَانِبًا![٧]

---

(١) انظر: (٢/ ٨).

(٢) (٢/ ٨).

(٣) انظر: (٢/ ٣٥٤).

(٤) انظر: (١/ ٤٥-٤٦).

(٥) انظر: (١/ ٤٥-٤٦).

(٦) انظر: (١/ ٤٥-٤٦).

(٧) (٢/ ٨).

* قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (**كُلَّمَا اسْتَوْحَشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ؛ فَانْظُرْ إِلَىٰ الرَّفِيقِ السَّابِقِ، وَاحْرِصْ عَلَىٰ اللَّحَاقِ بِهِمْ**)(١).

(٥) الأُنْسُ بِالخَلْوَة

* **المُؤْمِنُ إِذَا كَانَ مَعَ اللهِ**: عَزَلَ الْخَلَائِقَ، وَتَخَلَّىٰ عَنْهُمْ(٢). **وَإِذَا كَانَ مَعَ الخَلْقِ**: عَزَلَ نَفْسَهُ وَتَخَلَّىٰ عَنْهَا؛ فَمَا أَشَدَّ وَحْشَتَهُ مِنْ النَاس، وَمَا أَعْظَمَ أُنْسَهُ بِاللهِ!(٣)

* الخَلْوَةُ بِاللهِ فِي الأَمَاكِنِ الخَالِيَة: تَجْمَعُ قُوَىٰ القَلْبِ وَإِرَادَتِهِ، وَتَسُدُّ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ الَّتِي تُفَرِّقُ هَمَّهُ، وَتُشَتِّتُ قَلْبَهُ(٤).

(٦) عُقُوبَةُ الوَحْشَة

* لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي تفَرُّقِ الْقَلْبِ عَنِ اللهِ، إِلَّا أَلَمُ الْوَحْشَةِ، وَنَكَدُ التَّشَتُّتِ، وَغُبَارُ الشَّعَثِ؛ لَكَفَىٰ بِهِ عُقُوبَةً!(٥)

* وَحْشَةُ الْحِجَابِ عَن اللهِ؛ أَشَدُّ أَلمًا مِنْ عَذَابِ النار! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ﴾ [المطففين:١٥-١٦]. فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ: عَذَابُ الْحِجَابِ، وَعَذَابُ الْجَحِيمِ!(٦)

* حِجَابُ الْقَلْبِ عَنِ الرَّبِّ: أَعْظَمُ عَذَابًا مِن الْجَحِيمِ!(٧)

---

(١) (١/ ٤٥-٤٦).

(٢) العُزْلَةُ عن النَّاس: تُحْمَدُ فِي بَعْضِ الأَمَاكِنِ وَالأَوْقَاتِ، دُونَ بَعْضِهَا، فقدْ تَجِبُ فِي وَقْتٍ، وَقد تُسْتَحَبُّ، وَقد تُبَاحُ، وَقد تُكْرَهُ، وَقد تَحْرُمُ. انظر: (٣/ ٢٧٧).

(٣) انظر: (١/ ١١١).

(٤) انظر: (٣/ ٣٥٢).

(٥) انظر: (٣/ ١٥٥-١٥٦).

(٦) (٣/ ١٥٦).

(٧) انظر: (٣/ ٢٠٨-٢٠٩).

المبحث السابع والأربعون

الْقُرْبُ مِن الله

(١) حَقِيْقَةُ القُرْب

❁ مَشْهَدُ الْقُرْبِ مِن اللهِ: أَنْ يَشْهَدَهُ قَرِيبًا غَيْرَ بَعِيدٍ، مَعَ كَوْنِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ؛ فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَ التَّعْظِيمِ: الْأُنْسُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ؛ فَيَأْنَسُ بِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُسْتَوْحِشًا[١].

❁ الْقُرْبُ الْخَاصُّ إِلَىٰ الْقَلْبِ: هو قُرْبُ الْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا وَالْأُنْسِ: كَقُرْبِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ نَوْعٌ مِن الْقُرْبِ لَا نَظِيرَ له![٢]

❁ الرُّوحُ وَالْقَلْبُ: يَقْرُبَانِ مِن اللهِ وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَالرُّوحُ وَالْقَلْبُ فِي الْبَدَنِ![٣]

❁ الْقُرْبُ مِن اللهِ: لَا يُنَافِي اسْتِوَاءَهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَقُرْبِ الْأَجْسَامِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ؛ فالْعَبْدُ يَجِدُ رُوحَهُ قَرِيبَةً مِنْ مَحْبُوبٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَفَاوِزُ، تَتَقَطَّعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ![٤]

❁ اللهُ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، وَأَرْحَمُ بِكَ مِنْهُمَا؛ فَلَا تُوَسِّطْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَبًا خَرَجْتَ مِنْ صُلْبِهِ، وَلَا أُمًّا رَكَضْتَ فِي رَحِمِهَا![٥]

---

(١) انظر: (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: (٢/ ٢٧٥).

(٣) (٢/ ٢٧٥).

(٤) انظر: (٢/ ٢٥٥).

(٥) انظر: (٢/ ٣٣٩).

• لَوْ وَصَلَ الْعَبْدُ مِن الْقُرْبِ إِلَىٰ أَعْلَىٰ مَقَامٍ يَنَالُهُ الْعَبْدُ؛ لَمَا سَقَطَ عَنْهُ مِن التَّكْلِيفِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، مَا دَامَ قَادِرًا عَلَيْهِ[١].

(٢) مَوَانِعُ الْقُرْب

• إِذَا كَانَت الْمَلَائِكَةُ يَمْنَعُهَا الْكَلْبُ وَالصُّورَةُ عَنْ دُخُولِ الْبَيْتِ؛ فَكَيْفَ تَلِجُ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُ، وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ؛ فِي قَلْبٍ مُمْتَلِئٍ بِكِلَابِ الشَّهَوَاتِ وَصُوَرِهَا؟[٢]

(٣) عَلَامَاتُ الْقُرْب

• لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِن الْبَشَرِ فِي مَنْزِلَةِ الْقُرْبِ وَالْكَرَامَةِ وَالْحَظْوَةِ وَالْجَاهِ؛ مَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَىٰ، وَكَانَ أَشَدَّ الْخَلْقِ لِلهِ: خَشْيَةً وَتَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا، وَحَالُهُ كُلُّهَا تَشْهَدُ بِتَكْمِيلِ الْعُبُودِيَّةِ![٣]

• الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، كُلَّمَا تَرَقَّوْا مِن الْقُرْبِ: عَظُمَ اجْتِهَادُهُمْ[٤].

(٤) الْبُعْدُ عَن الله

• عَذَابُ الْحِجَابِ عَن اللهِ: أَعْظَمُ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَجَمَعَ اللهُ لِأَعْدَائِهِ بَيْنَ الْعَذَابَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين:١٥-١٦][٥].

---

(١) انظر: (٣/ ١١٦).

(٢) انظر: (٢/ ٣٩١).

(٣) (٢/ ٣٤٠).

(٤) انظر: (٣/ ١١٥).

(٥) جَمَعَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ بَيْنَ نعيمِ الجَنَّةِ، ونَعِيمِ الْقُرْبِ مِن اللهِ؛ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فَالْحُسْنَىٰ: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: رُؤْيَةُ وَجْهِهِ!

انظر: (٣/ ٢٦٧).

* تَفَرُّقُ القَلْبِ عَنِ اللهِ، وَتَشَتُّتُهُ عَنْهُ فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ؛ سَبَبٌ لانْقِبَاضِ القَلْبِ، وَقَدْ يَجِدُ المَرْءُ مِن القَبْضِ الَّذِي يَتَمَنَّىٰ مَعَهُ الْمَوْتَ![1]

* إِذَا ضُرِبَ الْقَلْبُ بِسَوْطِ الْبُعْدِ وَالْحِجَابِ عن اللهِ: مُلِئَ مِن الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ، وَصَارَ مَحَلًّا لِلْجِيَفِ وَالْأَنْتَانِ، وَبُدِّلَ بِالْأُنْسِ وَحْشَةً، وَبِالْعِزِّ ذُلًّا، وَبِالْقُرْبِ بُعْدًا[2].

* لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِن اللهِ؛ فَمَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ قُرْبِهِ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ إِلَىٰ مُسَاكَنَةِ غَيْرِهِ: ثَبَّطَ جَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ، وَقَلْبَهُ عَنْ مَحَبَّتِهِ، وَأَخَّرَهُ عَنْ مَحَلِّ قُرْبِهِ، وَوَلَّاهُ مَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ[3].

(٥) فَوَائِدُ القُرْب

* البُعْدُ عَن اللِه، والحِجَابُ عَنْه: عَذَابٌ وَآلَامٌ، وَهُمُومٌ وَأَحْزَانٌ؛ فَنَعِيمُ القَلْب: مَوْقُوفٌ عَلَىٰ القُرْبِ مِن اللهِ، وإِزَالَةِ الْحِجَابِ عنه[4].

* الْعَبْدُ يَجِدُ رَبَّهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ فَاقِدًا لَهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ يَطْلُبُ كَنْزًا فَظَفِرَ بِهِ، وَاسْتَغْنَىٰ بِهِ غَايَةَ الْغِنَىٰ؛ **فَمَنْ وَجَدَ اللهَ**: وَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ، **وَإِنْ فَاتَهُ**: فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ![5]

* تَحَقُّقُ الْقَلْبِ بِالْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ مَعَ اللهِ (وَهِيَ مَعِيَّةُ الْقُرْبِ)؛ تَتَضَمَّنُ: الْمُوَالَاةَ، وَالنَّصْرَ، وَالْحِفْظَ[6].

* (الْقُرْبُ مِن اللهِ) نَوْعَانِ:

١- قُرْبُ اللهِ مِنْ دَاعِيهِ بِالْإِجَابَةِ. ٢- وَقُرْبُهُ مِنْ عَابِدِهِ بِالْإِثَابَةِ[7].

---

(١) انظر: (٣/ ٢٧٦).

(٢) انظر: (٣/ ٣٠٨).

(٣) انظر: (٣/ ٣٠٨).

(٤) انظر: (٣/ ٢٦٧).

(٥) انظر: (٣/ ٣٠٤).

(٦) انظر: (٢/ ٢٥٤).

(٧) انظر: (٢/ ٢٥٤).

(٦) المُـقَرَّبُوْن

❁ كُلُّ مَقَام مِنْ مَقَامَاتِ الإِيمَانِ؛ فَالسَّالِكُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ نَوْعَانِ: أَبْرَارٌ، وَمُقَرَّبُونَ؛ **فَالأَبْرَارُ فِي أَذْيَالِهِ، وَالْمُقَرَّبُونَ فِي ذُرْوَةِ سَنَامِهِ**، وَكُلٌّ مِن النَّوْعَيْنِ لَا يُحْصِي تَفَاوُتَهُمْ إِلَّا اللهُ[(١)].

❁ **أَهْلُ السُّنَّةِ**: هُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّسُولِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وهُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ويَجِدُونَ نُفُوسَهُمْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ، وَهُمْ فِي الْأَقْطَارِ النَّائِيَةِ عَنْهُ![(٢)]

❁ **خَاصَّةُ الْمُقَرَّبِين**؛ قَدِ انْقَلَبَتِ الْمُبَاحَاتُ فِي حَقِّهِمْ: طَاعَاتٍ بِالنِّيَّةِ؛ فَلَيْسَ فِي حَقِّهِمْ مُبَاحٌ مُتَسَاوِي الطَّرَفَيْنِ، بَلْ كُلُّ أَعْمَالِهِمْ رَاجِحَةٌ[(٣)].

(٧) أَسْبَابُ القُرْب

❁ الْمُحِبُّونَ الْمُشْتَاقُونَ لِلْكَعْبَةِ، يَجِدُونَ قُلُوبَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ أَقْرَبَ إِلَيْهَا مِنْ جِيرَانِهَا وَمَنْ حَوْلَهَا، هَذَا مَعَ عَدَمِ تَأَتِّي الْقُرْب مِنْهَا؛ فَكَيْفَ بِمَنْ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ![(٤)]

❁ كُلَّمَا ازْدَادَ العَبْدُ حُبًّا للهِ: ازْدَادَ قُرْبًا، فَالْمَحَبَّةُ بَيْنَ قُرْبَيْنِ: قُرْبٍ قَبْلَهَا، وَقُرْبٍ بَعْدَهَا. وَبَيْنَ مَعْرِفَتَيْنِ: مَعْرِفَةٍ قَبْلَهَا دَلَّتْ عَلَيْهَا. وَمَعْرِفَةٍ بَعْدَهَا، هِيَ مِنْ نَتَائِجِهَا وَآثَارِهَا[(٥)].

---

(١) انظر: (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: (٢/ ٢٥٥).

(٣) انظر: (١/ ١٢٨-١٢٩).

(٤) انظر: (٢/ ٢٥٥).

(٥) انظر: (٢/ ٢٥٥).

المبحث الثامن والأربعون

الفَرَحُ والسُّرُوْرُ

(١) حَقِيْقَةُ الفَرَحِ والسُّرُوْر

* الْفَرَحُ: أَعْلَىٰ أَنْوَاعِ نَعِيمِ الْقَلْبِ، وَلَذَّتِهِ وَبَهْجَتِهِ[١].

* الْفَرَحُ: مَتَىٰ كَانَ بِاللهِ، وَبِمَا مَنَّ اللهُ بِهِ، مُقَارِنًا لِلْخَوْفِ وَالْحَذَرِ: لَمْ يَضُرَّ صَاحِبَهُ، وَمَتَىٰ خَلَا عَنْ ذَلِكَ: ضَرَّهُ وَلَا بُدَّ![٢].

* اللهُ تَعَالَىٰ أَمَرَ عِبَادَهُ بِالْفَرَحِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَذَلِكَ تَبَعٌ لِلْفَرَحِ بِصَاحِبِ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ؛ فَإِنَّ مَنْ فَرِحَ بِمَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ جَوَادٍ كَرِيمٍ؛ يَكُونُ فَرَحُهُ بِمَنْ أَوْصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ[٣].

* اللَّذَّاتُ الرُّوحَانِيَّةُ الْقَلْبِيَّةُ؛ أَقْوَىٰ وَأَتَمُّ مِن اللَّذَّاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ![٤]

(٢) طَرِيْقُ الفَرَحِ والسُّرُوْر

* حَيَاةُ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ: يُدَنْدِنُ حَوْلَهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ قَدْ أَخْطَأَ طَرِيقَهَا، وَسَلَكَ طُرُقًا لَا تُفْضِي إِلَيْهَا، بَلْ تَقْطَعُهُ عَنْهَا، إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيلِ[٥].

(٣) فَرَحُ المُؤْمِنِ وَسُرُوْرُه

* يُنْشِئُ اللهُ لِلعَبْدِ الْمُؤْمِنِ سُرُورًا خَاصًّا، وَفَرَحًا بِرَبِّهِ لَا عَهْدَ لَهُ بِمِثْلِهِ، وَلَا

(١) (٣/ ١٥٠).

(٢) (٣/ ١٠٨).

(٣) انظر: (٣/ ١٤٨).

(٤) (٣/ ١٥٧).

(٥) انظر: (٣/ ٢٥٠).

نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَنَفْحَةً مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، وَنَسْمَةً مِنْ رِيحِهَا![١]

* الْمُؤْمِنُ أَشَدُّ فَرَحًا مِنْ فَرَحِ الْعَبْدِ بِسَيِّدِهِ الْمَخْلُوقِ الْمُشْفِقِ عَلَيْهِ، الْقَادِرِ عَلَىٰ مَا يُرِيدُهُ الْعَبْدُ وَيَطْلُبُهُ مِنْهُ، الْمُتَنَوِّعِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَالذَّبِّ عَنْهُ![٢]

(٤) أَسْبَابُ الْفَرَحِ والسُّرُوْر

* لَا سَعَادَةَ لِلنُّفُوسِ إِلَّا بأَنْ يَكُونَ اللهُ وَحْدَهُ: أَحَبَّ إِلَىٰ الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَخْوَفَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَرْجَىٰ لَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ[٣].

* اللهُ تَعَالَىٰ (شَكُورٌ)؛ إِذَا رَضِيَ مِن الْعَبْدِ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِهِ: نَجَّاهُ، وَأَسْعَدَهُ بِهِ، وَثَمَّرَهُ لَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَأَوْصَلَهُ بِهِ إِلَيْهِ، وَأَدْخَلَهُ بِهِ عَلَيْهِ![٤]

* الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَكُونُ فِي الدُّورِ الثَّلَاثِ: (دَارِ الدُّنْيَا، وَدَارِ الْبَرْزَخِ، وَدَارِ الْقَرَارِ)؛ فَالْأَبْرَارُ فِي النَّعِيمِ هُنَا وَهُنَالِكَ! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ﴾ [النحل:٣٠][٥].

* ذِكْرُ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُ وَطَاعَتُهُ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ؛ ضَامِنٌ لِأَطْيَبِ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْإِعْرَاضُ وَالْغَفْلَةُ عنه، وَمَعْصِيَتُهُ: كَفِيلٌ بِالْحَيَاةِ الْمُنَغَّصَةِ، وَالْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[٦].

* جَعَلَ اللهُ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، لِأَهْلِ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧][٧].

---

(١) انظر: (٣/ ٨٥).

(٢) انظر: (٣/ ١٠٦).

(٣) انظر: (٣/ ٣٦٩).

(٤) (٣/ ٣٩٠).

(٥) انظر: (٣/ ٢٤٣).

(٦) انظر: (٣/ ٢٤٤).

(٧) (٣/ ٢٤٣).

* اللهُ يُثِيبُ الْعَامِلَ عَلَىٰ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا: مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ، وَقُرَّةِ عَيْنٍ؛ فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ؛ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ![1]

* يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تَيْمِيَّةَ: (**إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا؛ فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ شَكُورٌ**)[2].

(٥) الفَرَحُ والسُّرُوْرُ بالله

* سُرُوْرُ الْقَلْبِ بِاللهِ، وَفَرَحُهُ بِهِ، وَقُرَّةُ الْعَيْنِ بِهِ؛ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا الْبَتَّةَ، وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ يُقَاسُ بِهِ، وَهُوَ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ![3]

* إِذَا عَلِمَ العَبْدُ أَنَّ فَضْلَ رَبِّهِ قَدْ سَبَقَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ، مَعَ عِلْمِهِ بِتَقْصِيرِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدَّرَ لَهُ مِن الْفَضْلِ بِدُونِ سَبَبٍ مِنْهُ! فَإِذَا شَاهَدَ الْعَبْدُ ذَلِكَ: اشْتَدَّ سُرُورُهُ بِرَبِّهِ، وَبِمَوَاقِعِ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ[4].

* سُرُورُ القَلْبِ باللهِ؛ يَبْعَثُ عَلَىٰ السَّيْرِ إِلَيه، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ. وَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَذَا السُّرُورَ؛ فَلْيَتَّهِمْ إِيمَانَهُ؛ فَإِنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً، مَنْ لَمْ يَذُقْهَا: فَلْيَرْجِعْ، وَلْيَقْتَبِسْ نُورًا يَجِدُ بِهِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ![5]

* رَأَيْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ فِي الْمَنَامِ -وَكَأَنِّي ذَكَرْتُ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ- فَقَالَ: (**أَمَّا أَنَا فَطَرِيقَتِيَ: الْفَرَحُ بِاللهِ، وَالسُّرُورُ بِهِ!**). وَهَكَذَا كَانَتْ حَالُهُ فِي الْحَيَاةِ![6]

---

(١) انظر: (٢/ ٦٨).

(٢) (٢/ ٦٨).

(٣) (٢/ ٦٧).

(٤) انظر: (٣/ ١٠٥).

(٥) انظر: (٢/ ٦٧).

(٦) انظر: (٢/ ١٧٤).

* مِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ: الْفَرَحُ بِاللهِ، وَالسُّرُورُ بِهِ؛ فَيَفْرَحُ بِهِ: إِذْ هُوَ عَبْدُهُ وَمُحِبُّهُ، وَيَفْرَحُ بِهِ سُبْحَانَهُ: رَبًّا وَإِلَهًا، وَمُنْعِمًا وَمُرَبِّيًا[١].

* لَوْ فُرِضَتْ لَذَّاتُ أَهْلِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا حَاصِلَةً لِرَجُلٍ؛ لَمْ يَكُنْ لَهَا نِسْبَةٌ إِلَىٰ لَذَّةِ جَمْعِيَّةِ قَلْبِهِ عَلَىٰ اللهِ، وَفَرَحِهِ بِهِ، وَأُنْسِهِ بِقُرْبِهِ، وَشَوْقِهِ إِلَىٰ لِقَائِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ ذَاقَهُ![٢]

* لَا يُنْكِرُ فَرَحَ الْقَلْبِ بِالرَّبِّ تَعَالَىٰ، وَسُرُورَهُ بِهِ، وَابْتِهَاجَهُ، وَقُرَّةَ عَيْنِهِ، وَنَعِيمَهُ بِحُبِّهِ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِهِ: إِلَّا كَثِيفُ الْحِجَابِ، حَجَرِيُّ الطِّبَاعِ![٣]

(٦) الفَرَحُ والسُّرُورُ بِالإِسْلَام

* فَضْلُ اللهِ: الْإِسْلَامُ. وَرَحْمَتُهُ: الْقُرْآنُ؛ فَجَعَلَهُمْ مُسْلِمِينَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِمْ كِتَابَهُ بِرَحْمَتِهِ! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٨٦][٤].

* ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس:٥٨]. **فَضْلُهُ**: الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ. **وَرَحْمَتُهُ**: الْعِلْمُ وَالْقُرْآنُ. وَهُوَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ: أَنْ يَفْرَحَ بِذَلِكَ وَيُسَرَّ بِهِ[٥]، وَهُوَ أَجَلُّ مَفْرُوحٍ بِهِ![٦]

---

(١) (٣/ ١٠٦).

(٢) (٣/ ١٥٥).

(٣) (٢/ ٣٤٠).

(٤) انظر: (٣/ ١٤٨).

(٥) انظر: (٣/ ١٠٦).

(٦) انظر: (٣/ ١٤٩).

* لَا شَيْءَ أَحَقّ أَنْ يَفْرَحَ الْعَبْدُ بِهِ؛ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ(١).

(٧) الفَرَحُ والسُّرُوْرُ بالدُّنْيَا

* الدُّنْيَا لَا تَتَخَلَّصُ أَفْرَاحُهَا مِنْ أَحْزَانِهَا الْبَتَّةَ، بَلْ مَا مِنْ فَرْحَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا تَرْحَةٌ سَابِقَةٌ، أَوْ مُقَارِنَةٌ، أَوْ لَاحِقَةٌ!(٢)

* الدنيا لَيْسَت بِمَوْضِعٍ لِلْفَرَحِ؛ لِأَنَّها عُرْضَةٌ لِلآفَاتِ، وَشِيكَةُ الزَّوَالِ، وَخِيْمَةُ الْعَاقِبَةِ(٣).

* فَرَحُ العَبْدِ بِالنِّعْمَةِ، قَدْ يُنْسِي الْمُنْعِمَ؛ فَيَطْفَحُ عَلَيْهِ السُّرُورُ، حَتَّىٰ يَغِيبَ بِنِعْمَتِهِ عَنْهُ، وَهُنَا يَكُونُ الْمَكْرُ إِلَيْهِ أَقْرَب؛ فَصَاحِبُ النِّعْمَةِ إِنْ لَمْ يَصْحَبْهُ حَذَرُ الْمَكْرِ: خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ تُسْلَبَ عَنْهُ النِّعْمَة!(٤)

* الْفَرَحُ مِنْ أَسْبَابِ الْمَكْرِ، مَا لَمْ يُقَارِنْهُ خَوْفٌ! ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤](٥).

---

(١) (٣/ ١٤٩).

(٢) انظر: (٣/ ١٥٢).

(٣) انظر: (٣/ ١٤٩).

(٤) انظر: (٣/ ١٠٦).

(٥) (٣/ ١٠٨).

المبحث التاسع والأربعون

الحُـــزْنُ

(١) حَقِيْقَةُ الحُزْن

❁ مَنْزِلَةُ الْحُزْنِ: لَيْسَتْ مِن الْمَنَازِلِ الْمَطْلُوبَةِ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنْ نُزُولِهَا، وَلَمْ يَأْتِ الْحُزْنُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مَنْهِيًّا عَنْهُ، أَوْ مَنْفِيًّا[١].

❁ الْحُزْنُ لَا مَصْلَحَةَ فِيهِ لِلْقَلْبِ، وَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ: أَنْ يَحْزَنَ الْعَبْدُ؛ لِيَقْطَعَهُ عَنْ سَيْرِهِ، وَيُوقِفَهُ عَنْ سُلُوكِهِ![٢].

(٢) حُزْنُ المُؤْمِن

❁ الْمُؤْمِنُ لَا يُبَاشِرُ المَعْصِيَةَ، إِلَّا وَالْحُزْنُ مُخَالِطٌ لِقَلْبِهِ، وَلَكِنَّ سُكْرَ الشَّهْوَةِ يَحْجِبُهُ عَنِ الشُّعُورِ بِهِ، وَمَتَىٰ خَلَّىٰ قَلْبَهُ مِنْ هَذَا الْحُزْنِ، فَلْيَتَّهِمْ إِيمَانَهُ، وَلْيَبْكِ عَلَىٰ مَوْتِ قَلْبِهِ![٣]

❁ الْحُزْنُ: مُصِيبَةٌ مِن الْمَصَائِبِ الَّتِي يَبْتَلِي اللهُ بِهَا عَبْدَهُ؛ فَإِذَا ابْتَلَىٰ بِهِ الْعَبْدَ فَصَبَرَ عَلَيْهِ؛ أَحَبَّ صَبْرَهُ عَلَىٰ بَلَائِهِ[٤].

❁ المُؤْمِنُ: يَنْسَىٰ المَكْرُوْهَات، وَيَطْمِسُ آثَارَهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا جَاءَتْ بِحُكْمِ الْمَقَادِيرِ فِي دَارِ الْمِحَنِ وَالْآفَاتِ[٥].

(١) انظر: (١/ ٥٠٠).

(٢) انظر: (١/ ٥٠١).

(٣) انظر: (١/ ١٩٨).

(٤) (١/ ٥٠٢).

(٥) انظر: (٣/ ٣٦١).

(٣) عِلَاجُ الحُزْن

❁ (الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، وَالرِّضَا بِهِ): يُذْهِبُ عَنِ الْعَبْدِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَالْحزَنَ، ويُفَرِّغُ قَلْبَ الْعَبْدِ؛ فَيَتَفَرَّغُ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ بِقَلْبٍ خَفِيفٍ مِنْ أَثْقَالِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا![1]

❁ **صَاحِبُ الْهِمَّةِ وَالْعَزِيمَةِ**: لَا يَصْرِفُ هِمَّتَهُ إِلَىٰ الحُزْنِ وَالخَوْفِ الشَّيْطَانِيِّ؛ فَإِذَا سَمِعَ مَا يَسُرُّهُ: اسْتَبْشَرَ، وَإِذَا سَمِعَ مَا يَسُوْؤُهُ: اسْتَعَاذَ بِاللهِ، وَلَجأَ إِلَيْهِ[2].

❁ **السُّخْطُ**: بَابُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ، وَشَتَاتِ الْقَلْبِ، وَالظَّنِّ بِاللهِ خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ. **وَالرِّضَا**: يُخَلِّصُهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَيَفْتَحُ لَهُ بَابَ جَنَّةِ الدُّنْيَا قَبْلَ جَنَّةِ الْآخِرَةِ![3]

❁ **الْمُؤْمِنُ**: يَتَغَافَلُ عَنِ الْمَكْرُوهَاتِ والأَحْزَانِ مَا أَمْكَنَهُ؛ فلَا يُوَسِّعُ دَوَائِرَهَا؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا وَسَّعَهَا اتَّسَعَتْ، وَلَوْ ضَيَّقَهَا بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا وَالتَّغَافُلِ؛ لَاضْمَحَلَّتْ وَتَلَاشَتْ[4].

❁ قَالَ لِي شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (**الْعَوَارِضُ وَالْمِحَنُ هِيَ: كَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْهُمَا؛ لَمْ يَغْضَبْ لِوُرُودِهِمَا، وَلَمْ يَغْتَمّ لِذَلِكَ وَلَمْ يَحْزَنْ!**)[5].

---

(١) (٢/ ٢١٣، ٢١٥).

(٢) انظر: (٢/ ٤٦١).

(٣) انظر: (٢/ ٢٠٠).

(٤) انظر: (٣/ ٣٦١).

(٥) (٣/ ٣٦١).

المبحث الخمسون

سَلامَةُ القَلْب

(١) حَقِيقَةُ سَلَامَةِ الْقَلْب

* **حَقِيقَةُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ**: أَنْ يَتَجَرَّدَ الْبَاطِنُ مِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ وَإِرَادَةٍ تُعَارِضُ أَمْرَ اللهِ، وَمِنْ كُلِّ إِرَادَةٍ تُعَارِضُ إِرَادَتَهُ، وَمِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبَرَهُ، وَمِنْ كُلِّ مَحَبَّةٍ تُزَاحِمُ مَحَبَّتَهُ[١].

* مَنْ تَخَلَّصَ مِن **الشُّبْهَةِ والشَّهْوَةِ**: هُوَ صَاحِبُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ: الَّذِي لَا يَنْجُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللهَ بِهِ![٢]

* **مِنْ سَلَامَةِ القَلْب**: طَهَارَتُهُ، وَنَزَاهَتُهُ مِن الْأَوْصَافِ الْمَذْمُومَةِ، وَالْإِرَادَاتِ السُّفْلِيَّةِ، وَخُلُوُّهُ وَتَفْرِيغُهُ مِن التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ[٣].

* الْقَلْبُ السَّلِيمُ (الَّذِي لَا يُفْلِحُ إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللهَ بِهِ): مَنْ سَلِمَ مِن الشُّبَهِ الْمُعَارِضَةِ لِخَبَرِهِ، وَالْإِرَادَاتِ الْمُعَارِضَةِ لِأَمْرِهِ، بَلْ يَنْقَادُ لِلْخَبَرِ: تَصْدِيقًا وَاسْتِيقَانًا، وَلِلطَّلَبِ: إِذْعَانًا وَامْتِثَالًا[٤].

(٢) أَسْبَابُ سَلَامَةِ القَلْب

* دَوَاءُ غِلِّ القَلْبِ، وَاسْتِخْرَاجُ أَخْلَاطِهِ: بِتَجْرِيدِ الْإِخْلَاصِ، وَالنُّصْحِ، وَمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ[٥].

---

(١) انظر: (٢/ ٦٨).

(٢) انظر: (٢/ ١٤٧).

(٣) انظر: (٣/ ٢٣٩).

(٤) انظر: (٣/ ٤٥٢).

(٥) انظر: (٢/ ٨٩).

* **الرِّضَا**: يَجْعَلُ القَلْبَ سَلِيمًا نَقِيًّا مِن الْغِشِّ وَالدَّغَلِ وَالْغِلِّ، وَلَا يَنْجُو مِنْ عَذَابِ اللهِ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩][1].

* تَسْتَحِيلُ سَلَامَةُ الْقَلْبِ مَعَ السُّخْطِ، وَعَدَمِ الرِّضَا! وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَشَدَّ رِضًا: كَانَ قَلْبُهُ أَسْلَمَ![2]

* سَلَامَةُ الْقَلْبِ وَبِرُّهُ وَنُصْحُهُ: قَرِينُ الرِّضَا، وَكَذَلِكَ الْحَسَدُ: هُوَ مِنْ ثَمَرَاتِ السُّخْطِ. وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنْهُ: مِنْ ثَمَرَاتِ الرِّضَا[3].

(٣) سَلَامَةُ القَلْبِ مِن الانْتِقَام

* مَنْ شَهِدَ مَشْهَدَ (**الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ**)، وَحَلَاوَتَهُ وَعِزَّتَهُ: لَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»[4]؛ كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَمَا عُلِمَ بِالتَّجْرِبَةِ، وَمَا انْتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا ذَلَّ![5]

* ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]: قَالَ الْحَسَنُ: (**عُلَمَاءُ حُلَمَاءُ**). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: (**أَصْحَابُ وَقَارٍ وَعِفَّةٍ، لا يَسْفَهُونَ، وَإِنْ سُفِهَ عَلَيْهِمْ: حَلُمُوا**)[6].

* **فِي الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ**: مِن الْحَلَاوَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ، وَشَرَفِ

(١) انظر: (٢/ ٢٠١).
(٢) (٢/ ٢٠١).
(٣) (٢/ ٢٠١).
(٤) رواه مسلم (٢٥٨٨).
(٥) انظر: (٢/ ٣٠٣).
(٦) (٢/ ٣١٠).

النَّفْسِ، وَعِزِّهَا؛ مَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ فِي الْمُقَابَلَةِ وَالِانْتِقَامِ![١]

❁ **الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ**؛ فإذا عَفَوْتَ عن إِسَاءَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَيْكَ، وَأَحْسَنْتَ إِلَيْهِ؛ فَهَكَذَا يَفْعَلُ اللهُ فِي إِسَاءَتِكَ: يُقَابِلُهَا بِمَا قَابَلْتَ بِهِ إِسَاءَةَ عَبْدِهِ إِلَيْكَ![٢]

❁ **مشْهَدُ السَّلَامَةِ وَبَرْدِ الْقَلْبِ**: مَشْهَدٌ شَرِيفٌ جِدًّا لِمَنْ عَرَفَهُ، وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ؛ وَهُوَ أَلَّا يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ بِمَا نَالَهُ مِن الْأَذَىٰ، وَطَلَبِ الْوُصُولِ إِلَىٰ طَلَبِ ثَأْرِهِ، وَشِفَاءِ نَفْسِهِ[٣].

❁ المُؤْمِنُ يُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنْ (الثَّأْرِ والِانْتِقَامِ)، وَيَرَىٰ أَنَّ سَلَامَتَهُ وَبَرْدَهُ وَخُلُوَّهُ مِنْهُ: أَنْفَعُ لَهُ، وَأَلَذُّ وَأَطْيَبُ، وَأَعْوَنُ عَلَىٰ مَصَالِحِهِ[٤].

❁ **مَنْ غَفَرَ وَلَمْ يَنْتَقِمْ**: أَمِنَ مِنْ تَوَلُّدِ الْعَدَاوَةِ أَوْ زِيَادَتِهَا؛ فلَا بُدَّ أَنَّ عَفْوَهُ وَصَفْحَهُ: يَكْسِرُ شَوْكَةَ عَدُوِّهِ، وَيَكُفُّ جَزَعَهُ، بِعَكْسِ الِانْتِقَامِ؛ وَالْوَاقِعُ شَاهِدٌ بِذَلِكَ![٥]

❁ **الْقَلْبُ إِذَا اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ**: فَاتَهُ مَا هُوَ أَهَمُّ؛ فَيَكُونُ مَغْبُونًا. وَالرَّشِيدُ لَا يَرْضَىٰ بِذَلِكَ، وَيَرَىٰ أَنَّهُ مِنْ تَصَرُّفَاتِ السَّفِيهِ! فَأَيْنَ سَلَامَةُ الْقَلْبِ: مِن امْتِلَائِهِ بِالْغِلِّ، وإِدْرَاكِ الِانْتِقَامِ؟![٦]

(٤) أَسْبَابُ سَلَامَةِ القَلْب

❁ **أَذَىٰ الْخَلْقِ لَكَ**: دَوَاءٌ يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْهُ دَاءُ الذُّنُوبِ؛ فهو كَالدَّوَاءِ الْكَرِيهِ، مِن الطَّبِيبِ الْمُشْفِقِ؛ فَلَا تَنْظُرْ إِلَىٰ مَرَارَةِ الدَّوَاءِ، وَانْظُرْ إِلَىٰ شَفَقَةِ الطَّبِيبِ![٧]

---

(١) انظر: (٢/ ٣٠٣).

(٢) انظر: (٢/ ٣٠٤).

(٣) انظر: (٢/ ٣٠٤).

(٤) انظر: (٢/ ٣٠٤).

(٥) انظر: (٢/ ٣٠٥).

(٦) انظر: (٢/ ٣٠٤).

(٧) انظر: (٢/ ٣٠٦).

* السَمَاحَةُ، وَطِيبَةُ النَفْسِ، وَانْشِرَاحُ الصَدْرِ؛ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَىٰ جِسْرِ (الْمُصَابَرَةِ وَالْكَظْمِ)![١]

* مَشْهَدُ الْإِحْسَانِ: أَرْفَعُ مِن العَفْو، وَهُوَ أَنْ يُقَابِلَ إِسَاءَةَ الْمُسِيءِ إِلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ؛ وَيُهَوِّنُ هَذَا عَلَيْهِ: عِلْمُهُ بِأَنَّهُ قَدْ رَبِحَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَدْ أَهْدَىٰ إِلَيْهِ حَسَنَاتِهِ، وَمَحَاهَا مِنْ صَحِيفَتِهِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ تَشْكُرَه![٢]

* نَافِسْ مَنْ حَسَدْتَهُ، فَذَلِكَ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ حَسَدِهِ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِلَالُ امْرِئٍ ... فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكْ
فَلَيْسَ عَلَىٰ الْجُودِ وَالْمَكْرُمَا ... تِ إِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكْ[٣]

---

(١) انظر: (٢/ ٣٢٩).

(٢) انظر: (٢/ ٣٠٤).

(٣) (٣/ ٤٨).

المبحث الحادي والخمسون

الحَــــياةُ

(١) أَسْبَابُ حَيَاةِ الْقَلْب

❋ الْحَيَاةُ حَيَاتَان: (١-حَيَاةُ الْأَبْدَانِ، ٢-وَحَيَاةُ الْأَرْوَاحِ). وَاللهُ يُحْيِي قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَأَرْوَاحهِمْ: بِإِكْرَامِهِ وَلُطْفِهِ[١].

❋ لَا حَيَاةَ لِلرُّوْحِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَّا فَهِيَ فِي جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ! وَلِهَذَا وَصَفَ اللهُ مَنْ عُدِمَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ؛ فَقَالَ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢][٢].

❋ الْمُتَقَرِّبُ إِلىٰ اللهِ (بِقَلْبِهِ وَرُوْحِهِ وَعَمَلِه)؛ يَفْتَحُ عَلَيْهِ رَبُّهُ بِحَيَاةٍ لَا تُشْبِهُ حَيَاةَ النَّاس![٣].

❋ سَمَّىٰ اللهُ وَحْيَهُ (رُوْحًا)؛ لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ (رُوْحٌ) تَحْصُلُ بِهِ الْحَيَاةُ، وَأَنَّهُ (نُورٌ) تَحْصُلُ بِهِ الْإِضَاءَةُ[٤].

❋ **حَيَاةُ الْقَلْبِ**: بِالْعِلْمِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْهِمَّةِ، وَدَوَامِ الذِّكْرِ، وَتَرْكِ الذُّنُوبِ![٥]

❋ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَنَعِيمُهُ، وَبَهْجَتُهُ، وَسُرُورُهُ: بِالْإِيمَانِ، وَمَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَحَبَّتِهِ،

---

(١) انظر: (٣/ ٢٨٠).

(٢) انظر: (٣/ ٢٤٢).

(٣) انظر: (٣/ ٢٥٦).

(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشوري:٥٢].
انظر: (٣/ ٢٤٣).

(٥) انظر: (٣/ ٧٢٤).

وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا حَيَاةَ أَطْيَبُ مِنْ حَيَاةِ صَاحِبِهَا، وَلَا نَعِيمَ فَوْقَ نَعِيمِهِ إِلَّا نَعِيمُ الْجَنَّةِ![1]

❁ سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: (**مَنْ وَاظَبَ عَلَىٰ «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» كُلَّ يَوْمٍ، بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، أَرْبَعِينَ مَرَّةً؛ أَحْيَىٰ اللهُ بِهَا قَلْبَه!**)[2].

❁ **حَيَاةُ الْقَلْبِ**: بِدَوَامِ الذِّكْرِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَتَرْكِ الذُّنُوبِ، وَالْغَفْلَةِ الْجَاثِمَةِ عَلَىٰ الْقَلْبِ، وَتَرْكِ التَّعَلُّقِ بِالرَّذَائِلِ وَالشَّهَوَاتِ[3].

❁ عَلَىٰ قَدْرِ حَيَاةِ الْقَلْبِ فِي الدُّنيا؛ يَكُونُ شَوْقُهُ وحِرْصُهُ عَلَىٰ الظَّفَرِ بِالحَيَاةِ الكَامِلَةِ فِي الآخِرَةِ[4].

(٢) حَيَاةُ الأَرْوَاحِ فِي الآخِرَةِ

❁ مِنْ مَرَاتِبِ الْحَيَاةِ: حَيَاةُ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا الْأَبْدَانَ، وَخَلَاصِهَا مِنْ هَذَا السِّجْنِ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ فَضَاءً وَرَاحَةً، ونِسْبَةُ هَذِهِ الدَّارِ إِلَيْهِ: كَنِسْبَةِ بَطْنِ الْأُمِّ إِلَىٰ هَذِهِ الدَّارِ![5]

❁ يَكْفِي فِي طِيبِ الْحَيَاةِ الآخِرَةِ: **مُرَافَقَةُ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ، وَمُفَارَقَةُ الرَّفِيقِ الْمُؤْذِي الْمُنَكِّدِ!**[6]

---

(١) (٣/ ٢٤٣).

(٢) (٣/ ٢٤٨).

(٣) انظر: (٣/ ٢٤٨).

(٤) انظر: (٣/ ٢٦٤).

(٥) انظر: (٣/ ٢٥٧).

(٦) انظر: (٣/ ٢٥٧).

* لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي (الْمَوْتِ) مِن الْخَيْرِ؛ إِلَّا أَنَّهُ بَابُ الدُّخُولِ إِلَىٰ الْحَيَاةِ الآخِرَة، وَجِسْرٌ يُعْبَرُ مِنْهُ إِلَيْهَا: لَكَفَىٰ بِهِ تُحْفَةً لِلْمُؤْمِنِ![1].

* **حَيَاةُ الصالحينَ في البَرْزَخ؛ أَكْمَلُ مِنْ حَيَاتِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَأَتَمُّ وَأَطْيَبُ**؛ وَإِنْ كَانَتْ أَجْسَادُهُمْ مُتَلَاشِيَةً، وَلُحُومُهُمْ مُتَمَزِّقَةً، وَأَوْصَالُهُمْ مُتَفَرِّقَةً، وَعِظَامُهُمْ نَخِرَةً![2].

* إِذَا كَانَتْ حَيَاةُ (أَهْلِ الإِيمَانِ) فِي هَذِهِ الدَّارِ: حَيَاةً طَيِّبَةً؛ فَمَا الظَّنُّ بِحَيَاتِهِمْ فِي الْبَرْزَخِ، وَقَدْ تَخَلَّصُوا مِنْ سِجْنِ الدُّنْيَا وَضِيقِهَا؟! وما الظَّنُّ بِحَيَاتِهِمْ فِي دَارِ النَّعِيمِ الَّذِي لَا يَزُولُ؟![3].

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]. وَإِذَا كَانَ **الشُّهَدَاءُ** إِنَّمَا نَالُوا هَذِهِ الْحَيَاةَ بِمُتَابَعَةِ الرُّسُلِ؛ فَمَا الظَّنُّ بِحَيَاةِ **الرُّسُلِ** فِي الْبَرْزَخِ؟![4].

(٣) عَلَامَاتُ مَوْتِ القَلْب

* قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**أَتَدْرُونَ مَنْ مَيِّتُ الْقَلْبِ؟**) قَالُوا: (وَمَنْ هُوَ؟)، قَالَ: (**الَّذِي لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا!**)[5].

* **الرَّجُلُ**: هُوَ الَّذِي يَخَافُ مَوْتَ قَلْبِهِ، لَا مَوْتَ بَدَنِهِ، إِذْ أَكْثَرُ الْخَلْقِ يَخَافُونَ مَوْتَ أَبْدَانِهِمْ، وَلَا يُبَالُونَ بِمَوْتِ قُلُوبِهِمْ، وَلَا يَعْرِفُونَ مِن الْحَيَاةِ إِلَّا الْحَيَاةَ الطَّبِيعِيَّةَ،

---

(١) انظر: (٣/ ٢٥٧).

(٢) انظر: (٣/ ٢٦٤).

(٣) انظر: (٣/ ٢٦٥).

(٤) انظر: (٣/ ٢٦٤).

(٥) انظر: (٣/ ٢٤٨).

وَذَلِكَ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ![١]

(٤) أَسْبَابُ مَوْتِ القَلْب

* **قُرَّةُ الْعَيْنِ بِاللهِ**: أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الحَيَاة، وَلَكِنْ كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهَا مَنْ دِينُهُ مُسْتَهْلَكٌ بِالْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ، وَهِمَّتُهُ وَاقِفَةٌ مَعَ السُّفْلِيَّاتِ، وَعَقِيدَتُهُ غَيْرُ مُتَلَقَّاةٍ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّاتِ![٢]

* **الْوَحْيُ**: حَيَاةُ الرُّوحِ، وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الرُّوحَ؛ فَقَدَ الْحَيَاةَ النَّافِعَةَ في الدنيا والآخرة؛ **فَفِي الدُّنْيَا**: حَيَاتُهُ حَيَاةُ الْبَهَائِمِ، وَلَهُ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ. **وَفِي الْآخِرَةِ**: لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ[٣].

* رَأَيْتُ الذُّنوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا[٤]

---

(١) انظر: (٣/ ٢٤٨).

(٢) انظر: (٣/ ٢٥٠).

(٣) انظر: (٣/ ٢٤٣).

(٤) (٣/ ٢٤٧).

المبحث الثاني والخمسون

قُـوَّةُ القَـلْب

(١) حَقِيْقَةُ قُوَّةِ القَلْب

* **الْقُوَّةُ الْعَاقِلَةُ**: مَحَلُّهَا الْقَلْبُ، وَنِسْبَتُهَا إِلَىٰ الْقَلْبِ: كَنِسْبَةِ الْقُوَّةِ الْبَاصِرَةِ وَالسَّامِعَةِ إِلَىٰ الْعَيْنِ والْأُذُنِ، وَلِهَذَا تُسَمَّىٰ تِلْكَ الْقُوَّةُ (قَلْبًا): كَمَا تُسَمَّىٰ الْقُوَّةُ الْبَاصِرَةُ (بَصَرًا)[١].

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]، وَلَمْ يُرِدْ شَكْلَ الْقَلْبِ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ أَحدٍ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْقُوَّةَ وَالْغَرِيزَةَ الْمُودعَةَ فِيهِ[٢].

* اللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ فَاوَتَ بَيْنَ **قُوَىٰ الْقُلُوبِ**، أَشَدّ مِنْ تَفَاوُتِ **قُوَىٰ الْأَبْدَانِ!**[٣]

* **الرَّبْطُ عَلَىٰ الْقَلْبِ**: شَدُّهُ بِرِبَاطِ التَّوْفِيقِ؛ فَيَتَّصِلُ بِذِكْرِ رَبِّهِ، وَيَتَّبِعُ مَرْضَاتَهُ، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ شَمْلُهُ. **والْخِذْلانُ**: حَلّهُ مِنْ رِبَاطِ التَّوْفِيقِ، فَيَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ، وَيَصِيرُ أَمْرُهُ فُرُطًا[٤].

(٢) فَوَائِدُ قُوَّةِ القَلْب

* **قُوَّةُ القَلْب**: تُوجِبُ لَهُ الصِّدْقَ، وَصِحَّةَ الْمَعْرِفَةِ، وَقَهْرَ دَاعِي الْغَيِّ وَالْعَنَتِ، وَضَبْط النَّفْسِ عَنْ جَزَعِهَا وَهَلَعِهَا، وَاسْتِرْسَالِهَا فِي النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ[٥].

---

(١) انظر: (٣/ ٢٣٢).

(٢) (٣/ ٢٣٢).

(٣) (٢/ ٤٨٥).

(٤) انظر: (٣/ ٦٨).

(٥) انظر: (٢/ ٤٧٥).

❁ تَنَوَّعَتْ طُرُقُ السَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ: **فَمِنْهُمْ**: مَنْ سَيْرُهُ بِجَوَارِحِهِ أَغْلَبَ. **وَمِنْهُمْ**: مَنْ سَيْرُهُ بِقَلْبِهِ أَغْلَبُ. **وَمِنْهُمْ** -وَهُمُ الْأَقْوِيَاءُ- مَنْ يُعْطِي كُلَّ مَرْتَبَةٍ حَقَّهَا؛ فَيَسِيرُ بِجَوَارِحِهِ وَقَلْبِهِ[١].

❁ إِذَا صَلَحَ الْقَلْبُ؛ وَقَوِيَ أَمْرُهُ: فَإِنَّهُ يَسِيرُ إِلَىٰ رَبِّهِ أَسْرَعَ مِنْ سَيْرِ الرِّيَاحِ فِي مَهَابِّهَا؛ فَلَا يَلْتَفِتُ فِي طَرِيقِهِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا[٢].

(٣) أَسْبَابُ قُوَّةِ الْقَلْب

❁ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف:١٤]: **الرَّبْطُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ**: يَتَضَمَّنُ الشَّدَّ عَلَيْهَا بِالصَّبْرِ وَالتَّثْبِيتِ، وَتَقْوِيَتَهَا وَتَأْيِيدَهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ[٣].

(٤) ضَعْفُ الْقَلْب

❁ **كَثْرَةُ الْخُلْطَةِ**: تَمْلأُ الْقَلْبَ مِنْ دُخَانِ أَنْفَاسِ بَنِي آدَمَ؛ حَتَّىٰ يَسْوَدَّ، وَتُوجِبُ لَهُ: تَشَتُّتًا، وَتَفَرُّقًا، وَهَمًّا، وَغَمًّا، وَضَعْفًا[٤].

❁ **الْمُؤْمِنُ يَتَدَارَكُ قُوَّتَهُ**: بِبَذْلِهَا فِي الطَّاعَةِ قَبْلَ الضَّعْفِ، وَيَتَدَارَكُ قُوَىٰ الْعَمَلِ الَّذِي لَحِقَهُ الْفُتُورُ: بِأَنْ يَكْسُوَهُ قُوَّةً وَنَشَاطًا[٥].

❁ مَنْ لَمْ يَرُدَّهُ اللهُ **بِتَثْبِيتٍ وَقُوَّةٍ**، وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَىٰ مُخَالَطَةِ النَّاسِ![٦]

---

(١) انظر: (٣/ ١١٤-١١٥).

(٢) انظر: (٣/ ٢٣٧).

(٣) انظر: (٣/ ٦٨).

(٤) انظر: (١/ ٤٥٢).

(٥) انظر: (٣/ ٤٩).

(٦) انظر: (٣/ ٦١).

المبحث الثالث والخمسون

الزُّهْـــدُ

(١) حَقِيقَةُ الزُّهْد

* الزُّهْدُ: جَامِعٌ لِمَقَامِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ؛ فلَا يَكُونُ زَاهِدًا: مَنْ لَمْ يَرْغَبْ فِيمَا يَرْجُو نَفْعَهُ، وَيَرْهَبْ مِمَّا يَخَافُ ضَرَرَهُ[١].

* الزُّهْدُ: هُوَ تَخَلِّي **الْقَلْب** عَنْ الدنيا، لَا خُلُوُّ **الْيَدِ** مِنْهَا؛ فَإِنَّ الزُّهْدَ: زُهْدُ الْقَلْبِ، لَا زُهْدُ التَّرْكِ مِن الْيَدِ[٢].

* الْأَصْلُ: هُوَ قَطْعُ عَلَائِقِ الْبَاطِنِ؛ فَمَتَىٰ قَطَعَهَا: لَمْ تَضُرَّهُ عَلَائِقُ الظَّاهِرِ، فَمَتَىٰ كَانَ الْمَالُ فِي يَدِكَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ: لَمْ يَضُرَّكَ وَلَوْ كَثُرَ، وَمَتَىٰ كَانَ فِي قَلْبِكَ: ضَرَّكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِكَ مِنْهُ شَيْءٌ![٣]

* قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (**الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا: قِصَرُ الْأَمَلِ**)، وسُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ؛ هَلْ يَكُونُ زَاهِدًا؟ فَقَالَ: (**نَعَمْ؛ عَلَىٰ شَرِيطَةِ أَنْ لا يَفْرَحَ إِذَا زَادَتْ، وَلَا يَحْزَنَ إِذَا نَقَصَتْ!**)[٤].

* قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (**الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا: قِصَرُ الْأَمَلِ، لَيْسَ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ، وَلَا**

---

(١) انظر: (١/ ١٥٦).

(٢) انظر: (٢/ ٢٠-٢١).

(٣) (١/ ٤٦٣).

(٤) (٢/ ١٣).

لُبْسِ الْعَبَاءِ)[١]. وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ أَزْهَدَ الْأُمَّةِ، مَعَ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِن الْأَمْوَالِ![٢]

❁ الزُّهْدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣]: فَالزَّاهِدُ لَا يَفْرَحُ مِن الدُّنْيَا بِمَوْجُودٍ، وَلَا يَأْسَفُ مِنْهَا عَلَىٰ مَفْقُودٍ[٣].

❁ الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعَارِفُونَ: أَنَّ الزُّهْدَ سَفَرُ الْقَلْبِ مِنْ وَطَنِ الدُّنْيَا، وَأَخْذُهُ فِي مَنَازِلِ الْآخِرَةِ[٤].

❁ قال الْحَسَنُ: **(لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ؛ وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ: أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ، أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ لَمْ تُصِبْكَ)**[٥].

❁ المؤْمِنُ: يُحَارِبُ الدُّنْيَا بِالزُّهْدِ فِيهَا، وَإِخْرَاجِهَا مِنْ قَلْبِهِ، وَلَا يَضُرُّهُ أَنْ تَكُونَ فِي يَدِهِ وَبَيْتِهِ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ يَقِينِهِ بِالْآخِرَةِ[٦].

(٢) عَلَامَاتُ الزُّهْد

❁ الزَّاهِدُونَ فِي الدنيا: يَرَوْنَهَا مُوحِشَةً لَهُمْ؛ لِأَنَّهَا تَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَطْلُوبِهِمْ وَمَحْبُوبِهِمْ[٧].

---

(١) (٢/ ١٢).

(٢) (١/ ٤٦٣).

(٣) (٢/ ١٢).

(٤) (٢/ ١٥).

(٥) (٢/ ١٦).

(٦) انظر: (٣/ ٢١٢).

(٧) انظر: (٣/ ٦).

❁ (الصَّالِحُونَ): غُرَبَاءُ فِي النَّاسِ. وَ(الزَّاهِدُونَ): غُرَبَاءُ فِي الصَّالِحِينَ![1]

❁ قِيلَ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: أَيَكُونُ ذُو الْمَالِ زَاهِدًا؟ قَالَ: (**نَعَمْ، إِنْ كَانَ إِذَا زِيدَ فِي مَالِهِ: شَكَرَ، وَإِنْ نَقَصَ: شَكَرَ وَصَبَرَ**)[2].

❁ قَالَ الْحَسَنُ: (**الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ: لا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا، وَلا يُنَافِسُ فِي عِزِّهَا، لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ، النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي تَعَبٍ**)[3].

❁ الزَّاهِدُونَ فِي الدُّنيا: إِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا **بِالْبَصَائِرِ**. وَالرَّاغِبُونَ: يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا **بِالْأَبْصَارِ**؛ فَيَسْتَوْحِشُ الزَّاهِدُ مِمَّا يَأْنَسُ بِهِ الرَّاغِبُ![4]

❁ مَنْ قامَ بِقَلْبِهِ **شَاهِدُ الْآخِرَةِ**: انْجَذَبَ إِلَيْهَا بِكُلِّيَّتِهِ، وَزَهِدَ فِي التَّعَلُّقَاتِ الْفَانِيَةِ، وَدْأَبَ فِي تَصْحِيحِ التَّوْبَةِ، وَالْقِيَامِ بِالْمَأْمُورَاتِ، وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ[5].

❁ **إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا**: أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا يُعَايِنُ بِهِ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَيُؤْثِرُ مِنْهُمَا مَا هُوَ أَوْلَىٰ بِالْإِيثَارِ[6].

❁ **الْأَنْبِيَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ**: أَهْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا حَقًّا؛ فَهُمْ فيها زَاهِدُونَ، وَإِنْ كَانُوا لَهَا مُبَاشِرِينَ[7].

---

(١) (٣/ ١٩٥).

(٢) (١/ ٤٦٣).

(٣) (٣/ ١٨٧).

(٤) انظر: (٣/ ٦).

(٥) انظر: (٣/ ٢٥١).

(٦) (٢/ ١٢).

(٧) انظر: (٢/ ٢٠-٢١).

(٣) أَسْبَابُ الزُّهْد

* إِذَا خَلَا الْقَلْبُ مِن الِاهْتِمَامِ بِالدُّنْيَا، وَتَعَلَّقَ بِالْآخِرَةِ، وتأَهَّبَ لِلْقُدُومِ عَلَىٰ اللهِ؛ فَذَلِكَ أَوَّلُ فُتُوحِهِ، وَتَبَاشِير فَجْرِهِ[١].

* مَنْ حَدَّقَ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: عَلِمَ أَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهِ، فِي جَنْبِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ: أَقَلّ مِنْ ذَرَّةٍ فِي جَنْبِ جِبَالِ الدُّنْيَا![٢]

* قَدْ يَحُولُ اللهُ بَيْنَ عَبْدِهِ وَبَيْنَ الدُّنْيَا واسْتِيفَائِهَا؛ حَتَّىٰ لَا يَرْكَنَ إِلَيْهَا وَيُسَاكِنَهَا؛ وَكَذَلِكَ يَسُدُّ عَنْهُ طُرُقَ الْمَعَاصِي، فَإِنَّهَا طُرُقُ الْمَعَاطِبِ -وَإِنْ كَانَ كَارِهًا-: عِنَايَةً بِهِ، وَصِيَانَةً لَهُ[٣].

* **الْمَوْتُ**: تَسَاوَىٰ فِيهِ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ، وَالْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ، وَصَارُوا جَمِيعًا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَىٰ، ولكن اخْتَلَفُوا فِي الْعَاقِبَةِ![٤]

* ما كانَ لكَ مِن **الرِّزْق**: سَوْفَ يَأْتِيكَ علىٰ ضَعْفِك، وما كانَ لِغَيرِكَ: لَنْ تَنَالَهُ بِقُوَّتِكَ![٥]

* قَالَ ابْنُ الْجَلَاءِ: (**الزُّهْدُ: هُوَ النَّظَرُ إِلَىٰ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الزَّوَالِ، فَتَصْغُرُ فِي عَيْنَيْكَ؛ فَيَسْهُلُ عَلَيْكَ الْإِعْرَاضُ عَنْهَا**)[٦].

---

(١) انظر: (٣/ ٣٥٢).

(٢) انظر: (٣/ ٩٣).

(٣) انظر: (٢/ ٤٢٥).

(٤) انظر: (٣/ ٢٥٩).

(٥) قال ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنَّ نَفْسًا لَنْ تموتَ؛ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا**». رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٦) (٢/ ١٢).

* قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا الَّذِي زَهَّدَكَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: (**قِلَّةُ وَفَائِهَا، وَكَثْرَةُ جَفَائِهَا، وَخِسَّةُ شُرَكَائِهَا**)(١).

* **أَوَّلُ شَوَاهِدِ السَّائِرِ إِلَىٰ اللهِ**: أَنْ يَقُومَ بِهِ شَاهِدٌ مِن الدُّنْيَا وَحَقَارَتِهَا، وَقِلَّةِ وَفَائِهَا، وَكَثْرَةِ جَفَائِهَا، وَخِسَّةِ شُرَكَائِهَا، وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا(٢).

* **الزَّاهِدُ فِي الدُّنيا**: يَرَىٰ عُشَّاقَهَا صَرْعَىٰ حَوْلَهَا، قَدْ عَذَّبَتْهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَأَذَاقَتْهُمْ أَمَرَّ الشَّرَابِ، سَقَتْهُمْ كُؤُوسَ سُمِّهَا، بَعْدَ كُؤُوسِ خَمْرِهَا؛ فَسَكِرُوا بِحُبِّهَا، وَمَاتُوا بِهَجْرِهَا!(٣)

* قَامَتْ شَوَاهِدُ الآخِرَةِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ حَتَّىٰ صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْعِيانِ، فَفَرَّتْ نُفُوسُهُمْ مِنْ هَذَا الظِّلِّ الزَّائِلِ، وَالْعَيْشِ الْفَانِي الْمَشُوبِ بِالتَّنْغِيصِ(٤).

* **مَنْ سَافَرَ إِلَىٰ الجَنَّةِ**: صَبَرَ فِي طَرِيقِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَشَقَّةٍ، وَوَاصَلَ السَّيْرَ بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ، وَمَا هَذَا وَاللهِ بِالصَّعْبِ، مَعَ هَذَا الْعُمُرِ الْقَصِيرِ، الَّذِي هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ تِلْكَ الدَّارِ؛ كَسَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ!(٥)

* **النَّاظِرُ فِي الْأَشْيَاءِ**: يَبْعَثُهُ عَلَىٰ تَمْيِيزِ مَرَاتِبِهَا، وَبَاقِيها مِنْ فَانِيهَا، وَقِشْرِهَا مِنْ لُبِّهَا، فَيَعْرِفُ حِينَئِذٍ أَنَّ الدُّنْيَا قِشْرُهُ، وَالْآخِرَةَ لُبُّهُ، وَأَنَّ الدُّنْيَا مَعْبَرٌ وَمَمَرٌّ، وَالْآخِرَةَ دَارُ مُسْتَقَرٍّ(٦).

---

(١) (٢/ ١٩).

(٢) (٣/ ٢٣٥).

(٣) انظر: (٣/ ٢٣٥).

(٤) انظر: (٣/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٥) انظر: (٣/ ٢٥٨).

(٦) انظر: (٣/ ٢٦٠).

❁ **مَنْ عَرَفَ أَنَّ الدُّنْيَا مَمَرٌّ**: كَانَ حَرِيًّا بِتَهْيِئَةِ الزَّادِ لِقَرَارِهِ، وَيَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ لَمْ يَنْشَأْ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِلِاسْتِيطَانِ وَالْخُلُودِ، وَلَكِنْ لِلْجَوَازِ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ، هُوَ الْمَنْزِلُ وَالْمُتَبَوَّأُ[1].

❁ **الْإِنْسَانُ دُعِيَ إِلَىٰ الْآخِرَةِ** بِكُلِّ شَرِيعَةٍ، وَعَلَىٰ لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ، وَبِكُلِّ إِشَارَةٍ وَدَلِيلٍ، وَنُبِّهَ عَلَيْهِ بِنَشْأَتِهِ الْأُولَىٰ، بِحَيْثُ أُزِيلَتْ عَنْهُ الشُّبْهَةُ، وَأُقِيمَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ[2].

❁ اسْتَبَانَ لِذِي الْعَقْلِ والفِطْرَةِ: أَنَّ **الِانْتِقَالَ عَنْ الدنيا ضَرُورِيٌّ**، وَأَنَّ لَهُ مَحَلًّا آخَرَ؛ لِأَجْلِهِ قَدْ خُلِقَ؛ فَمَصِيرُهُ إِلَيْهِ، وَقُدُومُهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ دَارَهُ هَذِهِ مَنْزِلُ عُبُورٍ![3]

❁ مَنْ نَظَرَ فِي الْمَوْجُودَاتِ: وَجَدَهَا دَالَّةً عَلَىٰ أَنَّ وَرَاءَ هَذِهِ الْحَيَاةِ: حَياة أُخْرَىٰ أَكْمَل مِنْهَا، وَأَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا: كَالْمَنَامِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْيَقَظَةِ، وَكَالظِّلِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الشَّخْصِ[4].

❁ مَن امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّةِ اللهِ وَتَعْظِيمِهِ؛ لَا يَرَىٰ أَنَّ مَا تَرَكَهُ لِأَجْلِهِ مِن الدُّنْيَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجْعَلَ قُرْبَانًا، ولَا يَرَىٰ زُهْدَهُ فِيهَا أَمْرًا يُعْتَدُّ بِهِ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ![5]

❁ **حَيَّ عَلَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ... مَنَازِلُكَ الْأُولَىٰ وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ**
وَلَكِنَّنَا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَىٰ ... نَعُودُ إِلَىٰ أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ[6]

---

(١) انظر: (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: (٣/ ٢٦٠).

(٣) انظر: (٣/ ٢٦١).

(٤) انظر: (٣/ ٢٦١).

(٥) انظر: (٢/ ٢١).

(٦) (٣/ ١٩٠).

(٤) أَنْوَاعُ الزُّهْد

❁ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد: «**الزُّهْدُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: الْأَوَّلُ: تَرْكُ الْحَرَامِ: وَهُوَ زُهْدُ الْعَوَامِّ. وَالثَّانِي: تَرْكُ الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ: وَهُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ. وَالثَّالِثُ: تَرْكُ مَا يُشْغِلُ عَنِ اللهِ: وَهُوَ زُهْدُ الْعَارِفِينَ**»[١].

❁ **الزُّهْدُ فِي الحَلَال**: إِنْ شَغَلَهُ عَنِ اللهِ؛ فَالزُّهْدُ فِيه أَفْضَلُ، وَإِنْ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنِ اللهِ؛ فَحَالُهُ أَفْضَلُ. وَالزُّهْدُ فِيه: تَجْرِيدُ الْقَلْبِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِه، وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْه[٢].

(٥) أَسْرَارُ الزُّهْد

❁ مِنْ دَقَائِق فِقْهِ الزُّهْدِ فِي الدُّنيا: أَنْ يَكُونَ زَاهِدًا فِي حَالِ أَخْذِهِ لها، كَمَا هُوَ زَاهِدٌ فِي حَالِ تَرْكِهِ؛ لِصِغَرِها فِي عَيْنِه![٣]

❁ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ: «**الزُّهْدُ فِي الرِّيَاسَةِ؛ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لِأَنَّهُمَا يُبْذَلَانِ فِي طَلَبِ الرِّيَاسَةِ**»[٤].

(٦) حَقِيْقَةُ الدُّنْيا

❁ الْحَيَاةُ الطَّبِيعِيَّةُ: شَبِيهَةٌ بِالظِّلِّ الزَّائِلِ، وَالنَّبَاتِ السَّرِيعِ الْجَفَافِ، وَالْمَنَامِ الَّذِي يُخَيَّلُ كَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ عَرَفَ أَنَّهُ كَانَ خَيَالًا![٥].

❁ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «**لَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا: أُوتِيَهَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَوْتُ: لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَأَىٰ فِي مَنَامِهِ مَا يَسُرُّهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ؛**

(١) (٢/ ١٣).

(٢) انظر: (٢/ ١٧).

(٣) انظر: (٢/ ٢١).

(٤) (٢/ ٢٤).

(٥) (٣/ ٢٤٨).

فَإِذَا لَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ!)(١).

* الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ **غَرِيب**، وَهُوَ عَلَىٰ جَنَاحِ سَفَرٍ، لَا يَحِلُّ عَنْ رَاحِلَتِهِ إِلَّا بَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ؟ فَهُوَ مُسَافِرٌ فِي صُورَةِ قَاعِدٍ!(٢)

* النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ **غُرَبَاءُ**؛ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارِ مَقَامٍ، وَلَا هِيَ الدَّارُ الَّتِي خُلِقُوا لَهَا(٣).

(٧) حَقِيْقَةُ الآخِرَة

* مَنْ تَرَحَّلَ قَلْبُهُ عَنْ الدُّنيا: قَامَ بِقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِن الْآخِرَةِ وَدَوَامِهَا، وَأَنَّهَا هِيَ الْحَيَوَانُ حَقًّا، فَأَهْلُهَا لَا يَرْتَحِلُونَ مِنْهَا، بَلْ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، وَمَحَطُّ الرِّجَالِ، وَمُنْتَهَىٰ السَّيْرِ(٤).

* الِاجْتِهَادُ فِي هَذَا الْعُمْرِ الْقَصِيرِ؛ إِنَّمَا هُوَ لِلْحَيَاةِ الآخِرَةِ، وَهِيَ (يَقَظَةٌ)، وَمَا قَبْلَهَا مِن الْحَيَاةِ (نَوْمٌ)!(٥)

* **الْحَيَاةُ الآخِرَة**: جَامِعَةٌ بَيْنَ فَقْدِ الْمَكْرُوهِ، وَحُصُولِ الْمَحْبُوبِ؛ حَيْثُ الطُّمَأْنِينَةُ وَالرَّاحَةُ! وَالنَّفْسُ لِإِلْفِهَا لِسِجْنِ الدُّنيا النَّكِدِ؛ تَسْتَوْحِشُ إِذَا اسْتَشْعَرَتْ مُفَارَقَتَهُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْبَلَدِ!(٦)

* **الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ** بَعْدَ طَيِّ هَذَا الْعَالَمِ فِي (دَارِ الْحَيَوَانِ)، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا الْمُشَمِّرُونَ، وَنَادَت الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ وَالرُّسُلُ عَلَيْهَا، **وَالْحَيَاةُ الْدنيا**: كَالنَّوْمِ

(١) (٣/ ٢٤٨).

(٢) (٣/ ١٩٠).

(٣) (٣/ ١٩٠).

(٤) انظر: (٣/ ٢٣٥).

(٥) انظر: (٣/ ٢٥٧).

(٦) انظر: (٣/ ٢٥٧).

بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا![1]

❁ تنفَّست الْآخِرَةُ؛ فَكَانَتِ الدُّنْيَا نَفَسًا مِنْ أَنْفَاسِهَا: فَأَصَابَ أَهْلُ السَّعَادَةِ نَفَس نَعِيمِهَا؛ فَهُمْ عَلَىٰ هَذَا النَّفَسِ يَعْمَلُونَ، وَأَصَابَ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ نَفَس عَذَابِهَا؛ فَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ النَّفَسِ يَعْمَلُونَ[2].

(٨) مُعَوِّقَاتُ الزُّهْد

❁ **سُكْرُ الْحِرْصِ**؛ يَنْشَأُ مِنْ شِدَّةِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَعَدَمِ الزُّهْدِ فِيهَا. وَالْحَرِيصُ عَلَيْهَا: سَكْرَانُ فِي صُورَةِ صَاحٍ![3]

❁ الْحِرْصُ عَلَىٰ الدُّنْيَا: رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَأَسَاسُ كُلِّ رَزِيَّةٍ![4]

❁ النَّاسُ مَفْتُونُونَ مُمْتَحَنُونَ **بِمَا يَفْنَىٰ** مِن الْمَالِ وَالصُّوَرِ وَالرِّيَاسَةِ، مُعَذَّبُونَ بِذَلِكَ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَحَالَ حُصُولِهِ، وَبَعْدَ حُصُولِهِ[5].

❁ مَا أَشَدَّ غَبْنَ مَنْ بَاعَ أَطْيَبَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمَ؛ بِالْحَيَاةِ الْمُنَغَّصَةِ الْمُنَكَّدَةِ، الْمُتَّصِلَةِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْمُدَّةُ: سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، أَوْ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ، فِيهِ رِبْحُ الْأَبَدِ أَوْ خَسَارَةُ الْأَبَدِ![6]

❁ **الرَّغْبَةُ فِي الدُّنيا وَحْشَةٌ**؛ لِأَنَّهَا وَأَهْلَهَا تُوحِشُ قُلُوبَ الرَّاغِبِينَ فِيهَا: فَأَرْوَاحُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ أَجْسَامِهِمْ، إِذْ فَاتَهَا مَا خُلِقَتْ لَهُ؛ فَهِيَ فِي وَحْشَةٍ لِفَوَاتِهِ[7].

---

(١) انظر: (٣/ ٢٦٤-٢٦٥).

(٢) (٣/ ٢٦٥).

(٣) (٣/ ٢٩٤).

(٤) انظر: (٢/ ٢٠٢).

(٥) (٣/ ٣٥٤).

(٦) انظر: (٣/ ٣٠٨).

(٧) انظر: (٣/ ٦).

المبحث الرابع والخمسون

الـــوَرَعُ

(١) حَقِيقَةُ الوَرَع

❁ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَرَعَ كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَقَالَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[١]: فَهَذَا يَعُمُّ التَّرْكَ لِمَا لاَ يَعْنِي مِن سَائِرِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ[٢].

❁ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (**مَا رَأَيْتُ أَسْهَلَ مِن الْوَرَعِ؛ مَا حَاكَ فِي نَفْسِك فَاتْرُكْهُ!**)[٣].

❁ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: (**الْوَرَعُ: تَرْكُ كُلِّ شُبْهَةٍ**)[٤]. وقيل: (**الْوَرَعُ: أَنْ يُتَوَرَّعَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ**). وقيل: (**الْوَرَعُ: الْخُرُوجُ مِن الشَّهَوَاتِ، وَتَرْكُ السَّيِّئَاتِ**)[٥].

❁ قَالَ بَعْضُهُمْ: (**الْوَرَعُ: الْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ، وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ**)[٦].

(٢) أَهَمِّيَّةُ الوَرَع

❁ سَأَلَ الْحَسَنُ غُلَامًا؛ فَقَالَ لَهُ: (**مَا مِلَاكُ الدِّينِ؟**)، قَالَ: (**الْوَرَعُ**)، قَالَ: (**فَمَا آفَتُهُ؟**)، قَالَ: (**الطَّمَعُ!**)؛ فَعَجِبَ الْحَسَنُ مِنْهُ[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧، ٢٣١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وأعلّه الترمذي، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢٢٠)، والدارقطني في «العلل» (٣١٠، ١٣٨٩). وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩١١).

(٢) انظر: (٢/ ٢٣).

(٣) (٢/ ٢٥).

(٤) (٢/ ٢٤).

(٥) (٢/ ٢٤).

(٦) (٢/ ٢٤).

(٧) (٢/ ٢٥).

* قَالَ الْحَسَنُ: (**مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن الْوَرَعِ؛ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مِثْقَالٍ مِن الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ**)[١].

* قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: (**كُنَّا نَدَعُ سَبْعِينَ بَابًا مِن الْحَلَالِ؛ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِن الْحَرَامِ**)[٢].

(٣) أَنْوَاعُ الوَرَع

* **دَرَجَاتُ الْوَرَع**: ١- تَجَنُّبُ الْقَبَائِحِ ٢- وتَرْكُ ما لَا بَأْسَ بِهِ مِن الْمُبَاحِ؛ صِيَانَةً للنفس ٣- والتَّوَرُّعُ عَنْ كُلِّ ما يشَتِّتُ الْوَقْتَ والقَلْبَ[٣].

* الْوَرَعُ فِي (الْمَنْطِقِ)؛ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ[٤].

(٤) فَوَائِدُ الوَرَع

* الْوَرَعُ: يُطَهِّرُ دَنَسَ الْقَلْبِ وَنَجَاسَتَهُ، كَمَا يُطَهِّرُ الْمَاءُ دَنَسَ الثَّوْبِ وَنَجَاسَتَهُ[٥].

* الْوَرَعُ: يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ قُرْبَانِ حُدُوْدِ اللهِ وَتَعَدِّيْها[٦].

* قَالَ بَعْضُ السَّلَف: (**لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَىٰ، حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ**)[٧].

---

(١) (٢/ ٢٥).

(٢) (٢/ ٢٥).

(٣) انظر: (٢/ ٢٥).

(٤) (٢/ ٢٤).

(٥) (٢/ ٢٣).

(٦) قال ابنُ القيِّم: (فَإِنَّ الْحُدُودَ يُرَادُ بِهَا: أَوَاخِرُ الْحَلَالِ، وَحَيْثُ نَهَىٰ اللهُ عَنِ الْقُرْبَانِ؛ فَالْحُدُودُ هُنَاكَ: أَوَائِلُ الْحَرَامِ؛ أي: لَا تَتَعَدُّوا مَا أَبَحْتُ لَكُمْ، وَلَا تَقْرَبُوا مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ). (٢/ ٢٨). بتصرف

(٧) (٢/ ٢٥).

المبحث الخامس والخمسون

قِصَرُ الأَمَل

(١) فَوَائِدُ قِصَرِ الأَمَلِ

● قِصَرُ الْأَمَلِ: هُوَ الْعِلْمُ بِقُرْبِ الرَّحِيلِ، وَسُرْعَةِ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْقَلْبِ(١).

● قِصَرُ الْأَمَلِ: يَبْعَثُ عَلَىٰ انْتِهَازِ الْفُرَصِ، وَمُبَادَرَةِ طَيِّ صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ(٢).

● مَنْ دَاوَمَ مُطَالَعَةَ (قِصَرِ الْأَمَلِ): أَيْقَنَ فَنَاءَ الدُّنْيَا، وَأَنَّهَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً، وَرَأَىٰ بَقَاءَ الْآخِرَةِ وَدَوَامَهَا، وَأَنَّهَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً؛ فَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسِيرُ إِلَىٰ الْآخَرِ؛ فَيُوشِكُ أَنْ يَلْتَقِيَا سَرِيعًا(٣).

● أَوْقَاتُ الصَّلَاةِ: نَظِيرُ (وَقْتِ الْمُوَافَاةِ)؛ إِذْ هُجُومُ وَقْتِ الْمُوَافَاةِ مُضَيَّقٌ لَا يَقْبَلُ التَّوْسِعَةَ؛ فَلَا يَتَمَكَّنُ الْعَبْدَ مِن التَّطَهُّرِ وَالتَّأَهُّبِ عِنْدَ هُجُومِ الْوَقْتِ؛ فَمَنْ قَصَّرَ الْأَمَلَ: لَمْ يَزَلْ عَلَىٰ طَهَارَةٍ!(٤)

(٢) أَسْبَابُ قِصَرِ الأَمَلِ

● يَكْفِي فِي قِصَرِ الْأَمَلِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧](٥).

---

(١) (١/ ٤٤٨).

(٢) انظر: (١/ ٤٤٨).

(٣) انظر: (١/ ٤٤٨).

(٤) انظر: (٣/ ٨٤).

(٥) (١/ ٤٤٨).

❁ قِصَرُ الْأَمَلِ، بِنَاؤُهُ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ: ١-تيَقُّنِ زَوَالِ الدُّنْيَا وَمُفَارَقَتِهَا، ٢-وَتيَقُّنِ لِقَاءِ الْآخِرَةِ، وَبَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، ثُمَّ يُقَايِسُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَيُؤْثِرُ أَوْلَاهُمَا بِالْإِيثَارِ[١].

(٣) مَوَانِعُ قِصَرِ الأَمَلِ

❁ **التَمَنِّي**: بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، وَهُوَ الْبَحْرُ الَّذِي يَرْكَبُهُ مَفَالِيسُ الْعَالَمِ؛ فَلَا تَزَالُ أَمْوَاجُ الْأَمَانِي الْكَاذِبَةِ، وَالْخَيَالَاتُ الْبَاطِلَةُ، تتَلَاعَبُ بِرَاكِبِهِ[٢].

❁ **الْأَمَلُ وَالطَّمَعُ**: يَقْطَعَانِ طَرِيقَ الْقَلْبِ فِي سَيْرِهِ إِلَىٰ مَطْلُوبِهِ[٣].

❁ **الْأَمَلُ إِذَا قَامَ بِالقَلْبِ وَلَمْ يَقْطَعْهُ**: لَمْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ عَوَّقَ سَيْرَهُ بَعْضَ التَّعْوِيقِ، وَإِنَّمَا الْبَلَاءُ فِي الْأَمَلِ الْقَاطِعِ لِلْقَلْبِ عَنْ سَيْرِهِ إِلَىٰ اللهِ[٤].

❁ **الَّذِي يَقْطَعُ طُولَ الأَمَلِ**: الرَّغْبَةُ فِي الْمَطْلَبِ الْأَعْلَىٰ، وَمَعْرِفَةُ خِسَّةِ مَا يُؤَمَّلُ دُونَهُ، وَسُرْعَةُ ذَهَابِهِ؛ فَهُوَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَنَجْمٌ قَدْ تَدَلَّىٰ لِلْغُرُوبِ، عَنْ قَرِيبٍ آفِلٌ![٥]

❁ **الْأَمَانِيُّ الْبَاطِلَةُ**: هِيَ رُؤُوسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ، بِهَا يَقْطَعُونَ أَوْقَاتَهُمْ، وَيَلْتَذُّونَ بِهَا[٦].

❁ لَا يَرْضَىٰ بِالْأَمَانِيِّ عَنِ الْحَقَائِقِ، إِلَّا ذَوُو النُّفُوسِ الدَّنِيئَةِ السَّاقِطَةِ![٧]

---

(١) (١/ ٤٤٩).

(٢) انظر: (١/ ٤٥٤).

(٣) (٣/ ٩٢).

(٤) انظر: (٣/ ٩٢).

(٥) انظر: (٣/ ٩٢).

(٦) (٣/ ٩٤).

(٧) (٣/ ٩٤).

المبحث السادس والخمسون

الهِمَّةُ العَالِيَة

(١) حَقِيقَةُ الهِمَّة

● **الْهِمَّةُ**: مِن الْهَمِّ، وَهُوَ مَبْدَأُ الْإِرَادَةِ، وَلَكِنْ خَصُّوهَا بِنِهَايَةِ الْإِرَادَةِ؛ فَالْهَمُّ مَبْدَؤُهَا، وَالْهِمَّةُ نِهَايَتُهَا، وقِيمَةُ الْمَرْءِ: هِمَّتُهُ وَمَطْلَبُهُ[١].

● **الْهِمَّةُ**: جَمْعُ القَلْبِ وَعُكُوفُهُ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، فَإِذَا ذَاقَت الْهِمَّةُ طَعْمَ هَذَا الْجَمْعِ: اتَّصَلَ اشْتِيَاقُ صَاحِبِهَا، وَتَأَجَّجَتْ نِيرَانُ الْمَحَبَّةِ، وَالطَّلَب فِي قَلْبِهِ[٢].

● **عُلُوُّ الْهِمَّةِ**: أَنْ لَا تَقِفَ دُونَ اللهِ، وَلَا تَتَعَوَّضَ عَنْهُ بِشَيْءٍ سِوَاهُ، وَلَا تَرْضَىٰ بِغَيْرِهِ بَدَلًا مِنْهُ، وَلَا تَبِيعَ حَظَّهَا مِن اللهِ، بِشَيْءٍ مِن الْحُظُوظِ الْخَسِيسَةِ الْفَانِيَةِ[٣].

(٢) أَسْبَابُ الهِمَّةِ العَالِيَة

● عَلِّقْ هِمَّتَكَ **بِالْحَقِّ** وَحْدَهُ، وَلَا تُعَلِّق هِمَّتَكَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ شِرْكٌ فِي طَرِيقِ الصَّادِقِينَ![٤]

● مَنْ كَانَ أَشَدَّ طَلَبًا **لِلْجَنَّةِ**، وَعَمَلًا لَهَا: كَانَ الْبَاعِثُ أَقْوَىٰ، وَالْهِمَّةُ أَشَدَّ؛ وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالذَّوْقِ[٥].

● هَيَّأَ اللهُ الْإِنْسَانَ لِقَبُولِ **الْكَمَالِ**: فَأَلْهَمَهُ وَمَكَّنَهُ، وَعَرَّفَهُ وَأَرْشَدَهُ، وَأَرْسَلَ

---

(١) انظر: (٣/ ٥).

(٢) انظر: (٣/ ٩٧).

(٣) انظر: (١/ ١٦٣).

(٤) انظر: (٢/ ٤٣٣).

(٥) انظر: (٢/ ٧٩).

رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ؛ لِاسْتِخْرَاجِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الَّتِي أَهَّلَهُ بِهَا لِكَمَالِهِ إِلَىٰ الْفِعْلِ[١].

* مَنْ عَرَفَ قَدْرَ مَطْلُوبِهِ؛ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُلُ فِيهِ![٢]

* هِمَّةُ الْعَبْدِ إِذَا تَعَلَّقَتْ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ: طَلَبًا صَادِقًا خَالِصًا مَحْضًا؛ فَتِلْكَ هِيَ الْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ، وَصَاحِبُ هَذِهِ الْهِمَّةِ: سَرِيعٌ وُصُولُهُ، وَظَفَرُهُ بِمَطْلُوبِهِ، مَا لَمْ تُعِقْهُ الْعَوَائِقُ، وَتَقْطَعْهُ الْعَلَائِقُ[٣].

* أُمْنِيَّةُ الرَّجُلِ: تَدُلُّ عَلَىٰ عُلُوِّ هِمَّتِهِ وَخِسَّتِهَا! وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: (قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ). وَالْعَارِفُونَ يَقُولُونَ: (قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ)[٤].

* كُلَّمَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ فِي قَلْبِكَ؛ صَغُرَتْ نَفْسُكَ عِنْدَكَ، وَتَضَاءَلَتِ الْقِيمَةُ الَّتِي تَبْذُلُهَا فِي تَحْصِيلِهِ[٥].

* مَنْ تَدَارَكَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، وَأَطْلَعَهُ عَلَىٰ سَبْقِ الرَّكْبِ لَهُ وَعَلَىٰ تَأَخُّرِهِ: نَهَضَ نَهْضَةَ الْغَضْبَانِ الْآسِفِ عَلَىٰ الِانْقِطَاعِ، وَاشْتَدَّ سَعْيًا لِيَلْحَقَ الرَّكْبَ![٦]

(٣) عَلَامَاتُ الهِمَّةِ العَالِيَةِ

* الْعَالِي الْهِمَّةِ: مَطْلَبُهُ فَوْقَ مَطْلَبِ الْعُمَّالِ وَالْعُبَّادِ، وَأَعْلَىٰ مِنْهُ؛ فَهُوَ يَأْنَفُ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ سَمَاءِ مَطْلَبِهِ الْعَالِي، إِلَىٰ مُجَرَّدِ الْعَمَلِ وَالْعِبَادَةِ، دُونَ السَّفَرِ بِالْقَلْبِ إِلَىٰ اللهِ[٧].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٦١).

(٢) (٢/ ٥٣).

(٣) انظر: (٣/ ٦).

(٤) انظر: (٣/ ٩٤).

(٥) (١/ ١٩٤).

(٦) انظر: (١/ ٢٧٩).

(٧) (٣/ ٧).

* **الْعَبْدُ الْمَحْضُ**: لَا تَقِفُ هِمَّتُهُ؛ إِذْ هِيَ طَالِبَةٌ لِرِضَا اللهِ؛ فَهُوَ مُسْتَصْغِرٌ خِدْمَتَهُ لَهُ، وَالْقَنَاعَةُ تُحْمَدُ مِنْ صَاحِبِهَا إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ![1]

* **صَاحِبُ الهِمَّةِ العَالِيَةِ**: غَرِيبٌ فِي أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَضْلًا عَنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّ طَالِبَ الْآخِرَةِ: غَرِيبٌ فِي أَبْنَاءِ الدُّنْيَا[2].

* **انْظُرْ إِلَىٰ هِمَّةِ الرَّسُولِ** ﷺ حِينَ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيحُ كُنُوزِ الْأَرْضِ؛ فَأَبَتْ لَهُ تِلْكَ الْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ: أَنْ يَتَعَلَّقَ بِشَيْءٍ مِمَّا سِوَىٰ اللهِ، وَاخْتَارَ الْعُبُودِيَّةَ الْمَحْضَةَ[3].

* **مَتَىٰ صَحَّتِ الْهِمَّةُ**: عَلَتْ وَارْتَفَعَتْ؛ فَإِنَّ سُقُوطَهَا وَدَنَاءَتَهَا مِنْ عِلَّتِهَا وَسَقَمِهَا، وَإِلَّا فَهِيَ كَالنَّارِ تَطْلُبُ الصُّعُودَ وَالِارْتِفَاعَ، مَا لَمْ تُمْنَعْ[4].

* **يَعْتَنِي صاحِبُ الهِمَّةِ بِتَحْصِيلِ كَمَالِهِ**: فَيَلْحَظُ عَوَالِيَ الْأُمُورِ وَسَفْسَافَهَا، فَيُؤْثِرُ الْأَعْلَىٰ عَلَىٰ الْأَدْنَىٰ، فَيُزَاحِمُ أَصْحَابَ الْمَعَالِي عَلَيْهَا، كَمَا يَتَزَاحَمُ أَهْلُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ عَلَيْهِمَا![5]

* **مَنْ كَانَ ذا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ**: تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَىٰ الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ؛ فَإِنَّ هِمَّتَهُ لَا تَرْضَىٰ فِيهَا بِالدُّونِ. ومن كَانَ مَهِينًا خَسِيسًا: فَعَيْشُهُ كَعَيْشِ أَخَسِّ الْحَيَوَانَاتِ![6]

* **صَاحِبُ الْهِمَّةِ الْعَلِيَّةِ**: أَمَانِيهِ حَائِمَةٌ حَوْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الَّذِي

---

(١) انظر: (٢/ ٩٩).

(٢) انظر: (٣/ ١٩٣).

(٣) انظر: (٣/ ٠١٤).

(٤) (٣/ ١٤٠).

(٥) انظر: (٣/ ٢٦٦).

(٦) انظر: (٣/ ٢٥٦).

يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ، وَيُدْنِيهِ مِنْ جِوَارِهِ(١).

❁ مَنْ لَمْ تَكُنْ هِمَّتُهُ التَّقَدُّمَ؛ فَهُوَ فِي تَأَخُّرٍ وَلَا يَشْعُرُ! فَإِنَّهُ لَا وُقُوفَ فِي السَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ، بَلْ إِمَّا إِلَىٰ قُدَّامَ، وَإِمَّا إِلَىٰ الْوَرَاءِ!(٢)

❁ **أَتْبَاعُ الرَّسُولِ** ﷺ: إِذَا قَعَدَتْ بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ؛ قَامَتْ بِهِمْ عَزَائِمُهُمْ وَهِمَمُهُمْ وَمُتَابَعَتُهُمْ لِنَبِيِّهِمْ(٣).

❁ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا يَعُودُ عَلَيْكَ مِنْ وَقْتِكَ؛ فَإِنَّهُ عَائِدٌ عَلَيْكَ لَا مَحَالَةَ؛ لِهَذَا يُقَالُ لِلسُّعَدَاءِ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤](٤).

❁ ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]: ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ رِضَا اللهِ: فِي الْمُبَادَرَةِ إِلَىٰ أَوَامِرِهِ، وَالْعَجَلَةِ إِلَيْهَا. يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ: (**إِنَّ رِضَا الرَّبِّ: فِي الْعَجَلَةِ إِلَىٰ أَوَامِرِهِ**)(٥).

❁ الْهِمَّةُ: تَسْتَدْعِي صِدْقَ الطَّلَبِ وَدَوَامَهُ؛ فَالهِمَّةُ: مُتَعَلِّقَةٌ بِتَحْصِيلِ المطلوب. والسَّالِكُ فِي (هِمَّةٍ) مَا دَامَتْ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ؛ فَإِذَا فَارَقَتْهُ الْهِمَّةُ: انْقَطَعَ وَاسْتَحْسَر!(٦)

(٤) أَعْلَىٰ الْهِمَم

❁ أَعْلَىٰ الْهِمَمِ: هِمَّةٌ اتَّصَلَتْ **بِالْحَقِّ**: طَلَبًا وَقَصْدًا، وَأَوْصَلَت الْخَلْقَ إِلَيْهِ:

---

(١) (١/ ٤٥٤).

(٢) انظر: (١/ ٤٧٤).

(٣) (٣/ ١٣٨).

(٤) (٣/ ٥١).

(٥) انظر: (٣/ ٦٠).

(٦) انظر: (٣/ ٧٦-٧٧).

دَعْوَةً وَنُصْحًا؛ وَهَذِهِ هِمَّةُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ[١].

❁ **الهِمَّةُ العَالِيَةُ:** مُتَعَلِّقَةٌ بِالربِّ الْأَعْلَىٰ، تَسْرَحُ فِي رِيَاضِ الْأُنْسِ بِهِ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ مَقَامِهَا تَحْتَ عَرْشِهِ: سَاجِدَةً لَهُ، خَاضِعَةً لِعَظَمَتِهِ، مُتَذَلِّلَةً لِعِزَّتِهِ، لَا تَبْغِي عَنْهُ حَوْلًا، وَلَا تَرُومُ بِهِ بَدَلًا![٢]

❁ لِلهِ (هِمَّةُ نَفْسٍ) قَطَعَتْ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ؛ فَمَا أَلْقَتْ عَصَا السَّيْرِ إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ، فَسَجَدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ (سَجْدَةَ الشُّكْرِ) عَلَىٰ الْوُصُولِ إِلَيْهِ[٣].

❁ السَّالِكُ إِلَىٰ رَبِّهِ، لَا تَزَالُ هِمَّتُهُ عَاكِفَةً عَلَىٰ أَمْرَيْنِ: ١-اسْتِفْرَاغِ الْقَلْبِ فِي صِدْقِ الْحُبِّ، ٢-وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي امْتِثَالِ الْأَمْرِ[٤].

❁ فِي القَلْبِ طَلَبٌ شَدِيدٌ: لَا يَقِفُ دُونَ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَحْدهُ مَطْلُوبَهُ[٥].

❁ (صَاحِبُ الْهِمَّةِ) قَدْ قَصَرَ هِمَّتَهُ عَلَىٰ الْمَطْلَبِ الْأَعْلَىٰ -الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْلَىٰ مِنْهُ- وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا حَصَلَ لَهُ؛ فَهُنَاكَ كُلُّ عِوَضٍ وَدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ[٦].

❁ **الْعَالِيْ الْهِمَّةِ:** طَالِبٌ لِرَبِّهِ تَعَالَىٰ طَلَبًا تَامًّا فِي عَمَلِهِ، وَعِبَادَتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ، وَنَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ، وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ، وَعُزْلَتِهِ وَخُلْطَتِهِ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ؛ فَقَد انْصَبَغَ قَلْبُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَىٰ اللهِ أَيَّمَا صِبْغَةٍ[٧].

---

(١) (٣/ ١٤٠).

(٢) انظر: (٣/ ١٩٩).

(٣) انظر: (٣/ ٩٧).

(٤) انظر: (٣/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٥) انظر: (٣/ ١٥٦).

(٦) انظر: (٣/ ٨).

(٧) انظر: (٣/ ٧).

* مَنْ لَمْ يَعْلَمْ مَعْنَىٰ وَجُودِهِ لِلهِ ﷻ، وَالْفَوْزَ بِهِ: فَلْيَحْثُ عَلَىٰ رَأْسِهِ الرَّمَادَ، وَلْيَبْكِ عَلَىٰ نَفْسِهِ![1]

* **الْهِمَمُ الْعَالِيَةُ**: هِيَ الَّتِي لَا تَقِفُ دُونَ اللهِ. **وَأَعْلَىٰ الْهِمَمِ**: مَا تَعَلَّقَ بِالْعَلِيِّ الْأَعْلَىٰ. **وَأَوْسَعُهَا**: مَا تَعَلَّقَ بِصَلَاحِ الْعِبَادِ: وَهِيَ هِمَمُ الرُّسُلِ، وَوَرَثَتِهِمْ[2].

* **هِمَمُ السَّلَفِ**: مُشَمِّرَةٌ إِلَىٰ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَهِمَّةُ الْقَوْمِ: مُرَاعَاة الْأُصول، وَضَبْط الْقَوَاعِدِ، مع قِلَّةِ تَكَلُّفِهِمْ، وَكَمَالِ بَصَائِرِهِمْ[3].

(٥) الهِمَّةُ في حِفْظِ الوَقْت

* **هِمَّةُ الْمُؤْمِن**: عِمَارَةُ الْوَقْتِ بِمَا هُوَ أَوْلَىٰ الْأَشْيَاءِ وَأنفعها؛ فَهُوَ يَهْتَمُّ بِوَقْتِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ؛ فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِالْوَقْتِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ: يُضَيِّعُ الْوَقْتَ الْحَاضِرَ؛ فَتَصِيرُ أَوْقَاتُهُ كُلُّهَا فَوَاتًا[4].

* صاحِبُ الهِمَّةِ: **يَغْتَنِمُ الْفَرَاغَ**؛ لِعِمَارَةِ وَقْتِهِ مَعَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَغَلَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا؛ فَاتَهُ نَصِيبُهُ مِن انْتِهَازِ فُرْصَةِ الْوَقْتِ، فَالْوَقْتُ سَيْفٌ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ![5]

* مَنْ دَعَتْهُ الْحَاجَةُ إِلَىٰ **خُلْطَةِ النَّاسِ** فِي فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ؛ فَلْيَجْتَهِدْ أَنْ يَقْلِبَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ طَاعَةً لِلهِ، فَإِنْ أَعْجَزَتْهُ الْمَقَادِيرُ عَنْ ذَلِكَ: فَلْيَسُلَّ قَلْبَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَيَرْقَىٰ بِهِ إِلَىٰ الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ![6]

---

(١) (٢/ ٤٢٢).

(٢) انظر: (٢/ ٤٤٤-٤٤٥).

(٣) انظر: (١/ ١٦٠).

(٤) انظر: (٣/ ١٢٤).

(٥) انظر: (٢/ ٢٠).

(٦) انظر: (١/ ٤٥٣-٤٥٤).

❁ **الْوَقْتُ** سَيْفٌ؛ فَإِنْ قَطَعْتَهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ. **وَنَفْسُكَ**: إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ، وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ(١).

❁ **إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالْعَبْدِ خَيْرًا**: أَعَانَهُ بِالْوَقْتِ؛ فَكُلَّمَا هَمَّتْ نَفْسُهُ بِالْقُعُودِ: أَقَامَهُ الْوَقْتُ وَسَاعَدَهُ. **وَإِذَا أَرَادَ بِالعَبْدِ شَرًّا**: جَعَلَ وَقْتَهُ عَلَيْهِ؛ فَكُلَّمَا أَرَادَ التَّأَهُّبَ لِلْمَسِيرِ: لَمْ يُسَاعِدْهُ الْوَقْتُ!(٢)

❁ ينبغي للإنسانِ أَلَّا يَصْرِفَ نَفَسًا إِلَّا فِي **أَحَبِّ الْأُمُورِ إِلَىٰ اللهِ**، فَلَوْ صَرَفَهُ فِيمَا يُحِبُّهُ، وَتَرَكَ الْأَحَبَّ: لَكَانَ مُفَرِّطًا؛ فَكَيْفَ إِذَا صَرَفَهُ فِيمَا لَا يَنْفَعُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا صَرَفَهُ فِيمَا يَمْقُتُهُ عَلَيْهِ رَبُّهُ؟!(٣)

❁ **عِمَارَةُ الوَقْتِ**: يَكُونُ بِمَا يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ، أَوْ يُعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ: مِنْ مَأْكَلٍ أَوْ مُشْرَبٍ، أَوْ رَاحَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَتَىٰ أَخَذَهَا **بِنِيَّةِ الْقُوَّةِ عَلَىٰ مَا يُحِبُّهُ اللهُ**، وَتَجَنُّبِ مَا يُسْخِطُهُ؛ كَانَتْ مِنْ عِمَارَةِ الْوَقْتِ!

❁ **الِاشْتِغَالُ بِالنَّدَمِ عَلَىٰ الْوَقْتِ الْفَائِتِ**: تَضْيِيعٌ لِلْوَقْتِ الْحَاضِرِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: (الْوَقْتُ سَيْفٌ، إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ، وَإِلَّا قَطَعَكَ!)(٤).

❁ **مَنْ غَفَلَ عَنْ نَفْسِهِ**: تَصَرَّمَتْ أَوْقَاتُهُ، وَعَظُمَ فَوَاتُهُ، وَاشْتَدَّتْ حَسَرَاتُهُ؛ فَكَيْفَ حَالُهُ إِذَا عَلِمَ عِنْدَ تَحَقُّقِ الْفَوْتِ مِقْدَارَ مَا أَضَاعَ، وَطَلَبَ الرُّجْعَىٰ؛ فَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِاسْتِرْجَاعِ!(٥)

---

(١) (٣/ ١٢٥).

(٢) انظر: (٣/ ١٢٥).

(٣) انظر: (١/ ٤٤٧).

(٤) (٣/ ٥٠).

(٥) (٣/ ٥٠).

❁ صَاحِبُ الْوَقْتِ مَعَ صُحْبَةِ اللهِ: لَهُ مَعَ اللهِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، بِحَسَبِ حِفْظِ وَقْتِهِ مَعَ اللهِ؛ فَإِنْ كَانَ مَعَ اللهِ: كَانَ اللهُ مَعَهُ، فَإِذَا أَضَاعَ وَقْتَهُ: كَدَّرَ عَيْنَ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ، وَتَعَرَّضَ لِقَطْعِ هَذِهِ الصُّحْبَةِ![1]

❁ بَقِيَّةُ عُمُرِ الْمُؤْمِنِ لَا قِيمَةَ لَهَا: يَسْتَدْرِكُ بِهَا مَا فَاتَ، وَيُحْيِي بِهَا مَا أَمَاتَ[2].

❁ الْأَيَّامُ (أَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ)، كُلُّ نَفَسٍ مِنْهَا يُقَابِلُهُ (آلَافُ السِّنِينَ) فِي دَارِ الْبَقَاءِ! فَلَيْسَ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ نِسْبَةٌ إِلَىٰ أَيَّامِ الْبَقَاءِ، وَهِيَ كَمُدَّةِ الْمَنَامِ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ حَيٌّ، وَقَلْبٌ وَاعٍ[3].

❁ مَنْ جَمَعَ هَمَّهُ وَقَلْبَهُ كُلَّهُ عَلَىٰ اللهِ، وَزَالَ كُلُّ مُفَرِّقٍ وَمُشَتِّتٍ: كَانَتْ هَذِهِ هِيَ سَاعَاتُ عُمْرِهِ فِي الْحَقِيقَةِ[4].

(٦) الهِمَّةُ في طَلَبِ الجَنَّة

❁ لَوْ أَنَّ أَحَدَنَا يُجَرُّ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَتَّقِي بِهِ الشَّوْكَ وَالْحِجَارَةَ إِلَىٰ الجنة؛ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَثِيرًا؛ فَوَاحَسْرَتَاهُ عَلَىٰ هِمَّةٍ تُؤْثِرُ الْأَدْنَىٰ عَلَىٰ الْأَعْلَىٰ![5]

❁ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَرَاتِبَ الْهِمَمِ؛ فَانْظُرْ إِلَىٰ هِمَّةِ (رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيِّ) رضي الله عنه؛ عِنْدَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مُرَافَقَتَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَكَانَ غَيْرُهُ يَسْأَلُهُ مَا يَمْلَأُ بَطْنَهُ، أَوْ يُوَارِي جِلْدَهُ[6].

---

(١) انظر: (١/ ٢٧٩).

(٢) (١/ ٤٣٥).

(٣) انظر: (١/ ٤٤٧).

(٤) انظر: (٣/ ١١٢).

(٥) انظر: (٣/ ٢٥٨).

(٦) انظر: (٣/ ١٤٠).

❁ قالَ تعالىٰ -عن المُتَخَلِّفِين-: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦]. أي: (ثَبَّطَ عَزائِمَهُمْ وهِمَمَهُمْ: أَنْ تَسِيرَ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَأَمَرَ قُلُوبَهُمْ أَنْ تَقْعُدَ عَنِ السَّعْيِ إِلَىٰ مَحَابِّه)[1].

(٧) الهِمَّةُ في جَمْعِ الحَسَنَات

❁ الدِّينُ كُلُّهُ: اسْتِكْثَارٌ مِن الطَّاعَاتِ. وَأَحَبُّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ: أَعْظَمُهُم اسْتِكْثَارًا مِنْهَا؛ وَفِي الْحَدِيثِ: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**»[2].

❁ **الْعَبْدُ سَائِرٌ لا وَاقِفٌ**: فَمَنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَهُوَ مُتَأَخِّرٌ بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ؛ فَهِيَ مَرَاحِلُ تُطْوَىٰ إِلَىٰ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، وَلَيْسَ فِي الطَّرِيقِ وَاقِفٌ الْبَتَّةَ! ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:٣٧][3].

(٨) فَوَائِدُ الهِمَّةِ العَالِيَة

❁ كُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَتَمَّ حَيَاةٍ: كَانَتْ هِمَّتُهُ أَعْلَىٰ. **وَقُوَّةُ الإِرَادَةِ**: دَلِيلٌ عَلَىٰ قُوَّةِ الْحَيَاةِ. **وَضَعْفُ الإرادةِ**: دَلِيلٌ عَلَىٰ ضَعْفِ الحياة! فَعُلُوُّ الْهِمَّةِ، وَصِدْقُ الْإِرَادَةِ: مِنْ كَمَالِ الْحَيَاةِ[4].

❁ **الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ**: تُنَالُ بِالْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ. وعَلَىٰ قَدْرِ الهِمَّةِ: تَكُونُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ. وَأَخَسُّ النَّاسِ حَيَاةً: أَخَسُّهُمْ هِمَّةً. وَحَيَاةُ الْبَهَائِمِ: خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ![5]

❁ الْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ: **كَالطَّائِرِ الْعَالِي!** لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الآفَاتُ، وكذلك الْهِمَّةُ: كُلَّمَا

(١) انظر: (٣/ ١٥٣).

(٢) انظر: (١/ ٢٧٤).

(٣) انظر: (١/ ٢٧٨).

(٤) انظر: (٣/ ٢٤٧).

(٥) انظر: (٣/ ٢٤٧).

عَلَتْ؛ بَعُدَتْ عَنْ وُصُولِ الْآفَاتِ إِلَيْهَا[١].

* كُلَّمَا نَزَلَتْ الهِمَّة: قَصَدَتْهَا الْآفَاتُ، فَهِيَ لَا تَعْلُو إِلَىٰ الْمَكَانِ الْعَالِي، وَإِنَّمَا تَجْتَذِبُ مِن الْمَكَانِ السَّافِلِ؛ فَعُلُوُّ هِمَّةِ الْمَرْءِ: عُنْوَانُ فَلَاحِهِ. وَسُفُولُ هِمَّتِهِ: عُنْوَانُ حِرْمَانِهِ[٢].

* أَصْحَابُ الهِمَّةِ -لِعُلُوِّ هِمَمِهِمْ-: سَبقُوا النَّاسَ فِي السَّيْرِ؛ فَلَمْ يَقِفُوا مَعَهُمْ، فَهُمُ الْمُفَرِّدُونَ السَّابِقُونَ![٣]

* اللهُ سُبْحَانَهُ: إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ الْقُلُوبِ وَالْهِمَمِ وَالْعَزَائِمِ، لَا إِلَىٰ صُوَرِ الْأَعْمَالِ. وَقِيمَةُ الْعَبْدِ: هِمَّتُهُ وَإِرَادَتُهُ[٤].

(٩) تَفَاوُتُ الهِمَم

* مَا أَعْجَبَ شَأْنَ الْهِمَم، وَأَشَدَّ تَفَاوُتَهَا: فَهِمَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَنْ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهِمَّةٌ حَائِمَةٌ حَوْلَ الْأَنْتَانِ وَالْحُشِّ![٥]

* لَا إِلَهَ إِلَّا الله، خَالِقُ هَذِهِ الْهِمَّة، وَخَالِقُ نَفْسٍ تَحْمِلُهَا، وَخَالِقُ هِمَمٍ لَا تَعْدُوْ هِمَمَ أَخَسِّ الْحَيَوَانَاتِ[٦].

* سُبْحَانَ مَنْ أَقْعَدَ نُفُوسًا عَنِ السَّفَرِ إِلَىٰ الدَّارِ الآخِرَةِ، وَجَذَبَ قُلُوبًا إِليها؛ فَأَضَاعَ أُولَئِكَ مَرَاحِلَ أَعْمَارِهِمْ مَعَ الْمُتَخَلِّفِينَ، وَقَطَعَ هَؤُلَاءِ مَرَاحِلَ أَعْمَارِهِمْ مَعَ السَّائِرِينَ[٧].

---

(١) انظر: (٣/ ١٦٣).

(٢) انظر: (٣/ ١٦٣).

(٣) انظر: (٣/ ١٦٥).

(٤) (٢/ ٢١٨).

(٥) انظر: (٣/ ١٤٠).

(٦) (٣/ ١٤٠).

(٧) انظر: (٣/ ٢٥٨).

* مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ: صَانَهَا وَحَمَاهَا، وَزَكَّاهَا وَعَلَّاهَا، وَزَاحَمَ بِهَا أَهْلَ الْعَزَائِمِ وَالْكَمَالَاتِ. وَمَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ: أَلْقَاهَا فِي الرَّذَائِلِ، وَلَمْ يَصُنْهَا عَنْ قَبِيحٍ[1].

* مَنْ لَمْ تَكُنْ هِمَّتُهُ التَّقَدُّمَ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ: رَجَعَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي؛ فَلَا وُقُوفَ فِي الطَّرِيقِ الْبَتَّةَ![2]

* سُبْحَانَ مَنْ فَاوَتَ بَيْنَ الْخَلْقِ فِي هِمَمِهِمْ؛ حَتَّىٰ تَرَىٰ بَيْنَ الْهِمَّتَيْنِ: أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ![3]

(١٠) فُتُوْرُ الهِمَّة

* الْفَتَرَاتُ: أَمْرٌ لَازِمٌ لِلْعَبْدِ، وَفِيهَا أَنْوَاعٌ مِن الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَتَعْرِيفِ قَدْرِ النِّعْمَةِ، وَتَجْدِيدِ الشَّوْقِ إِلَيْهَا؛ حَتَّىٰ تَصِيرَ الْفَتْرَةُ غَيْرَ قَاطِعَةٍ لَهُ، بَلْ تَكُونُ نِعْمَةً عَلَيْهِ، وَتَرْوِيحًا وَتَنْفِيسًا عَنْهُ[4].

* إِذَا خَلَا الْقَلْبُ مِنْ مُلَاحَظَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ: فَتَرَتْ عَزَائِمُهُ، وَضَعُفَتْ هِمَّتُهُ[5].

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: (إِنَّ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا؛ فَإِذَا أَقْبَلَتْ: فَخُذُوهَا بِالنَّوَافِلِ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ: فَأَلْزِمُوهَا الْفَرَائِضَ)[6].

* تَخَلُّلُ الْفَتَرَاتِ لِلسَّالِكِينَ: أَمْرٌ لَازِمٌ لَا بُدَّ مِنْهُ: فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ مُقَارَبَةٍ

---

(١) انظر: (٢/ ٢٦).

(٢) انظر: (٢/ ١٧٧).

(٣) (٣/ ٩٨).

(٤) انظر: (٣/ ٢٥٣).

(٥) انظر: (٢/ ٧٩).

(٦) (٣/ ١٢٢).

وَتَسْدِيدٍ، وَلَمْ تُخْرِجْهُ مِنْ فَرْضٍ، وَلَمْ تُدْخِلْهُ فِي مُحَرَّمٍ: رُجِيَ لَهُ أَنْ يَعُودَ خَيْرًا مِمَّا كَانَ[1].

* **عِلَاجُ الفُتُوْر**: بالحِرص عَلَىٰ تَرْكِ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو فِيهِ زِيَادَةَ إِيمَانِهِ، وَأَلَّا يَصْحَبَ إِلَّا مَنْ يُعِينُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ فَإِنْ بُلِيَ بِمَنْ لَا يُعِينُهُ: فَلْيَدْفَعْهُ دَفْعَ الصَّائِلِ![2]

* كُلُّ مُجِدٍّ فِي طَلَبِ شَيْءٍ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَعْرِضَ لَهُ وَقْفَةٌ وَفُتُورٌ، ثُمَّ يَنْهَضَ إِلَىٰ طَلَبِهِ[3].

* (صَاحِبُ الْوَقْفَةِ) لَهُ حَالَانِ:

١- إِمَّا أَنْ يَقِفَ لِيُجِمَّ نَفْسَهُ، وَيُعِدَّهَا لِلسَّيْرِ؛ فَهَذَا لَا تَضُرُّهُ الْوَقْفَةُ.

٢- وَإِمَّا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَعَ دَاعِي التَّأَخُّرِ؛ فَإِنْ أَجَابَهُ: أَخَّرَهُ وَلَا بُدَّ[4].

* أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِتَلَقِّي أَوَامِرِه بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ وَعَزْمٍ، لَا كَمَنْ يَأْخُذُ مَا أُمِرَ بِهِ بِتَرَدُّدٍ وَفُتُورٍ! ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣][5].

* **مِنْ مَكْرِ اللهِ بِالْعَبْدِ**: أَنْ يَقْطَعَ عَنْهُ تَوْفِيقَه، وَيُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَلَا يُحَرِّكَهُ إِلَىٰ مَرَاضِيْهِ. (وَتَوفِيقُ العَبدِ) لَيسَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ، بَلْ هُوَ فَضْلُه الَّذِي يُحْمَدُ عَلَىٰ بَذْلِهِ وَمَنْعِهِ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَىٰ هَذَا وَهَذَا[6].

---

(١) (٣/ ١٢٢).

(٢) انظر: (٢/ ١٠٢).

(٣) (١/ ٢٧٨).

(٤) انظر: (١/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٥) انظر: (١/ ٤٦٨).

(٦) (٢/ ١٤٠).

(١١) قَوَادِحُ الهِمَّةِ العَالِيَة

❁ **الْجِدُّ**: هُوَ صِدْقُ الْعَمَلِ، وَإِخْلَاصُهُ مِنْ شَوَائِبِ الْفُتُورِ، وَوُعُودِ التَّسْوِيفِ وَالتَّهَاوُنِ، وَهِيَ تَحْت (السِّينِ، وَسَوْفَ، وَعَسَىٰ، وَلَعَلَّ)؛ فَهِيَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ![1]

❁ قَالَ لِي شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -فِي شَيْءٍ مِن الْمُبَاحِ-: (**هَذَا يُنَافِي الْمَرَاتِبَ الْعَالِيَةَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَرْكُهُ شَرْطًا فِي النَّجَاةِ**)[2].

❁ **الأَمَانِيُّ**: بِضَاعَةُ كُلِّ نَفْسٍ مَهِينَةٍ خَسِيسَةٍ سُفْلِيَّةٍ، لَيْسَتْ لَهَا هِمَّةٌ تَنَالُ بِهَا الْحَقَائِق، بَلِ اعْتَاضَتْ عَنْهَا بِالْأَمَانِي![3]

❁ أَجْمَعَ عُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ؛ عَلَىٰ أَنَّ النَّعِيمَ: لَا يُدْرَكُ بِالنَّعِيمِ، وَأَنَّ مَنْ رَافَقَ الرَّاحَةَ: فَارَقَ الرَّاحَةَ![4]

❁ إِذَا انْحَرَفَتْ النَّفْسُ عَنْ خُلُقِ الْمُنَافَسَةِ فِي الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ وَالْغِبْطَةِ؛ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَىٰ حَسَدٍ، وَإِمَّا إِلَىٰ مَهَانَةٍ وَرِضًا بِالدُّونِ[5].

---

(١) انظر: (١/ ٤٦٨).

(٢) (٢/ ٢٨).

(٣) انظر: (١/ ٤٥٤).

(٤) (٢/ ١٦٦).

(٥) انظر: (٢/ ٢٩٦).

المَبْحَثُ السابع والخمسون
مُجَاهَدَةُ النَّفْس

(١) حَقِيقَةُ النَّفْس

❋ في النَّفْسِ ثَلَاثَة دَوَاعٍ:

١- دَاعٍ يَدْعُوهَا إِلَىٰ **أَخْلَاقِ الشَّيْطَانِ**: كالْكِبْرِ.

٢- وَدَاعٍ يَدْعُوهَا إِلَىٰ **أَخْلَاقِ الْحَيَوَانِ**: كالشَّهْوَةِ.

٣- وَدَاعٍ يَدْعُوهَا إِلَىٰ **أَخْلَاقِ الْمَلَكِ**: كالْإِحْسَانِ[١].

❋ **النَّفْسُ**: قَرِينَةُ الشَّيْطَانِ وَمُصَاحِبَتُهُ، وَتُشْبِهُهُ فِي صِفَاتِهِ، وَهِيَ حِجَابٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللهِ؛ فلَا يَصِلُ إِلَىٰ اللهِ؛ حَتَّىٰ يَقْطَعَ هَذَا الْحِجَابَ[٢].

❋ **مِثالُ آفَاتِ النَّفْسِ**: كالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ فِي طَرِيقِ الْمُسَافِرِ؛ فَإِنْ اشْتَغَلْتَ بِقَتْلِهَا: انْقَطَعْت، وَلَكِنْ لِتَكُنْ هِمَّتُكَ الْمَسِيرَ؛ فَإِذَا عَرَضَ لَكَ مَا يَعُوقُكَ: فَاقْتُلْهُ، ثُمَّ امْضِ عَلَىٰ سَيْرِكَ[٣].

❋ **لَوْ خُلِّيَ الإنسانُ وَنَفْسُهُ**؛ لَمْ يَكُنْ مِنْ فِعْلِهِ الصَّالِحِ شَيْءٌ الْبَتَّةَ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ: طَبْعُهَا الْكَسَلُ، وَإِيثَارُ الشَّهَوَاتِ وَالْبَطَالَةِ، وَهِيَ مَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ، وَمَأْوَىٰ كُلِّ سُوءٍ![٤]

❋ **النَّفْسُ**: هِيَ الْحِجَابُ الْأَكْبَرُ عن اللهِ! سَاتِرٌ لِلْعَبْدِ، قَاطِعٌ لَهُ، حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

(١) انظر: (٢/ ٣٣٤).

(٢) انظر: (٢/ ٩، ٣٧١).

(٣) انظر: (٢/ ٢٩٩).

(٤) انظر: (٢/ ٩٣).

الْإِحْسَانِ وَحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ؛ فَلَوْ كَشَفَ عَنْهُ هَذَا الْحِجَابَ؛ لَوَصَلَ إِلَىٰ رَبِّهِ[1].

(٢) فَوَائِدُ الْمُجَاهَدَة

* مَتَىٰ خَلَصَت الْأَبْدَانُ مِن **الْحَرَامِ**، وَطَهُرَتِ الْأَنْفُسُ مِنْ **عَلَائِقِ الدُّنْيَا**: زَكَتْ أَرْضُ الْقَلْبِ، فَإِنْ سُقِيَتْ بِمَاءِ الرِّيَاضَةِ الشَّرْعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ؛ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ: مِنْ عِلْمٍ، وَحِكْمَةٍ، وَفَائِدَةٍ[2].

* بِتَجْرِيدِ القَلْبِ عَنِ **الْحُظُوظِ وَإِرَادَاتِ النَّفْسِ**؛ يَنْكَشِفُ عَنِ الْقَلْبِ حِجَابُهُ، وَيَزُولُ عَنْهُ ظَلَامُهُ، وَيَطْلُعُ فِيهِ فَجْرُ التَّوْحِيدِ، وَتَبْزُغُ فِيهِ شَمْسُ الْيَقِينِ[3].

* إذا ارْتَفَعَ (حِجَابُ النَّفْسِ)، وَانْقَشَعَ ضَبَابُهَا وَدُخَانُهَا: أَفْضَىٰ الْقَلْبُ وَالرُّوحُ إِلَىٰ الرَّبِّ؛ فَصَارَ يَعْبُدُهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ![4]

* **مَنْ أَقَامَ حَارِسًا عَلَىٰ قَلْبِهِ**: صَفَا قَلْبُهُ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَوَسْوَاسِهَا، وَخَرَجَ مِنْ بُيُوتِ طَبْعِهِ وَنَفْسِهِ، إِلَىٰ فَضَاءِ الْخُلْوَةِ بِرَبِّهِ وَذِكْرِهِ[5].

* صَاحِبُ الْمُجَاهَدَاتِ: مُسَافِرٌ بِعَزْمِهِ وَهِمَّتِهِ إِلَىٰ اللهِ[6].

* **تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ**: بِتَخْلِيصِهَا مِنْ وَسَخِ حُظُوظِ النَّفْسِ وَإِرَادَاتِهَا الْمُزَاحِمَةِ لِمُرَادِ الْعُبُودِيَّة؛ فَمَتَىٰ فَقَدَتْ حُظُوظَهَا: تَمَحَّصَتْ عُبُودِيَّتُهَا![7]

---

(١) انظر: (٣/ ٦٦).

(٢) انظر: (٢/ ٤٤٤).

(٣) انظر: (٣/ ٣٩٠).

(٤) انظر: (٣/ ٢١٠).

(٥) انظر: (٣/ ٢٥١).

(٦) (٣/ ١١٣-١١٤).

(٧) انظر: (٣/ ٧٤).

(٣) صُعُوْدُ جَبَلِ النَّفْسِ

❁ أَكْثَرُ السَّائِرِينَ فِي طَرِيْقِ **الْمُجَاهَدَةِ**: رَجَعُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لَمَّا عَجَزُوا عَنْ صُعُوْدِ (جَبَلِ النَّفْسِ) واقْتِحَامِهِ، **وَالشَّيْطَانُ** يُحَذِّرُ مِنْ الصُعُودِ وَيُخَوِّفُهُمْ؛ فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ الِانْقِطَاعُ وَالرُّجُوعُ![1]

❁ كُلَّمَا رَقَىٰ السَّائِرُ فِي (جَبَلِ المُجَاهَدَةِ): اشْتَدَّ بِهِ صِيَاحُ الْقَاطِعِ، وَتَحْذِيرُهُ وَتَخْوِيفُهُ، فَإِذَا قَطَعَهُ وَبَلَغَ قِمَّتَهُ: انْقَلَبَتْ تِلْكَ الْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانًا![2]

❁ (النَّفْسُ): جَبَلٌ عَظِيمٌ شَاقٌّ فِي طَرِيقِ السَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ، وَكُلُّ سَائِرٍ لا طَرِيقَ لَهُ إِلَّا عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَبَلِ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ[3].

❁ **تَزْكِيَةُ النُّفُوسِ**: أَصْعَبُ مِنْ عِلَاجِ الْأَبْدَانِ، **والرُّسُلُ** أَطِبَّاءُ الْقُلُوبِ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ تَزْكِيَتِهَا إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِمْ وَالتَّسْلِيمِ لَهُمْ[4].

❁ قَالَ أَبُو يَزِيدَ: (**عَمِلْتُ فِي الْمُجَاهَدَةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِن الْعِلْمِ وَمُتَابَعَتِهِ!**)[5].

(٤) بَيْنَ القَلْبِ والنَّفْسِ

❁ **بَيْنَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ**: مُنَازَلَاتٌ وَوَقَائِعُ، وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمَا دُوَلٌ وَسِجَالٌ، تُدَالُ النَّفْسُ عَلَيْهِ تَارَةً، وَيُدَالُ عَلَيْهَا تَارَةً[6].

---

(١) انظر: (٢/ ١٠).

(٢) انظر: (٢/ ١٠).

(٣) (٢/ ١٠).

(٤) انظر: (٢/ ٣٠٠).

(٥) (٢/ ٤٣٥).

(٦) (٢/ ٣٨٨).

* (النَّفْسُ): مِنْ جُنْدِ الْقَلْبِ وَرَعِيَّتِهِ، وَهِيَ مِنْ أَشَدِّ جُنْدِهِ خِلَافًا عَلَيْهِ، وَشِقَاقًا لَهُ، وَمِنْ قِبَلِهَا تَتَشَوَّشُ عَلَيْهِ الْمَمْلَكَةُ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ الدَّاخِلُ![1]

* **أَهْلُ التَّمَكُّنِ**: الَّذِينَ ظَفِرُوا بِنُفُوسِهِمْ، وَقَطَعُوا الْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَ النَّفْسِ وَبَيْنَ الْقَلْبِ، وَالْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللهِ؛ بِمُجَاهِدَةِ الْقُطَّاعِ الَّتِي عَلَىٰ تِلْكَ الْمَسَافَاتِ[2].

* قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (**خَلَقَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ: عُقُولًا بِلَا شَهْوَةٍ، وَخَلَقَ الْبَهَائِمَ: شَهْوَةً بِلَا عُقُولٍ، وَخَلَقَ ابْنَ آدَمَ: وَرَكَّبَ فِيهِ الْعَقْلَ وَالشَّهْوَةَ**)[3].

* مَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتَهُ: الْتَحَقَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ: الْتَحَقَ بِالْبَهَائِمِ![4]

(٥) سِيَاسَةُ النَّفْسِ

* **الْعَارِفُ الْبَصِيرُ**: يَجْعَلُ عِوَضَ مُجَاهَدَتِهِ لِنَفْسِهِ (فِي تَرْكِ شَهْوَةٍ مُبَاحَةٍ)؛ مُجَاهَدَتَهُ لِقُطَّاعِ الطَّرِيقِ عَلَىٰ الْقُلُوبِ، وَيَتَقَوَّىٰ عَلَىٰ حَرْبِهِمْ؛ بِإِعْطَاءِ النَّفْسِ حَقَّهَا مِنَ الْمُبَاحِ[5].

* **النَّفْسُ** يُرَادُ مِنْهَا شَيْئَانِ:

١- بَذْلُ مَا أُمِرَتْ بِهِ: فَالْحَامِلُ عَلَيْهِ السَّمَاحَةُ.

٢- وَتَرْكُ مَا نُهِيَت عَنْهُ: فَالْحَامِلُ عَلَيْهِ الصَّبْرُ[6].

---

(١) (٢/ ٤٢١).

(٢) (٢/ ٤٣٣).

(٣) (٢/ ٣٣٤).

(٤) (٢/ ٣٣٤).

(٥) انظر: (٢/ ٤١٦).

(٦) انظر: (٢/ ١٦٠).

المبحث الثامن والخمسون

العِــلْمُ

(١) حَقِيْقَةُ العِلْم

* كُلُّ عِلْمٍ لَا يَسْتَنِدُ إِلَىٰ دَلِيلٍ؛ فَدَعْوَىٰ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا، وَحُكْمٌ لَا بُرْهَانَ عِنْدَ قَائِلِهِ؛ وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عِلْمًا(١).

* **أَصْلُ العِلْمِ**: مُلَازَمَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَرْكُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَالِاقْتِدَاءُ بِالسَّلَفِ، وَتَرْكُ مَا أَحْدَثَهُ الْآخَرُونَ، وَالْإِقَامَةُ عَلَىٰ مَا سَلَكَهُ الْأَوَّلُونَ(٢).

* لِلْعِلْمِ عَلَامَةٌ قَبْلَهُ، وَعَلَامَةٌ بَعْدَهُ؛ **فَعَلَامَتُهُ قَبْلَهُ**: مَا قَامَ بِهِ الدَّلِيلُ. **وَعَلَامَتُهُ بَعْدَهُ**: رَفْعُ الْجَهْلِ(٣).

* لَيْسَ بَعْدَ (**الْقُرْآنِ، وَأَخْبَرَنَا، وَحَدَّثَنَا**): إِلَّا شُبَهَاتُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَآرَاءُ الْمُنْحَرِفِينَ، وَخَيَالَاتُ الْمُتَصَوِّفِينَ، وَقِيَاسُ الْمُتَفَلْسِفِينَ!(٤)

* مَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ: ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ. وَلَا دَلِيلَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، سِوَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكُلُّ طَرِيقٍ لَمْ يَصْحَبْهَا **دَلِيلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ**؛ فَهِيَ مِنْ طُرُقِ الْجَحِيمِ، وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ!(٥)

---

(١) (٣/ ٤٠٠).

(٢) انظر: (٣/ ١٣٧).

(٣) (٢/ ٤٤٢).

(٤) (٢/ ٤٣٩).

(٥) انظر: (٢/ ٤٣٩).

* الْعِلْمُ: مَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ، وَالنَّافِعُ مِنْهُ: مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ[1].

* قَالَ بَعْضُهُم: (**لَوْ نَظَرْتُمْ إِلَىٰ رَجُلٍ أُعْطِيَ مِن الْكَرَامَاتِ إِلَىٰ أَنْ يَرْتَفِعَ فِي الْهَوَاءِ؛ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ، حَتَّىٰ تَنْظُرُوا كَيْفَ تَجِدُونَهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَحِفْظِ الْحُدُودِ، وَأَدَاءِ الشَّرِيعَةِ؟**)[2].

* هَذِهِ الثَّلَاثَةُ (أَشْرَفُ عُلُومِ الْخَلَائِقِ):

١- عِلْمُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. ٢- وَعِلْمُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالتَّوْحِيدِ.

٣- وَعِلْمُ الْمَعَادِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ[3].

(٢) أَنْوَاعُ الْعُلُوْم

* (**الْعِلْمُ بِاللهِ**) خَمْسُ مَرَاتِبَ:

١- الْعِلْمُ بِذَاتِهِ. ٢- وَصِفَاتِهِ. ٣- وَأَفْعَالِهِ.

٤- وَأَسْمَائِهِ. ٥- وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ[4].

* (**الْعِلْمُ بِدِينِ اللهِ**) مَرْتَبَتَانِ: ١- الْعِلْمُ بِدِينِهِ الْأَمْرِيِّ الشَّرْعِيِّ: وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، الْمُوصِلُ إِلَيْهِ ٢- الْعِلْمُ بِدِينِهِ الْجَزَائِيِّ: وهو الْمُتَضَمِّنُ ثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ[5].

(٣) أَهَمِّيَّةُ الْعِلْم

* **صِدْقُ الْإِرَادَةِ**؛ لا يُغْنِي عَنْ عِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَحْكَامِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ،

---

(١) (٢/ ٤٣٩).

(٢) (٢/ ٤٣٥).

(٣) (٢/ ٣٧٩).

(٤) انظر: (١/ ١٢٨).

(٥) انظر: (١/ ١٢٨).

وَمَعْرِفَةِ الْعِبَادَاتِ وَشُرُوطِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَمُبْطِلَاتِهَا، وَعَنْ عِلْمِ أَحْكَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ[١].

* سَمَّىٰ اللهُ **الْعِلْمَ** -الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ-: نُورًا، وَهُدًىٰ، وَحَيَاةً. وَسَمَّىٰ ضِدَّهُ: ظُلْمَةً، وَمَوْتًا، وَضَلَالًا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧][٢].

* ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ [الشورى:٥٢]؛ فَجَعَلَهُ **رُوحًا** لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، **وَنُورًا** لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِن الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ[٣].

* **منْزِلَةُ العِلْم**، إِنْ لَمْ تَصْحَب السَّالِكَ (مِنْ أَوَّلِ قَدَمٍ يَضَعُهُ فِي الطَّرِيقِ إِلَىٰ آخِرِ قَدَمٍ)؛ فَسُلُوكُهُ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ، وَهُوَ مَقْطُوعُ الْوُصُولِ![٤]

* **الْعِلْمُ وَالْعَدْلُ**: أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، **وَالظُّلْمُ وَالْجَهْلُ**: أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ[٥]. وَاللهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ الطَّوَائِفِ، وَلَا يَتَّبِعَ هَوَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ[٦].

(٤) شَرَفُ العِلْم

* **العِلْمُ**: هُوَ حُجَّةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَنُورُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَقَائِدُهُمْ وَدَلِيلُهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَمُدْنِيهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِ[٧].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٤٨).

(٢) (٣/ ١٥٤).

(٣) انظر: (٣/ ١٥٥).

(٤) انظر: (٢/ ٤٣٤).

(٥) مِنْ النَاسِ مَنْ نَفْسُهُ (سَبُعِيَّةٌ غَضَبِيَّةٌ): هِمَّتُهُ الْعُدْوَانُ عَلَىٰ النَّاسِ، وَقَهْرُهُمْ بِمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ! انظر: (١/ ٤٠٤).

(٦) (٣/ ٤٨٢).

(٧) (٢/ ٤٤١).

❁ **الْجُودُ بِالْعِلْمِ وَبَذْلُهُ**: مِنْ أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الْجُودِ. وَالْجُودُ بِهِ: أَفْضَلُ مِن الْجُودِ بِالْمَالِ؛ **لِأَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مِن الْمَالِ!**(١)

❁ **يَكْفِي فِي شَرَفِ العِلْمِ**: أَنَّ فَضْلَ أَهْلِهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ: كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ لَهُمْ أَجْنِحَتَهَا(٢).

❁ يَنْقَسِمُ الخَلْقُ (فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ) إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أقسام: ١- عَالِمٍ بِالحَقِّ، عَامِلٍ بِمُوجَبِهِ: وَهُمْ **أَهْلُ النِّعْمَةِ** ٢- عَالِمٍ بِالحَقِّ، مُعَانِدٍ لَهُ: وَهُمْ **أَهْلُ الْغَضَبِ** ٣- جَاهِلٍ بِالحَقِّ: وَهُمْ **الضَّالُّونَ**(٣).

❁ مَثَّلَ اللهُ (نورَ العِلْمِ والوَحْيِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ): ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥]، وَمَثَّلَ حَالَ مَنْ (فَقَدَ هَذَا النُّورِ): بِمَنْ هُوَ فِي ظُلُمَاتٍ ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ [النور:٤٠](٤).

❁ قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: (**مَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ السُّنَّةِ؛ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْمَعْرِفَةِ؛ فَلَا مَقَامَ أَشْرَفُ مِنْ مَقَامِ مُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ، فِي أَوَامِرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ**)(٥).

❁ **الْعِلْمُ**: تَرِكَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُرَاثُهُمْ. **وَأَهْلُ العِلْمِ**: عُصْبَةُ الأَنبياءِ وَوُرَّاثُهُمْ. **والعِلْمُ**: حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأُنْسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ، والمِيزَانُ الَّذِي بِهِ تُوزَنُ الْأَعْمَالُ(٦).

---

(١) انظر: (٢/ ٢٧٩).

(٢) انظر: (٢/ ٤٤١).

(٣) انظر: (١/ ٩١-٩٢).

(٤) انظر: (٣/ ١٥٥).

(٥) (٢/ ٤٣٦).

(٦) انظر: (٢/ ٤٣٩).

✺ **الْعِلْمُ**: حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ؛ فَالْقَلْبُ مَيِّتٌ، وَحَيَاتُهُ: بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ(١).

✺ **العِلْمُ**: مُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَطَلَبُهُ قُرْبَةٌ، وَبَذْلُهُ صَدَقَةٌ، وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ: أَعْظَمُ مِنْهَا إِلَىٰ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ!(٢)

✺ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (**النَّاسُ إِلَىٰ الْعِلْمِ؛ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَحَاجَتُهُ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِهِ!**)(٣).

✺ **العِلْمُ**: هُوَ الْحَاكِمُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وبِهِ يُعْرَفُ اللهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذْكَرُ وَيُوَحَّدُ، وَبِهِ اهْتَدَىٰ إِلَيْهِ السَّالِكُونَ، وَمِنْ طَرِيقِهِ وَصَلَ الْوَاصِلُونَ، وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ الْقَاصِدُونَ(٤).

(٥) الوَصِيَّةُ بِالعِلْمِ

✺ أَوْصَىٰ (الشُّيُوخُ الْقُدَمَاءُ الْعَارِفُوْنَ) بِالْعِلْمِ، وَأَخْبَرُوا أَنَّ طَرِيقَهُمْ مُقَيَّدَةٌ بِالْعِلْمِ، لَا يُفْلِحُ فِيهَا مَنْ لَمْ يَتَقَيَّدْ بِهِ!(٥)

✺ **أَهْلُ الِاسْتِقَامَةِ**: أَشَدُّ النَّاسِ وَصِيَّةً بِالْعِلْمِ؛ فَمَا اتَّخَذَ اللهُ وَلِيًّا جَاهِلًا. **وَالْجَهْلُ**: رَأْسُ كُلِّ بِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ وَنَقْصٍ. **وَالْعِلْمُ**: أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ وَهُدًىٰ وَكَمَالٍ(٦).

✺ عَظُمَتْ (وَصِيَّةُ الْعُلَمَاءِ) بِالْعِلْمِ، وَحَذَّرُوا مِنَ السُّلُوكِ بِلَا عِلْمٍ، وَأَمَرُوا بِهَجْرِ

---

(١) (٣/ ٢٤٧).

(٢) (٢/ ٤٤٠).

(٣) (٢/ ٤٤٠).

(٤) انظر: (٢/ ٤٣٩).

(٥) انظر: (٢/ ٣٣٠-٣٣١).

(٦) انظر: (٣/ ٣١٤).

مَنْ هَجَرَ الْعِلْمَ، وَعَدَمِ الْقَبُولِ مِنْهُ؛ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَآلِ أَمْرِهِ، وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ فِي سَيْرِهِ[١].

(٦) فَوَائِدُ العِلْم

❁ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ، إِذَا رَقَّىٰ عَبْدَهُ بِالتَّدْرِيجِ: نَوَّرَ بَاطِنَهُ وَعَقْلَهُ بِالْعِلْمِ؛ فَرَأَىٰ أَنَّهُ لَا خَالِقَ سِوَاهُ، وَلَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا يَمْلِكُ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ وَالْعَطَاءَ وَالْمَنْعَ غَيْرُهُ[٢].

❁ الْعِلْمُ الصَّافِي، (الْمُتَلَقَّىٰ مِنْ مِشْكَاةِ الْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ): يُهَذِّبُ صَاحِبَهُ لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْعُبُودِيَّةِ[٣].

❁ **صُحْبَةُ الْعِلْمِ**: يُعَرِّفُ الْعَبْدَ مَوَاقِعَ مَا يَنْبَغِي طَلَبُهُ، وَمَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ؛ فَمَنْ لَمْ يَصْحَبْهُ الْعِلْمُ: لَمْ تَصِحَّ لَهُ إِرَادَةٌ (بِاتِّفَاقِ كَلِمَةِ الصَّادِقِينَ)، وَلَا عِبْرَةَ بِقُطَّاعِ الطَّرِيقِ![٤]

❁ **تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ بِالْعِلْمِ**: يَكُونُ بِإِصْلَاحِهَا وَتَصْفِيَتِهَا بِمُوجَبِ الْعِلْمِ؛ فَلَا يَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ بَاطِنَةٍ إِلَّا بِمُقْتَضَىٰ الْعِلْمِ، ومِيزَانِ الشَّرْعِ[٥].

❁ (العَالِمُ): يُفَرِّقُ بَيْنَ النِّعْمَةِ والْفِتْنَةِ؛ فَيُفَرِّقُ بَيْنَ (النِّعْمَةِ) الَّتِي يُرَىٰ بِهَا الْإِحْسَانُ وَاللُّطْفُ، وَيُعَانُ بِهَا عَلَىٰ تَحْصِيلِ سَعَادَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ، وَبَيْنَ (الفِتْنَةِ) الَّتِي يُرَىٰ بِهَا الِاسْتِدْرَاجُ[٦].

❁ (أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ)، يَقُومُ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ شَوَاهِدِ الْجَنَّةِ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا لَهُمْ رَأْيُ عَيْنٍ![٧]

---

(١) انظر: (١/ ١٧٨).

(٢) انظر: (٣/ ٣٤٥).

(٣) (٣/ ١٣٧).

(٤) انظر: (٢/ ٣٥٣).

(٥) انظر: (١/ ٤٧٣).

(٦) انظر: (١/ ١٨٩).

(٧) انظر: (٣/ ٢٣٤-٢٣٥).

❁ يَعْرِضُ لِلسَّالِكِ (مَعَاطِبُ وَمَهَالِكُ)، لَا يُنْجِيهِ مِنْهَا إِلَّا (بَصِيرَةُ الْعِلْمِ)، الَّتِي إِنْ صَحِبَتْهُ فِي سَيْرِهِ، وَإِلَّا هَلَكَ(١).

❁ مِنْ كَلَامِ لُقْمَانَ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: (**يَا بُنَيَّ، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ، فَإِنَّ اللهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ: كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بِوَابِلِ الْقَطْرِ**)(٢).

❁ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: (**تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلهِ خَشْيَةٌ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمَهُ صَدَقَةٌ!**)(٣).

❁ **الْعِلْمُ**: حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمَصَابِيحُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ، بِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ، وَيُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَهُوَ إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ لَهُ(٤).

❁ **بِالعِلْمِ**: تُعْرَفُ الْأَحْكَامُ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَهُوَ قَائِدٌ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ، وَهُوَ الْأَنِيسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالْكَاشِفُ عَنِ الشُّبْهَةِ(٥).

❁ قَالَ بَعْضُهُمْ: (**كُلُّ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ: فَاطْلُبْهُ فِي الْعِلْمِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ: فَفِي الْحِكْمَةِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ: فَزِنْهُ بِالتَّوْحِيدِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ: فَاضْرِبْ بِهِ وَجْهَ الشَّيْطَانِ!**)(٦).

❁ **صَفَاءُ الْعِلْمِ**؛ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ بِالِاجْتِهَادِ وَالتَّشْمِيرِ؛ فَإِنَّ

---

(١) انظر: (١/ ١٧٩).

(٢) (٣/ ٢٤٦).

(٣) انظر: (٣/ ٢٤٦).

(٤) انظر: (٣/ ٢٤٦).

(٥) انظر: (٢/ ٤٤٠).

(٦) (٢/ ٤٣٦).

كَثِيرًا مِن السَّالِكِينَ -بَلْ أَكْثَرَهُمْ- سَالِكٌ بِجِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ، غَيْرُ مُنْتَبِهٍ إِلَىٰ الْمَقْصُودِ![١]

* الْعِلْمُ يُرْشِدُ إِلَىٰ مَوَاقِعِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَمَرَاتِبِهَا، وَمَوْضِعِ كُلِّ خُلُقٍ: أَيْنَ يَضَعُهُ؟ وَأَيْنَ يُحْسِنُ اسْتِعْمَالَهُ؟ فَلَا يَضَعُ الْغَضَبَ مَوْضِعَ الْحِلْمِ، وَلَا الْإِمْسَاكَ مَوْضِعَ الْبَذْلِ، وَلَا بِالْعَكْسِ[٢].

* لَا يَتَبَيَّنُ عَيْبُ العَمَلِ مِنْ صِحَّتِهِ: إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ؛ فَإِذَا عَرَفَ الْحُجَّةَ: اتَّضَحَ لَهُ بِهَا مَا كَانَ مُشْكَلًا عَلَيْهِ مِنْ عُلُومِهِ، وَمَا كَانَ مَعِيبًا مِنْ أَعْمَالِهِ[٣].

* بَابُ العِلْمِ؛ لَا بُدَّ مِنْ دُخُولِهِ إِلَىٰ الْمَطْلُوبِ، وَلَا يُوصَلُ إِلَىٰ الْمَطْلُوبِ إِلَّا مِنْ بَابِهِ، فَمَنْ خَرَجَ عَنِ الدَّلِيلِ: ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ![٤]

(٧) شَرَفُ الْعُلَمَاء

* أَهْلُ الْعِلْمِ: هُمْ نُوَّابُ الرُّسُلِ وَخُلَفَاؤُهُمْ، فِي إِقَامَةِ حُجَجِ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ[٥].

* اسْتَشْهَدَ اللهُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ عَلَىٰ أَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ (وَهُوَ التَّوْحِيدُ)، وَقَرَنَ شَهَادَتَهُمْ بِشَهَادَتِهِ وَشَهَادَةِ مَلَائِكَتِهِ، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ: تَعْدِيلُهُمْ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يَسْتَشْهِدُ بِمَجْرُوحٍ![٦]

* (الْعَالِمُ) يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ،

---

(١) (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: (٢/ ٣٠١).

(٣) نظر: (٢/ ٣٢٠).

(٤) انظر: (٢/ ٣٣٠-٣٣١).

(٥) انظر: (٣/ ٤٣٩).

(٦) (٢/ ٤٤١).

وَحَتَّىٰ النَّمْلُ فِي جُحْرِهَا، وَإِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرَ[١].

* جَعَلَ اللهُ (العُلَماءَ) رَحْمَةً للناس؛ لِيَقْتَدِيَ بِهِمُ السَّالِكُ، وَيَهْتَدِيَ بِهِمُ الْحَيْرَانُ، وَيُسْتَضَاءَ بِنُورِ نُصْحِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِم؛ وَهَذَا النُّورُ الَّذِي أَضَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ مِنْهُمْ: هُوَ نُورُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ[٢].

* لَوْلَا ضَمَانُ اللهِ بِحِفْظِ دِينِهِ، وَتَكَفُّلُهُ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَنْ يُجَدِّدُ أَعْلَامَهُ، وَيُحْيِي مِنْهُ مَا أَمَاتَهُ الْمُبْطِلُونَ، وَيُنْعِشُ مَا أَخْمَلَهُ الْجَاهِلُونَ: لَهُدِّمَتْ أَرْكَانُهُ، وَتَدَاعَىٰ بُنْيَانُهُ، وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ![٣]

* **الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ**: عَالِمٌ اسْتَنَارَ بِنُورِهِ، وَاسْتَنَارَ بِهِ النَّاسُ: فَهَذَا مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ. وَعَالِمٌ اسْتَنَارَ بِنُورِهِ، وَلَمْ يَسْتَنِرْ غَيْرُهُ: فَهَذَا نَفْعُهُ قَاصِر. وَعَالِمٌ لَمْ يَسْتَنِرْ بِنُورِهِ، وَلَا اسْتَنَارَ غَيْرُهُ: فَهَذَا عِلْمُهُ وَبَالٌ عَلَيْهِ![٤]

(٨) العِلْمُ والعَمَل

* كُلُّ عِلْمٍ صَحِبَهُ عَمَلٌ يُرْضِي اللهَ: فَهُوَ مِنَّةٌ، وَإِلَّا فَهُوَ حُجَّةٌ![٥]

* قَالَ الْبَلْخِيُّ: (**ذَهَابُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَرْبَعَةٍ: لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يَتَعَلَّمُونَ مَا يَعْمَلُونَ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ**)[٦].

(١) (٢/ ٤٤١)، أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، بنحوه. أعلَّه الترمذي، وطرقه لا تخلو من مقال.

(٢) انظر: (٣/ ٢٨٢).

(٣) (٣/ ٧٨).

(٤) انظر: (٣/ ٢٨٢).

(٥) (١/ ١٩٠).

(٦) (٢/ ٤٣٦).

* **الْجَهْلُ نَوْعَانِ:** ١-جَهْلُ عِلْمٍ، ٢-وَجَهْلُ عَمَلٍ. وَكِلَاهُمَا لَهُ ظُلْمَةٌ وَوَحْشَةٌ فِي الْقَلْبِ، وَكَمَا أَنَّ الْعِلْمَ: يُوجِبُ نُورًا وَأُنْسًا؛ فَضِدُّهُ: يُوجِبُ ظُلْمَةً، وَيُوقِعُ وَحْشَةً[١].

* **أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ: أَنَّ كُلَّ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فَهُوَ جَاهِلٌ:**

١- إِمَّا لِأَنَّهُ لَمْ يُنْتَفَعْ بِعِلْمِهِ؛ فَنُزِّلَ مَنْزِلَةَ الْجَهْلِ.

٢- وَإِمَّا لِجَهْلِهِ بِسُوءِ مَا تَجْنِي عَوَاقِبُ فِعْلِهِ![٢]

(٩) تَحْكِيمُ العِلْمِ

* الواجِبُ: الِاسْتِسْلَامُ لِلْعِلْمِ، وَأَنْ لَا تُعَارِضَهُ بِذَوْقٍ وَلَا حَالٍ؛ فَالْوَاجِبُ: تَسْلِيطُ الْعِلْمِ عَلَىٰ الْحَالِ، وَتَحْكِيمُهُ عَلَيْهِ[٣].

* قال أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: (**إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِقَلْبِي النُّكْتَةُ مِنْ نُكَتِ الْقَوْمِ، فَلَا أَقْبَلُهَا إِلَّا بِشَاهِدَيْ عَدْلٍ: مِن الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**)[٤].

* كَثِيرٌ مِنَ السَّالِكِينَ إِذَا غَلَبَهُ حَالٌ أَوْ ذَوْقٌ؛ خَلَّىٰ الْعِلْمَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ! وَهِيَ حَالُ أَهْلِ الِانْحِرَافِ؛ وَلِهَذَا عَظُمَتْ وَصِيَّةُ أَهْلِ الِاسْتِقَامَةِ: بِالْعِلْمِ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ[٥].

* **الذَّوْقُ وَالْحَالُ:** مَنْشَأُ ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ؛ فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ، وَجَعَلُوهُ مَحَكًّا لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ فَنَبَذُوا مُوجَبَ الْعِلْمِ وَالنُّصُوصِ، وَحَكَّمُوا فِيهَا الْأَذْوَاقَ وَالْأَحْوَالَ[٦].

* الَّذِينَ لَمْ يُحَكِّمُوا الْعِلْمَ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ صَفْحًا؛ قَادَهُمْ إِلَىٰ الِانْسِلَاخِ مِنْ

(١) انظر: (٣/ ١٥٤).

(٢) انظر: (١/ ٤٦٧).

(٣) انظر: (١/ ٤٧٤).

(٤) (٣/ ١٣٧).

(٥) انظر: (١/ ٤٧٤).

(٦) انظر: (١/ ٤٩٢).

حَقَائِقِ الْإِيمَانِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ[١].

* **الطَّاعَةُ**: هِيَ مُوَافَقَةُ الْأَمْرِ، لَا مُوَافَقَةُ الْقَدَرِ وَالْمَشِيئَةِ؛ وَلَوْ كَانَتْ مُوَافَقَةُ الْقَدَرِ طَاعَةً لِلهِ؛ لَكَانَ إِبْلِيسُ مِنْ أَعْظَمِ الْمُطِيعِينَ لِلهِ! وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ[٢].

* **مَنْهَجُ أَوْلِيَاءِ اللهِ**: إِحَالَةُ الْحَالِ عَلَىٰ الْعِلْمِ، وَتَحْكِيمُهُ عَلَيْهِ: فَإِنْ وَافَقَهُ الْعِلْمُ، وَإِلَّا كَانَ حَالًا فَاسِدًا؛ **فَالْعِلْمُ**: حَاكِمٌ. **وَالْحَالُ**: مَحْكُومٌ عَلَيْهِ؛ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا أَصْلَ بِنَاءِ سُلُوكِهِ: فَسُلُوكُهُ فَاسِدٌ![٣]

(١٠) عِلْمُ السُّنَّة

* الطَّرِيقُ مَسْدُودَةٌ إِلَّا عَلَىٰ مَن اقْتَفَىٰ آثَارَ الرَّسُولِ ﷺ، وَاقْتَدَىٰ بِهِ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَلَا يَتَعَنَّىٰ السَّالِكُ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا الطَّرِيقِ؛ فَلَيْسَ حَظُّهُ مِنْ سُلُوكِهِ إِلَّا التَّعَبَ![٤]

* **حَقِيقَةُ العِلْمِ**: التَّأَدُّبُ بِآدَابِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَحْكِيمُهُ: بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ فَلَا تُخَالِفُهُ الْبَتَّةَ، وَإِذَا أَخْبَرَكَ عَنْ شَيْءٍ: أَنْزَلْتَهُ مَنْزِلَةَ مَا تَرَاهُ بِعَيْنِكَ، ومَا تَسْمَعُهُ مِن اللهِ بِأُذُنِكَ[٥].

* كُلُّ عِلْمٍ خَرَجَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّة، وَعَلَيْهِ السِّكَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ؛ فَهُوَ مِن الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ: فَهُوَ مِنْ صِرَاطِ أَهْلِ الْغَضَبِ وَالضَّلَالِ![٦]

---

(١) انظر: (٢/ ٩٩).

(٢) انظر: (٢/ ١٩٧).

(٣) انظر: (٢/ ٢٧٤).

(٤) (٣/ ١٣٧).

(٥) انظر: (٣/ ١٣٧).

(٦) انظر: (١/ ٨١).

❁ لَا دَلِيلَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ إِلَىٰ اللهِ: إِلَّا (مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ) فِي أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ[١].

❁ الطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَىٰ الْخَلْقِ: إِلَّا عَلَىٰ مَنِ اقْتَفَىٰ آثَارَ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْآنَ وَيَكْتُبِ الْحَدِيثَ؛ لَا يُقْتَدَىٰ بِهِ[٢].

❁ مَنْ أَحَالَكَ عَلَىٰ غَيْرِ (أَخْبَرَنَا، وَحَدَّثَنَا)؛ فَقَدْ أَحَالَكَ إِمَّا عَلَىٰ: خَيَالٍ صُوفِيٍّ، أَوْ قِيَاسٍ فَلْسَفِيٍّ، أَوْ رَأْيٍ نَفْسِيٍّ![٣]

(١١) خَطَرُ الجَهْلِ

❁ إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْجَاهِلِ؛ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ![٤]

❁ **دَاءُ الْجَهْلِ وَالسَّفَهِ**: أَشَدُّ أَلَمًا مِنْ أَدْوَاءِ الْبَدَنِ، وَلَكِنْ لَمَّا أَلِفَتِ النُّفُوسُ هَذِهِ الْأَدْوَاءَ: لَمْ تُحِسَّ بِأَلَمِهَا، وَإِنَّمَا يَقْوَىٰ إِحْسَاسُهَا بِهَا عِنْدَ الْمُفَارَقَةِ لِلدُّنْيَا![٥]

❁ يَكْثُرُ (الكُهَّانُ) فِي الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ الَّتِي يَخْفَىٰ فِيهَا نُورُ النُّبُوَّةِ؛ وَلِذَلِكَ كَانُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا فِي زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَكُلُّ زَمَانٍ جَاهِلِيَّةٍ، وَبَلَدِ جَاهِلِيَّةٍ، وَطَائِفَةٍ جَاهِلِيَّةٍ؛ فَلَهُمْ نَصِيبٌ مِنْهَا[٦].

❁ كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالنِّعَمِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، مَفْتُونٍ بِثَنَاءِ الْجُهَّالِ عَلَيْهِ، مَغْرُورٍ بِقَضَاءِ اللهِ حَوَائِجَهُ وَسَتْرِهِ عَلَيْهِ! وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ عِنْدَهُمْ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ عَلَامَةُ السَّعَادَةِ

---

(١) (٢/ ٤٣٧).

(٢) انظر: (٢/ ٤٣٤).

(٣) (٢/ ٤٣٩).

(٤) (٣/ ٣٧٨).

(٥) انظر: (٣/ ١٤٩).

(٦) انظر: (٢/ ٤٦١-٤٦٢).

وَالنَّجَاحِ، ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِن الْعِلْمِ![١]

* **الْجَاهِلُ**: مَيِّتُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، وَإِنْ كَانَ حَيَّ الْبَدَنِ؛ فَجَسَدُهُ قَبْرٌ يَمْشِي بِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ![٢]

* مَنْ عَبَدَ اللهَ بِحَالٍ مُجَرَّدٍ عَنْ عِلْمٍ؛ لَمْ يَزْدَدْ مِن اللهِ إِلَّا بُعْدًا[٣].

* **الْجَهْلُ جَهْلَانِ**: ١- جَهْلُ الْعِلْمِ ٢- وَجَهْلُ الْعَمَلِ؛ فَإِذَا تَحَكَّمَ الْجَهْلَانِ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ سُكْرِ صَاحِبِهِمَا![٤]

* **مَنْ تَجَرَّدَ مِن الْعِلْمِ**؛ فَقَدْ خَرَجَ مِن النُّورِ الَّذِي يَكْشِفُ لَهُ الْحَقَائِقَ، وَيُمَيِّزُ لَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وقَدْ يَنْسَلِخُ صَاحِبُهُ عَنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ![٥]

* **مَنْ لَمْ يَشْهَدْ للهِ بالتوحيد**؛ فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْجُهَّالِ، وَإِنْ عَلِمَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مَا لَمْ يَعْلَمْهُ غَيْرُهُ؛ فَهُوَ مِنْ أُولِي الْجَهْلِ، لَا مِنْ أُولِي الْعِلْمِ[٦].

* لَمْ يَنْهَ عَنْ (الْعِلْمِ) إِلَّا قُطَّاعُ الطَّرِيقِ، وَنُوَّابُ إِبْلِيسَ وَشُرَطُهُ![٧]

* عَامَّةُ مَنْ تَزَنْدَقَ مِن السَّالِكِينَ؛ فَلِإِعْرَاضِهِ عَنْ **الْعِلْمِ**، وَسَيْرِهِ عَلَىٰ جَادَّةِ **الذَّوْقِ وَالْوَجْدِ**[٨].

---

(١) (١/ ١٨٩).

(٢) (٣/ ٢٤٥).

(٣) (٣/ ٢٠١).

(٤) (٣/ ٢٩٤).

(٥) انظر: (٣/ ٣٨٨).

(٦) انظر: (٣/ ٤٣٨).

(٧) انظر: (٢/ ٤٣٤).

(٨) انظر: (١/ ١٧٨).

* جَهْلُ الإنسانِ بِنَفْسِهِ وَعُيُوبِ عَمَلِهِ، وَجَهْلُهُ بِرَبِّهِ وَحُقُوقِهِ؛ يَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا: رِضَاهُ بِطَاعَتِهِ، وَإِحْسَانُ ظَنِّهِ بِهَا، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ مِن الْعَجَبِ وَالآفَاتِ؛ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِن الْكَبَائِرِ الظَّاهِرَةِ![1]

* لَا يَأْمَنُ كَرَّاتِ الْقَدَرِ وَسَطْوَتَهُ: إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللهِ! وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِأَعْلَمِ الْخَلْقِ بِهِ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٤][2].

* أَوْقَعَ اللهُ اسْمَ (**الظَّالِم**) عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَتُبْ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْهُ؛ لِجَهْلِهِ بِرَبِّهِ وَبِحَقِّهِ، وَبِعَيْبِ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ! ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١][3].

* أَقَلُّ مَا يُنَالُ مِنْ (تَرْكِ السُّنَنِ): تَفْوِيتُهُ الْأَرْبَاحَ، وَالْمَكَاسِبَ الْعَظِيمَةَ، وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ، وَلَوْ عَرَفَ السِّعْرَ؛ لَمَا فَوَّتَ عَلَىٰ نَفْسِهِ شَيْئًا مِن الْقُرُبَاتِ، وَلَكِنَّهُ جَاهِلٌ بِالسِّعْرِ![4]

* اسْتِقْلَالُ الْعَبْدِ لِلْمَعْصِيَةِ؛ جَهْلٌ بِقَدْرِ مَنْ عَصَاهُ، وَبِقَدْرِ حَقِّهِ[5].

* **الْجَهْلُ نَوْعَانِ**: ١-عَدَمُ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ النَّافِعِ، ٢-وَعَدَمُ الْعَمَلِ بِمُوجَبِهِ وَمُقْتَضَاهُ؛ فَكِلَاهُمَا جَهْلٌ: لُغَةً، وَعُرْفًا، وَشَرْعًا، وَحَقِيقَةً[6].

---

(١) انظر: (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: (١/ ١٩٥).

(٣) انظر: (١/ ١٩٦-١٩٧).

(٤) انظر: (١/ ٢٣٩).

(٥) انظر: (١/ ٢٧٧).

(٦) (١/ ٤٦٧).

المبحث التاسع والخمسون

الحِـكْمَــةُ

(١) حَقِيقَةُ الحِكْمَة

* **الْحِكْمَةُ**: هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ الْعَبْدُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْكَامِلِ وَالنَّاقِصِ، وَيُبْصِرُ بِهِ مَرَاتِبَ الْأَعْمَالِ: رَاجِحَهَا وَمَرْجُوحَهَا، وَمَقْبُولَهَا وَمَرْدُودَهَا[١].

* **(الْحِكْمَةُ)**: فِعْلُ مَا يَنْبَغِي، عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي![٢]

* **أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ**: أَنَّهَا مَعْرِفَةُ الْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَهْمِ الْقُرْآنِ، وَالْفِقْهِ فِي شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ[٣].

(٢) أَنْوَاعُ الحِكْمَة

* **الْحِكْمَةُ حِكْمَتَانِ**: ١-عِلْمِيَّةٌ، ٢-وَعَمَلِيَّةٌ؛ **فَالْعِلْمِيَّةُ**: الِاطِّلَاعُ عَلَىٰ بَوَاطِنِ الْأَشْيَاءِ، وَمَعْرِفَةُ ارْتِبَاطِ الْأَسْبَابِ بِمُسَبَّبَاتِهَا. **والْعَمَلِيَّةُ**: هِيَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ[٤].

(٣) أَرْكَانُ الحِكْمَة

* **الحِكْمَةُ لَهَا ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ**: ١-الْعِلْمُ، ٢-وَالْحِلْمُ، ٣-وَالْأَنَاةُ. **وَآفَاتُهَا وَأَضْدَادُهَا**: الْجَهْلُ، وَالطَّيْشُ، وَالْعَجَلَةُ؛ فَلَا حِكْمَةَ لِجَاهِلٍ، وَلَا طَائِشٍ، وَلَا عَجُولٍ![٥]

---

(١) انظر: (١/ ١٨٩).

(٢) انظر: (٢/ ٤٤٩).

(٣) انظر: (٢/ ٤٤٨).

(٤) انظر: (٢/ ٨٤٤).

(٥) (٢/ ٤٤٩).

❁ مَنْ أَمَّرَ (السُّنَّةَ) عَلَىٰ نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا: نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ! وَمَنْ أَمَّرَ (الْهَوَىٰ) عَلَىٰ نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا: نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور:٥٤][١].

(٤) الحِكْمَةُ فِي الْقُرْآن

❁ الْحِكْمَةُ فِي كِتَابِ اللهِ: ١-مُفْرَدَةٌ، ٢-وَمُقْتَرِنَةٌ بِالْكِتَابِ؛ **فَالْمُفْرَدَةُ**: فُسِّرَتْ بِالنُّبُوَّةِ، وَفُسِّرَتْ بِعِلْمِ الْقُرْآنِ، **وَقِيل**: هِيَ الْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، **وقيل**: هِيَ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ وَفَهْمُهَا[٢].

❁ **الْحِكْمَةُ الْمَقْرُونَةُ بِالْكِتَابِ**: هِيَ السُّنَّةُ، **وَقِيلَ**: هِيَ الْقَضَاءُ بِالْوَحْيِ، وَتَفْسِيرُهَا بِالسُّنَّةِ: أَعَمُّ وَأَشْهَرُ[٣].

(٥) الحُكَمَاء

❁ **أَكْمَلُ الْخَلْقِ حِكْمَةً**: الرُّسُلُ. **وَأَكْمَلُهُمْ**: أُولُو الْعَزْمِ. **وَأَكْمَلُهُمْ**: مُحَمَّدٌ ﷺ؛ وَلِهَذَا امْتَنَّ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ أُمَّتِهِ بها؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء:١١٣][٤].

❁ **كُلُّ نِظَامِ الْوُجُودِ**؛ مُرْتَبِطٌ بِالحِكْمَة. **وَكُلُّ خَلَلٍ فِي الْوُجُودِ**؛ فَسَبَبُهُ: الْإِخْلَالُ بِهَا؛ فَأَكْمَلُ النَّاسِ: أَوْفَرُهُمْ نَصِيبًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الْكَمَالِ: أَقَلُّهُمْ مِنْهَا مِيرَاثًا[٥].

---

(١) (٢/ ٤٣٥).

(٢) انظر: (٢/ ٤٤٨).

(٣) انظر: (٢/ ٤٤٨).

(٤) انظر: (٢/ ٤٤٩).

(٥) انظر: (٢/ ٤٤٩).

المبحث الستون

الفَهْـــمُ

(١) حَقِيْقَةُ الفَهْم

❁ **الْفَهْمُ:** نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي القَلْبِ، يُدْرِكُ مَا لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُ؛ فَيَفْهَمُ مِن النَّصِّ مَا لَا يَفْهَمُهُ غَيْرُهُ، مَعَ اسْتِوَائِهِمَا فِي حِفْظِهِ، وَفَهْمِ أَصْلِ مَعْنَاهُ[١].

(٢) أَسْبَابُ الفَهْم

❁ **الفَهْمُ:** ثَمَرَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُتَابَعَةِ، وَالصِّدْقِ مَعَ اللهِ، وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي تَلَقِّي الْعِلْمِ مِنْ مِشْكَاةِ رَسُولِهِ، وَكَمَالِ الِانْقِيَادِ لَهُ؛ فَيَفْتَحُ اللهُ لَهُ مِنْ فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِأَمْرٍ يَخُصُّهُ بِهِ![٢]

(٣) شَرَفُ الفَهْم

❁ **الْفَهْمُ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ:** عُنْوَانُ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَمَنْشُورُ الْوِلَايَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِيهِ تَفَاوَتَتْ مَرَاتِبُ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ![٣]

❁ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه -وَقَدْ سُئِلَ: هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَيْءٍ؟- فَقَالَ: (**لَا، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، إِلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ**)[٤].

---

(١) انظر: (١/ ٦٥).

(٢) انظر: (٢/ ٤٤٦).

(٣) وَمِنْ ذَلِكَ: فَهْمُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما لِقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]: أَنَّهَا إِعْلَامٌ بِأَجَلِ النبيِّ ﷺ، وَخَفَاءُ ذلك المعنىٰ عَنْ الصَّحَابَةِ. وَابْنُ عَبَّاسٍ إِذْ ذَاكَ أَحْدَثُهُمْ سِنًّا! وَأَيْنَ تَجِدُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: الْإِعْلَامَ بِأَجَلِهِ، لَوْلَا الْفَهْمُ الْخَاصُّ! انظر: (١/ ٦٥).

(٤) انظر: (٢/ ٤٤٦).

(٤) الفَهْمُ القَاصِر

❁ مَا أَكْثَرَ مَا يَنْقُلُ النَّاسُ (الْمَذَاهِبَ الْبَاطِلَةَ) عَنِ الْعُلَمَاءِ، بِالْأَفْهَامِ الْقَاصِرَةِ![١]

❁ تتَقَاصَرُ أَفْهَامُ أَكْثَرِ النَّاسِ؛ فَيُحْتَاجُ مَعَ النَّصِّ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَا يَقَعُ الِاسْتِغْنَاءُ بِالنُّصُوصِ فِي حَقِّهِ، وَأَمَّا فِي حَقِّ صَاحِبِ الْفَهْمِ؛ فَلَا يُحْتَاجُ مَعَ النُّصُوصِ إِلَىٰ غَيْرِهَا[٢].

❁ إِذَا رَأَيْتَ مِنْ (أَدِلَّةِ الدِّينِ) مَا يُشْكَلُ عَلَيْكَ، وَيَنْبُو فَهْمُكَ عَنْهُ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ وَشَرَفِهِ: اسْتَعْصَىٰ عَلَيْكَ، وَأَنَّ تَحْتَهُ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْعِلْمِ، وَلَمْ تُؤْتَ مِفْتَاحَهُ بَعْدُ![٣]

---

(١) (٢/ ٤٠٣).

(٢) انظر: (١/ ٦٥).

(٣) (٢/ ٣١٩).

المبحث الحادي والستون

البَصِيْرَةُ

(١) حَقِيْقَةُ البَصِيْرَة

* الْبَصِيرَةُ: أَعْلَىٰ دَرَجَاتِ الْعِلْمِ، ونِسْبَةُ الْعُلُومِ فِيهَا إِلَىٰ الْقَلْبِ: كَنِسْبَةِ الْمَرْئِيِّ إِلَىٰ الْبَصَرِ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا الصَّحَابَةُ عَنْ سَائِرِ الْأُمَّةِ[١].

* الْبَصِيرَةُ: نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ: يُبْصِرُ بِهِ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ويَرَىٰ بِهِ حَقِيقَةَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ: كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ رَأْيَ عَيْنٍ[٢].

* الْبَصِيرَةُ: نُورٌ يَجْعَلُهُ اللهُ فِي عَيْنِ الْقَلْبِ[٣]، يُفَرِّقُ بِهِ الْعَبْدُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَنِسْبَتُهُ إِلَىٰ الْقَلْبِ: كَنِسْبَةِ ضَوْءِ الْعَيْنِ إِلَىٰ الْعَيْنِ[٤].

(٢) أَنْوَاعُ البَصِيْرَة

* ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ مَن اسْتَكْمَلَهَا؛ اسْتَكْمَلَ الْبَصِيرَةَ:

١- بَصِيرَةٌ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ. ٢- وَبَصِيرَةٌ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

٣- وَبَصِيرَةٌ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِه[٥].

---

(١) انظر: (٢/ ٤٥١).

(٢) انظر: (١/ ١٤٣). وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ بَعْضِهِم: (الْبَصِيرَةُ: تَحَقُّقُ الانْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ، وَالتَّضَرُّرِ بِهِ). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (الْبَصِيرَةُ: مَا خَلَّصَكَ مِن الْحَيْرَةِ: إِمَّا بِإِيمَانٍ، وَإِمَّا بِعِيَانٍ). (١/ ١٤٣).

(٣) قَالَ خالدُ بْن مَعْدَان: (مَا مِنْ عَبْدٍ إِلاَّ وَلَهُ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ: عَيْنَانِ فِي وَجْهِهِ: يُبْصِرُ بِهِمَا أُمُورَ الدُّنْيَا. وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ: يُبْصِرُ بِهِمَا أُمُورَ الآخِرَةِ؛ فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا؛ فَتَحَ عَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِهِ؛ وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ غَيْرَ ذَلِكَ، تَرَكَهُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ!). حلية الأولياء، أبو نعيم (٥/ ٢١٢). باختصار

(٤) (٢/ ٣٢٠).

(٥) انظر: (١/ ١٤٤).

* **الْبَصِيرَةُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**: أَنْ لَا يَتَأَثَّرَ إِيمَانُكَ بِشُبْهَةٍ تُعَارِضُ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ[١].

* **الْبَصِيرَةُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ**: هِيَ أَلَّا يَقُومُ بِالقَلْبِ **شُبْهَةٌ** تُعَارِضُ الْعِلْمَ بِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَلَا **شَهْوَةٌ** تَمْنَعُ مِنْ امْتِثَالِهِ، وَلَا **تَقْلِيدٌ** يُرِيحُهُ عَنْ بَذْلِ الْجُهْدِ فِي تَلَقِّي الْأَحْكَامِ مِنْ مِشْكَاةِ النُّصُوصِ[٢].

* **الْبَصِيرَةُ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ**: هِيَ أَنْ تَشْهَدَ جَزَاءَ اللهِ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ: عَاجِلًا وَآجِلًا؛ فَلَا يَلِيقُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ تَعْطِيلُ الْخَلِيقَةِ، وَإِرْسَالُهَا هَمَلًا، وَتَرْكُهَا سُدىً![٣]

(٣) أَسْبَابُ الْبَصِيْرَة

* **تَفَاوُتُ النَّاسِ فِي الْبَصِيرَةِ**؛ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ وَفَهْمِهَا، وَالْعِلْمِ بِفَسَادِ الشُّبَهِ الْمُخَالَفَةِ لِحَقَائِقِهَا[٤].

* (حُسْنُ التَّأَمُّلِ) لِمَا تَرَىٰ وَتَسْمَع مِنَ الْآيَاتِ الْمَشْهُودَةِ وَالْمَتْلُوَّةِ؛ يُثْمِرُ (صِحَّةَ الْبَصِيرَةِ)[٥].

* (الْبَصِيرَةُ): وَهْبِيَّةٌ، وَكَسَبِيَّةٌ؛ فَمَنْ أَدَارَ النَّظَرَ فِي أَعْلَامِ الْحَقِّ وَأَدِلَّتِهِ، وَتَجَرَّدَ لِلهِ مِنْ هَوَاهُ: اسْتَنَارَتْ بَصِيرَتُهُ، وَرُزِقَ فُرْقَانًا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ[٦].

---

(١) انظر: (١/ ١٤٤).

(٢) انظر: (١/ ١٤٥).

(٣) انظر: (١/ ١٤٥).

(٤) (١/ ١٤٤).

(٥) (٢/ ٣٠).

(٦) (٢/ ٣٢٠).

(٤) فَوَائِدُ البَصِيْرَة

❁ أَشِعَّةُ الْبَصِيرَةِ؛ تَحرِقُ ظُلُمَاتِ الطَّبْعِ![١]

❁ صَاحِبُ البَصِيْرَة: يَنْفَتِحُ فِي قَلْبِهِ (عَيْنٌ) يَرَىٰ بِهَا الْآخِرَةِ وَدَوَامَهَا، وَالدُّنْيَا وَسُرْعَةَ انْقِضَائِهَا![٢]

❁ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْحَسَنَاتِ: آثَارًا مَحْبُوبَةً لَذِيذَةً طَيِّبَةً. وَجَعَلَ لِلسَّيِّئَاتِ: آلَامًا وَآثَارًا مَكْرُوهَةً، وَهَذَا يَعْرِفُهُ صَاحِبُ الْبَصِيرَةِ، وَيَشْهَدُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ[٣].

❁ إِذَا اجْتَمَعَتْ بَصِيرَةُ الْعَبْدِ عَلَىٰ مَشَاهِدِ (الْقَدَرِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ): انْسَدَّ عَنْهُ بَابُ خُصُومَةِ الْخَلْقِ، إِلَّا فِيمَا كَانَ حَقًّا لِلهِ وَرَسُولِهِ[٤].

❁ **النَّجَاةُ مِن الشَّقَاءِ وَالضَّلَالِ**: إِنَّمَا هِيَ فِي الْبَصِيرَةِ؛ فَمَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ: فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ فِي الدُّنْيَا، وَالشَّقَاءِ فِي الْآخِرَةِ![٥]

❁ بِهَذِهِ الْبَصِيرَةِ؛ تَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِ صَاحِبِهَا (يَنَابِيعُ الْمَعَارِفِ)، الَّتِي لَا تُنَالُ بِكَسْبٍ وَلَا دِرَاسَةٍ، إِنْ هُوَ إِلَّا فَهْمٌ يُؤْتِيهِ اللهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ وَدِينِهِ، عَلَىٰ قَدْرِ بَصِيرَةِ قَلْبِهِ[٦].

❁ من نَجَا مِنْ عَقَبَةِ الشَّيْطَانِ: بِبَصِيرَةٍ تَامَّةٍ، وَمَعْرِفَةٍ بِقَدْرِ الطَّاعَةِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا؛ بَخِلَ بِأَوْقَاتِهِ، وَضَنَّ بِأَنْفَاسِهِ[٧] أَنْ تَذْهَبَ فِي غَيْرِ رِبْحٍ![٨]

---

(١) انظر: (٣/ ٢٥١).

(٢) انظر: (١/ ١٤٣).

(٣) انظر: (١/ ٤٢٣).

(٤) (٢/ ٢٢٠).

(٥) (٢/ ٣٢٠).

(٦) (١/ ١٤٨).

(٧) أي بَخِلَ بأَنْفاسِهِ.

(٨) انظر: (١/ ٢٤٠).

❁ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ (حَيْثُ لَا يَرَاهُ بَشَرٌ الْبَتَّةَ): وَهُوَ غَيْرُ خَالِصٍ لِلهِ! وَيَعْمَلُ الْعَمَلَ (وَالْعُيُونُ قَدِ اسْتَدَارَتْ عَلَيْهِ): وَهُوَ خَالِصٌ للهِ؛ وَلَا يُمَيِّزُ هَذَا إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ، وَأَطِبَّاءُ الْقُلُوبِ[١].

❁ الْبَصِيرُ: يُطَالِعُ بِبَصِيرَتِهِ عَلَىٰ عَجَائِبِ حِكْمَةِ اللهِ، ما لَا تَبْلُغُهَا الْعِبَارَةُ، وَلَا تَنَالُهَا الصِّفَةُ[٢].

❁ حَظُّ الْعَبْدِ مِنْ شُهُودِ حِكْمَةِ اللهِ؛ بِحَسَبِ قُوَّةِ بَصِيرَتِهِ، وَكَمَالِ عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِاللهِ وَحُقُوقِهِ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ ذَلِكَ شِرْبٌ مَعْلُومٌ[٣].

❁ الْبَصِيرَةُ: هِيَ أَعْلَىٰ دَرَجَاتِ الْعُلَمَاءِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]: أَيْ أَنَّ أَتْبَاعَهُ ﷺ: هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ، الدَّاعُونَ إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ[٤].

(٥) أَهْلُ الْبَصَائِرِ

❁ أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَالصِّدْقِ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ، السَّائِرِينَ عَلَىٰ جَادَّةِ التَّوْفِيقِ: قَدْ أَنْزَلُوا الْأَعْمَالَ مَنَازِلَهَا، وَعَرَفُوْا مَفْضُوْلَها وَفَاضِلَهَا، وَأَعْطَوْا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ[٥].

❁ **الْعَارِفُونَ وَأَرْبَابُ الْبَصَائِرِ**: إِذَا نَالُوا شَيْئًا مِنْ المواهب؛ انْحَرَفُوا إِلَىٰ طَرَفِ الذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ، وَمُطَالَعَةِ عُيُوبِ النَّفْسِ، وَاسْتَدْعَوْا حَارِسَ الْخَوْفِ[٦].

---

(١) انظر: (١/ ٤٣٨).

(٢) انظر: (١/ ٤١٢).

(٣) انظر: (١/ ٤١٢).

(٤) انظر: (٢/ ٤٥١).

(٥) انظر: (١/ ٢٤٠).

(٦) انظر: (٢/ ٣٧٢).

❁ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ مُنَوَّرَةٌ: يَرَىٰ بِهَا كُلَّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ (مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ وَتَفَاصِيلِهِ)؛ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ رَأْيَ عَيْنٍ![1]

❁ دَلَائِلُ رُبُوبِيَّةِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ؛ يَشْهَدُهَا أُولُو الْبَصَائِرِ عِيَانًا بِبَصَائِرِ قُلُوبِهِمْ؛ فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران:١٩١][2].

❁ **البَاعِثُ عَلَىٰ الْعُبُودِيَّةِ**: الْأَمْرُ، وليس مُجَرَّدَ الرَّأْيِ والهَوىٰ وَالمَحبَّةِ وَالعَادَةِ؛ بل هي مُنَفِّذَةٌ تَابِعَةٌ، لا أَنَّهَا مُطَاعَةٌ بَاعِثَةٌ؛ وَهَذِهِ نُكْتَةٌ لا يَتَنَبَّهُ لَهَا إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ![3]

❁ **الْبَصِيرُ الصَّادِقُ**: يَضْرِبُ فِي كُلِّ غَنِيمَةٍ بِسَهْمٍ، وَيُعَاشِرُ كُلَّ طَائِفَةٍ عَلَىٰ أَحْسَنِ مَا مَعَهَا، وَلَا يَتَحَيَّزُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ، وَيَنْأَىٰ عَنِ الْأُخْرَىٰ بِالْكُلِّيَّةِ[4].

(٦) القَلْبُ البَصِير

❁ أَفَمَنْ رَأَىٰ بِعَيْنِ قَلْبِهِ؛ أَنَّ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَىٰ رَسُولِهِ هُوَ الْحَقُّ: كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ لَا يُبْصِرُ ذَلِكَ؟! قَالَ ﷺ -فِي مَقَامِ الْإِحسَانِ-: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»[5].

❁ **تَصْدِيقُ الْخَبَرِ، وَالْيَقِينُ بِهِ**: يُقَوِّي الْقَلْبَ؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ الْغَيْبُ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدِ بِالْعَيْنِ! فَصَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ: كَأَنَّهُ يَرَىٰ رَبَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، مُطَّلِعًا عَلَىٰ عِبَادِهِ، نَاظِرًا إِلَيْهِمْ[6].

❁ المُؤْمِنُ يُشَاهِدُ بِقَلْبِهِ رَبًّا عَرَّفَتْ بِهِ الرُّسُلُ، فَقَامَ شَاهِدُ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ؛ فَهَذَا إِيمَانُهُ

---

(١) (١/ ٤٠١).

(٢) انظر: (١/ ٤٠٩).

(٣) انظر: (٢/ ٣٢٢).

(٤) انظر: (٢/ ٣٥٠).

(٥) (٣/ ١٤٥).

(٦) (٣/ ١٤٥).

يَجْرِي مَجْرَىٰ الْعِيَانِ، وَإِيمَانُ غَيْرِهِ: تَقْلِيدُ الْعُمْيَانِ![1]

* مُعَايَنَةُ الْقَلْبِ: هِيَ انْكِشَافُ صُورَةِ الْمَعْلُومِ لَهُ، بِحَيْثُ تَكُونُ نِسْبَتُهُ إِلَىٰ الْقَلْبِ: كَنِسْبَةِ الْمَرْئِيِّ إِلَىٰ الْعَيْنِ! ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ﴾ [الحج:٤٦][2].

* الْقَلْبُ يَرَىٰ وَيَسْمَعُ، وَيَعْمَىٰ وَيَصِمُّ. وَعَمَىٰ الْقَلْبِ وَصَمَمُهُ: أَبْلَغُ مِنْ عَمَىٰ الْبَصَرِ وَصَمَمِهِ![3]

* النَّاظِرُ إِلَىٰ الْأَشْيَاءِ (بِعَيْنِ حِسِّهِ)، لَا يُفِيدُهُ مِنْهَا ثَمَرَةَ الِاعْتِبَارِ؛ لِأَنَّهُ يَحَارُ فِيهَا، فَإِنَّ صُوَرَهَا وَأَشْكَالَهَا: تَسْتَفْرِغُ ذِهْنَهُ وَحِسَّهُ، وَتُبَدِّدُ فِكْرَهُ وَقَلْبَهُ[4].

* النَّاظِرُ فِي الْأَشْيَاءِ (بِعَيْنِ قَلْبِهِ): يَبْعَثُهُ عَلَىٰ الْعُبُورِ مِنْ صُوَرِهَا إِلَىٰ حَقَائِقِهَا، وَحِكْمَةِ وُجُودِهَا، وتَمْيِيزِ مَرَاتِبِهَا، وَمَعْرِفَةِ نَافِعِهَا مِنْ ضَارِّهَا، وَقِشْرِهَا مِنْ لُبِّهَا، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الْوَسِيلَةِ وَالْغَايَةِ[5].

(٧) مَوَانِعُ الْبَصِيرَة

* نَفَىٰ اللهُ عَنِ الْكُفَّارِ (الْبَصَر)؛ لِعَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِهِ، أو لِأَنَّ النَّفْيَ تَوَجَّهَ إِلَىٰ (أَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ) وَإِدْرَاكِهَا![6]

* أَضْعَفُ النَّاسِ بَصِيرَةً: أَهْلُ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ؛ لِجَهْلِهِمْ بِالنُّصُوصِ وَمَعَانِيها،

(١) انظر: (٣/ ١٤٦).

(٢) انظر: (٣/ ٢٣١).

(٣) (٣/ ٢٣٢).

(٤) انظر: (٣/ ٢٦٠).

(٥) انظر: (٣/ ٢٦٠).

(٦) انظر: (٢/ ٣٨٥).

وَتَمَكُّنِ الشُّبَهِ الْبَاطِلَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ[١].

* **إِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ الْعَامَّةِ**؛ رَأَيْتَهُمْ أَتَمَّ بَصِيرَةً مِنْ أَهْلِ الكَلَام، وَأَقْوَىٰ إِيمَانًا، وَأَعْظَمَ تَسْلِيمًا لِلْوَحْيِ، وَانْقِيَادًا لِلْحَقِّ[٢].

* **الكُفَّارُ** كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ صُورَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحَاسّة الظَّاهِرَةِ، وَلَا يُبْصِرُونَ صُورَةَ نُبُوَّتِهِ بِالْحَاسَّةِ الْبَاطِنَةِ (الَّتِي هِيَ بَصَرُ الْقَلْبِ)؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨][٣].

* **اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ**: يَطْمِسُ نُورَ الْعَقْلِ، وَيُعْمِي بَصِيرَةَ الْقَلْبِ، وَيَصُدُّ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقّ، وَيُضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَلَا تَحْصُلُ بَصِيرَةُ الْعِبْرَةِ مَعَهُ الْبَتَّةَ![٤]

* **مَنْ لَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ**: أَظْلَمَ قَلْبُهُ، وَعَمِيَ عَنِ الْبَصِيرَةِ، ودَخَلَ قَلْبُهُ فِي الرَّانُّ (وهُوَ الْحِجَابُ الْمَانِعُ لِلْقَلْبِ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ)[٥].

---

(١) انظر: (١/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) انظر: (١/ ١٤٥).

(٣) انظر: (٢/ ٣٨٥).

(٤) انظر: (١/ ٤٤٧).

(٥) انظر: (١/ ١٤٩-١٥٠).

المبحث الثاني والستون

العَقْــلُ

(١) عَلَامَاتُ العَقْلِ

❁ مَنْزِلَةُ التَّذَكُّرِ: مِنْ خَوَاصِّ أُولِي الْأَلْبَابِ؛ ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩](١).

❁ وُجُودُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ: أَظْهَرُ لِلْعُقُولِ وَالْفِطَرِ مِنْ وُجُودِ النَّهَارِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ؛ فَلْيَتَّهِمْهُمَا!(٢)

❁ مَنْ تَرَكَ الْمُقَابَلَةَ وَالِانْتِقَامَ: أَمِنَ مَا هُو شَرٌّ مِنْ ذَلِكَ. وَإِذَا انْتَقَمَ: وَاقَعَهُ الْخَوْفُ وَلَا بُدَّ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزْرَعُ الْعَدَاوَةَ. وَالْعَاقِلُ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ، وَلَوْ كَانَ حَقِيرًا!(٣)

❁ شَأْنُ عُقَلَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَرُؤَسَائِهِمْ: إِذَا مَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مَا يَسُرُّهُمْ وَيُبْسِطُهُمْ وَيُهَيِّجُ أَفْرَاحَهُمْ؛ قَابَلُوهُ بِالسُّكُونِ وَالثَّبَاتِ وَالِاسْتِقْرَارِ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ لَمْ يَهْجُمْ عَلَيْهِمْ!(٤)

(٢) الدِّيْنُ والعَقْلُ

❁ قِيلَ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ -وَقَدْ أَسْلَمَ-: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ أَسْلَمْتَ؟ فقَالَ: (مَا أَمَرَ الرسولُ ﷺ بِشَيْءٍ؛ فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْتَهُ نَهَىٰ عَنْهُ! وَلَا نَهَىٰ عَنْ شَيْءٍ؛ فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْتَهُ أَمَرَ بِهِ!)(٥).

---

(١) انظر: (١/ ٤٣٩-٤٤٠).

(٢) (١/ ٨٣).

(٣) انظر: (٢/ ٣٠٥).

(٤) (٢/ ٣٥٥).

(٥) انظر: (١/ ٢٥٠). قال ابنُ القيِّم: (فَانْظُرْ إِلَىٰ هَـذَا الْأَعْرَابِيِّ، وَصِحَّةِ عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ، وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ!). (١/ ٢٥٠).

* مَا اتَّهَمَ أَحَدٌ (دَلِيلًا لِلدِّينِ)، إِلَّا وَكَانَ الْمُتَّهَمُ هُوَ الْفَاسِدَ الذِّهْن، الْمَأْفُونَ فِي عَقْلِهِ وَذِهْنِهِ؛ فَالْآفَةُ مِن الذِّهْنِ الْعَلِيل، لَا فِي نَفْسِ الدَّلِيلِ![1]

* إِنْ لَمْ يَكُنْ حُسْنُ التَّوْحِيدِ وَقُبْحُ الشِّرْكِ: مَعْلُومًا بِالْعَقْلِ، مُسْتَقِرًّا فِي الْفِطَرِ؛ فَلَا وُثُوقَ بِشَيْءٍ مِنْ قَضَايَا الْعَقْلِ![2]

* (قُبْحُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ): مُسْتَقِرٌّ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ، مَعْلُومٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ، وَعَقْلٌ سَلِيمٌ، وَفِطْرَةٌ صَحِيحَةٌ[3].

* لَوْ رَجَعَ أَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ عُقُولِهِمْ؛ لَعَلِمُوا حُسْنَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَقُبْحَ مُخَالَفَتِهِمْ! ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠][4].

(٣) الْعَقْلَ الْمَعِيشِيُّ

* يَمْلِكُ المنافقونَ **الْعَقْلَ الْمَعِيشِيّ**: وهو أَنْ يكونَ الْفَرِيقَانِ (المؤمنون والكافرون): عَنْهُمْ رَاضِينَ، وَهُمْ بَيْنَهُمْ آمِنِينَ![5]

(٤) العَقْلُ السَّلِيم

* آثَارُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ؛ أَمْرٌ مَشْهُودٌ فِي الْعَالَمِ، لَا يُنْكِرُهُ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ، بَلْ يَعْرِفُهُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ[6].

* نِعْمَةُ اللهِ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَجَذْبِ عَبْدِهِ إِلَىٰ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالتَّنَعُّمِ بِذِكْرِهِ، وَالتَّلَذُّذِ بِطَاعَتِهِ؛ أَعْظَمُ النِّعَمِ، وَهَذَا إِنَّمَا يُدْرَكُ بِنُورِ الْعَقْلِ، وَهِدَايَةِ التَّوْفِيقِ[7].

---

(١) انظر: (٢/ ٣١٩).

(٢) (٣/ ٤٥٥).

(٣) (٣/ ٤٥٥).

(٤) انظر: (١/ ٢٥٤).

(٥) (٣/ ٤٥٥).

(٦) (١/ ٤٢٤).

(٧) انظر: (١/ ١٦٤).

(٥) حَيَاةُ الْعَقْلِ

* حَيَاةُ الْعَقْلِ: نُورٌ يَخُصُّ اللهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَبِحَسَبِ تَفَاوُتِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ النُّورِ؛ يَقَعُ تَفَاوُتُ أَفْهَامِهِمْ؛ وَنِسْبَتُهُ إِلَىٰ الْقَلْبِ: كَنِسْبَةِ النُّورِ الْبَاصِرِ إِلَىٰ الْعَيْنِ![1]

* مِنْ تَجْرِيبَاتِ السَّالِكِينَ -الَّتِي جَرَّبُوهَا فَأَلْفَوْهَا صَحِيحَةً-: أَنَّ مَنْ أَدْمَنَ: (**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**)؛ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ![2]

(٦) العَقْلُ والمَحَبَّة

* الْعُقُولُ تَحْكُمُ بِوُجُوبِ تَقْدِيمِ (مَحَبَّةِ اللهِ) عَلَىٰ مَحَبَّةِ النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ؛ وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُحَكِّمْ عَقْلَهُ بِهَذَا: فَلَا تَعْبَأْ بِعَقْلِهِ![3]

* (الْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَالشِّرْعَةُ)؛ تَدْعُو كُلُّهَا إِلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، بَلْ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ فِي الْمَحَبَّةِ، وَإِنَّمَا جَاءَتِ الرُّسُلُ بِتَقْرِيرِ مَا فِي الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ[4].

(٧) قَوَادِحُ العَقْلِ

* مِمَّا يَحُوْلُ بَيْنَ الإنسانِ وَبَيْنَ حُكْمِ الْعَقْلِ: (سُكْرُ الشَّهْوَةِ، والْغَضَبِ، وَالْفَرَحِ، وَالرِّئَاسَةِ، وَالْخَوْفُ)، وَالشَّبَابُ لَهُ سَكْرَةٌ قَوِيَّةٌ، وَهو شُعْبَةٌ مِن الْجُنُونِ![5]

* مَنْ لَمْ يَرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِلَّا فِي (مَأْكَلِهِ وَمَلْبَسِهِ وَعَافِيَةِ بَدَنِهِ)؛ فَلَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ نُوْرِ الْعَقْلِ![6]

---

(١) انظر: (١/ ٤٤٦).

(٢) (١/ ٤٤٦).

(٣) انظر: (٣/ ٤٣).

(٤) انظر: (٣/ ٤٣).

(٥) انظر: (٣/ ٢٩٤).

(٦) انظر: (١/ ١٦٤).

المبحث الثالث والستون

الفِرَاسَةُ

(١) حَقِيقَةُ الفِرَاسَة

* ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥]: قَالَ مُجَاهِدٌ: (لِلْمُتَفَرِّسِينَ)[١].

* **الْفِرَاسَةُ الصَّادِقَةُ:** نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ، يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ[٢].

* **الفِرَاسَةُ نَوْعَانِ:** ١- فِرَاسَةٌ عُلْوِيَّةٌ شَرِيفَةٌ؛ مُخْتَصَّةٌ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ. ٢- وَفِرَاسَةٌ سُفْلِيَّةٌ دَنِيئَةٌ؛ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ[٣].

* قَالَ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠]. **فَالأَوَّلُ:** فِرَاسَةُ النَّظَرِ وَالْعَيْنِ. **وَالثَّانِي:** فِرَاسَةُ الْأُذُنِ وَالسَّمْعِ[٤].

* مُعْظَمُ تَعَلُّقِ الْفِرَاسَةِ يكون (بِالْعَيْنِ)؛ فَإِنَّهَا مِرْآةُ الْقَلْبِ وَعُنْوَانُ مَا فِيهِ، ثُمَّ (بِاللِّسَانِ)؛ فَإِنَّهُ رَسُولُهُ وَتُرْجُمَانُهُ[٥].

(٢) أَسْبَابُ الفِرَاسَة

* **لِلْفِرَاسَةِ سَبَبَانِ:** ١- جَوْدَةُ ذِهْنِ الْمُتَفَرِّسِ، وَحُسْنُ فِطْنَتِهِ.

---

(١) (١/ ١٤٨).

(٢) انظر: (١/ ١٤٨).

(٣) انظر: (١/ ١٥٠).

(٤) (٢/ ٤٥١).

(٥) انظر: (٢/ ٤٥٦).

٢- وَظُهُورُ الْعَلَامَاتِ عَلَىٰ الْمُتَفَرِّسِ فِيهِ؛ فَإِذَا اجْتَمَعَ السَّبَبَانِ؛ لَمْ تَكَدْ تُخْطِئُ لِلْعَبْدِ فِرَاسَةٌ![1]

* يَقُولُ شَاهُ الْكِرْمَانِيُّ: **(مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَأَمْسَكَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَعَمَّرَ بَاطِنَهُ بِالْمُرَاقَبَةِ، وَظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَتَعَوَّدَ أَكْلَ الْحَلَالِ: لَمْ تُخْطِئْ فِرَاسَتُهُ!)**[2].

* إِذَا تَجَرَّدَتِ النَّفْسُ عَنِ الْعَوَائِقِ؛ صَارَ لَهَا مِنَ الفِرَاسَةِ، بِحَسَبِ تَجَرُّدِهَا، وَهَذِهِ فِرَاسَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ: كَفِرَاسَةِ أَصْحَابِ الرُّؤْيَا وَالْأَطِبَّاءِ[3].

(٣) الْفِرَاسَةُ الإِيمَانِيَّةُ

* **الْفِرَاسَةُ الإِيمَانِيَّةُ:** نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ؛ فَمَنْ كَانَ أَقْوَىٰ إِيمَانًا: فَهُوَ أَحَدُّ فِرَاسَةً[4].

* بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ مُذَكِّرِينَ **بِنُورِ الْوَحْيِ والإيمانِ**؛ فَيَنْضَافُ ذَلِكَ إِلَىٰ **نُورِ الْفِرَاسَةِ**، فَيَصِيرُ نُورًا عَلَىٰ نُورٍ: فَتَقْوَىٰ الْبَصِيرَةُ، وَيَعْظُمُ النُّورُ وَيَدُومُ، بِزِيَادَةِ مَادَّتِهِ وَدَوَامِهَا[5].

* **فِرَاسَةُ الصَّادِقِينَ، الْعَارِفِينَ بِاللهِ:** مُتَّصِلَةٌ بِاللهِ، مُتَعَلِّقَةٌ بِنُورِ الْوَحْيِ والإِيمَانِ، فَمَيَّزَتْ بَيْنَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَمَا يُبْغِضُهُ؛ فَهَذِهِ أَشْرَفُ أَنْوَاعِ الْفِرَاسَةِ، وَأَنْفَعُهَا لِلْعَبْدِ[6].

---

(١) انظر: (٢/ ٤٥٧).

(٢) (٢/ ٤٥٢).

(٣) انظر: (٢/ ٤٥٦).

(٤) انظر: (٢/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٥) انظر: (١/ ١٤٩).

(٦) انظر: (١/ ١٥٠).

(٤) أَفْرَسُ النَّاس

❁ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: ١- تَفَرُّسُ الْعَزِيز فِي يُوسُفَ ٢- وَابْنَةُ شُعَيْبٍ؛ حِينَ قَالَتْ لِأَبِيهَا -فِي مُوسَىٰ-: اسْتَأْجِرْهُ! ٣- وَأَبُو بَكْرٍ فِي عُمَرَ، حَيْثُ اسْتَخْلَفَهُ)**[1].

❁ كَانَ (إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ) مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِرَاسَةً، وَكَذَلِكَ (الشَّافِعِيُّ)، وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ فِرَاسَةِ (شَيْخِ الْإِسْلَامِ) أُمُورًا عَجِيبَةً، وَوَقَائِعُ فِرَاسَتِهِ تَسْتَدْعِي سِفْرًا ضَخْمًا![2]

❁ كَانَ (الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)؛ أَعْظَمَ الْأُمَّةِ فِرَاسَةً، وَبَعْدَهُ (عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)؛ فَإِنَّهُ مَا قَالَ لِشَيْءٍ أَظُنُّهُ كَذَا؛ إِلَّا كَانَ![3].

❁ أَلْهَمَ اللهُ الفِرَاسَةَ لِـ(آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، حِينَ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ. وَ(بَنُوهُ) هُمْ نُسْخَتُهُ وَخُلَفَاؤُهُ؛ فَكُلُّ (قَلْبٍ) فَهُوَ قَابِلٌ لِذَلِكَ[4].

❁ **لِلْأَطِبَّاءِ** فِرَاسَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ حِذْقِهِمْ فِي صِنَاعَتِهِمْ، وَقَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ الطِّبِّ: فِرَاسَةٌ صَادِقَةٌ، يَقْتَرِنُ بِهَا تَجْرِبَةٌ[5].

(٥) الفِرَاسَةُ السُّفْلِيَّة

❁ **الفِرَاسَةُ السُّفْلِيَّة:** هِيَ الْإِخْبَارُ بِبَعْضِ الْمُغَيَّبَاتِ السُّفْلِيَّةِ الَّتِي لَا يَتَضَمَّنُ

---

(١) (٢/ ٤٥٥). بتصرّف

(٢) انظر: (٢/ ٤٥٨).

(٣) انظر: (٢/ ٤٥٥).

(٤) انظر: (١/ ١٤٩).

(٥) انظر: (٢/ ٤٥٦).

كَشْفُهَا كَمَالًا لِلنَّفْسِ![١]

❁ **فِرَاسَةُ الكُفَّارِ**: لَا تَتَعَدَّىٰ السُّفْلِيَّاتِ؛ لِأَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ؛ فَلَا تَصْعَدُ فِرَاسَتُهُمْ إِلَىٰ (التَّمْيِيزِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِ)، وَطَرِيقِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ[٢].

---

(١) انظر: (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: (١/ ١٥٠).

المبحث الرابع والستون
الأَخْـــلاقُ

(١) حَقِيقَةُ الأَخْلَاق

* حُسْنُ الْخُلُقِ: هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ: وَهُوَ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ، وَشَرَائِعُ الْإِسْلَامِ(١).

* الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ؛ فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ: زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ. وقَدْ قِيلَ: إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ: بَذْلُ النَّدَىٰ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَىٰ!(٢)

* قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لَعَلَىٰ دِينٍ عَظِيمٍ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ)(٣).

* اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ: أَنْ رَكَّبَ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ طَبِيعَةٍ مَحْمُولَةٍ عَلَىٰ قُوَّتَيْنِ: ١- غَضَبِيَّةٍ، ٢- وَشَهْوَانِيَّةٍ. وَهَاتَانِ الْقُوَّتَانِ: هُمَا الْحَامِلَتَانِ لِأَخْلَاقِ النَّفْسِ وَصِفَاتِهَا(٤).

(٢) أُصُولُ الأَخْلَاقِ الحَسَنَة

* جَمَعَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ (مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩](٥). قالَ بَعْضُهُمْ: (لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعُ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ!)(٦).

(١) (٢/ ٢٩٢).
(٢) (٢/ ٢٩٤).
(٣) انظر: (٢/ ٢٨٩).
(٤) انظر: (٢/ ٢٩٨).
(٥) انظر: (٢/ ٢٨٩).
(٦) (٢/ ٢٩٠).

❁ ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]. أي: (أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ)(١).

❁ قَالَ «مُجَاهِدٌ» فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف:١٩٩]: (مِثْلُ: قَبُولِ الْأَعْذَارِ، وَالْعَفْوِ وَالْمُسَاهَلَةِ، وَتَرْكِ الِاسْتِقْصَاءِ فِي الْبَحْثِ، وَالتَّفْتِيشِ عَنْ حَقَائِقِ بَوَاطِنِهِمْ)(٢).

❁ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الأعراف:١٩٩]: وَهُوَ كُلُّ مَعْرُوفٍ. وَأَعْرَفُ المعروف: التَّوْحِيدُ، ثُمَّ حُقُوقُ الْعُبُودِيَّةِ، وَحُقُوقُ الْعَبِيدِ(٣).

❁ حُسْنُ الْخُلُقِ يَقُومُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ -لَا يُتَصَوَّرُ قِيَامُ سَاقِهِ إِلَّا عَلَيْهَا-: (١-الصَّبْرُ، ٢- وَالعِفَّةُ، ٣- وَالشَّجَاعَةُ، ٤- وَالْعَدْلُ). وَمَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ؛ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ!(٤)

❁ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ: (١-الْعِلْمِ، ٢-وَالْجُودِ، ٣-وَالصَّبْرِ)؛ يُدْرَكُ السُّلُوكُ الْحَقِيقِيّ، وَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَهْذِيبُهَا؛ لِتَسْتَعِدَّ لِسَيْرِهَا إِلَىٰ صُحْبَةِ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ!(٥)

(٣) أُصُولُ الأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ

❁ مَنْشَأُ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ، عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ: (١-الْجَهْلِ، ٢-وَالظُّلْمِ، ٣-وَالشَّهْوَةِ، ٤-وَالْغَضَبِ). وَمِلَاكُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ؛ أَصْلَانِ: (١-إِفْرَاطُ النَّفْسِ فِي

---

(١) (٢/ ٢٩٠).

(٢) (٢/ ٢٩٠). وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (خُذْ مَا عَفَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ: وَهُوَ الْفَاضِلُ عَنِ الْعِيَالِ، وَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [البقرة:٢١٩]). (٢/ ٢٩١).

(٣) انظر: (٢/ ٢٩١).

(٤) انظر: (٢/ ٢٩٤).

(٥) انظر: (٢/ ٣٠١-٣٠٢).

الضَّعْفِ، ٢-وَإِفْرَاطُهَا فِي الْقُوَّةِ)[١].

* كُلُّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ، مُكْتَنَفٌ بِخُلُقَيْنِ ذَمِيمَيْنِ، وَهُوَ وَسَطٌ بَيْنَهُمَا. وَطَرَفَاهُ: خُلُقَانِ ذَمِيمَانِ: **كَالْجُودِ الَّذِي** يَكْتَنِفُهُ خُلُقَا: (الْبُخْلِ، وَالتَّبْذِيرِ)، **وَكَالتَّوَاضُعِ الَّذِي** يَكْتَنِفُهُ خُلُقَا: (الذُّلِّ، وَالْكِبْرِ)[٢].

* **مُعَامَلَةُ الْخَلْقِ بِالْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ:** يُنَفِّرُهُمْ عَنْهُ، وَيُغْرِيهِمْ بِهِ، وَيُفْسِدُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ وَحَالَهُ وَوَقْتَهُ مَعَ اللهِ![٣]

(٤) فَوَائِدُ الأَخْلَاقِ الحَسَنَة

* **صَاحِبُ الْخُلُقِ الْوَسَطِ:** مَهِيبٌ مَحْبُوبٌ، عَزِيزٌ جَانِبُهُ، حَبِيبٌ لِقَاؤُهُ. وَفِي صِفَةِ نَبِيِّنَا ﷺ: مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً: هَابَهُ. وَمَنْ خَالَطَهُ عِشْرَةً: أَحَبَّهُ![٤]

* **كُلَّمَا كَانَتْ الأَخْلَاقُ فِي صَاحِبِهَا أَكْمَلَ:** كَانَتْ حَيَاتُهُ أَقْوَىٰ وَأَتَمَّ؛ فَإِنَّ الرُّوحَ إِذَا مَاتَتْ: لَمْ تُحِسَّ بِمَا يُؤْلِمُهَا مِن الْقَبَائِحِ؛ فَلَا تَسْتَحِي مِنْهَا، فَإِذَا كَانَتْ صَحِيحَةَ الْحَيَاةِ: أَحَسَّتْ بِذَلِكَ[٥].

* **الأَخْلَاقُ الْفَاضِلَة، وَالصِّفَاتُ الْمَمْدُوحَة:** تَابِعَةٌ لِقُوَّةِ الْحَيَاةِ، وَلِهَذَا كَانَتْ حَيَاةُ الشُّجَاعِ: أَكْمَلَ مِنْ حَيَاةِ الْجَبَانِ، وَحَيَاةُ السَّخِيِّ: أَكْمَلَ مِنْ حَيَاةِ الْبَخِيلِ![٦]

* **لَمَّا كَانَ الأَنْبِيَاءُ أَكْمَلَ النَّاسِ حَيَاةً** -حَتَّىٰ إِنَّ قُوَّةَ حَيَاتِهِمْ تَمْنَعُ الأَرْضَ أَنْ

---

(١) انظر: (٢/ ٢٩٥).

(٢) انظر: (٢/ ٢٩٥).

(٣) انظر: (٢/ ٤٧٨).

(٤) (٢/ ٢٩٧).

(٥) انظر: (٣/ ٢٤٩).

(٦) انظر: (٣/ ٢٤٩).

تُبْلِي أَجْسَامَهُمْ-؛ كَانُوا أَكْمَلَ النَّاسِ أَخلاَقًا، ثُمَّ الْأَمْثَلَ فَالْأَمْثَل مِنْ أَتْباعِهِمْ[١].

❁ (قُوَّةُ الشَّهْوَةِ والغَضَبِ): مَرْكُوزَتَانِ فِي جِبِلَّةِ كُلِّ حَيَوَانٍ؛ فَبِقُوَّةِ الشَّهْوَةِ: يَجْذِبُ الْمَنَافِعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ. وَبِقُوَّةِ الْغَضَبِ: يَدْفَعُ الْمَضَارَّ عَنْهَا[٢].

❁ **الْجُودُ**: يَبْعَثُ الإنسانَ عَلَىٰ الْمُسَامَحَةِ بِحُقُوقِ نَفْسِهِ، وَالِاسْتِقْصَاءِ مِنْهَا بِحُقُوقِ غَيْرِهِ؛ فَالْجُودُ: هُوَ قَائِدُ جُيُوشِ الْخَيْرِ![٣]

❁ لَيْسَ لِلْقَلْبِ أَنْفَعُ مِنْ (مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِاللُّطْفِ): فَإِمَّا (أَجْنَبِيٌّ): فَتَكْسبُ مَوَدَّتَهُ، وَإِمَّا (صَاحِبٌ): فَتَسْتَدِيمُ صُحْبَتَهُ، وَإِمَّا (عَدُوٌّ): فَتُطْفِئُ شَرَّهُ[٤].

(٥) اِكْتِسَابُ الأَخْلَاق

❁ كَثِيرٌ مِن النَّاسِ: يَتَعَلَّمُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مِن الْمَوْصُوفِينَ بِأَضْدَادِهَا! كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِم: أَنَّ لَهُ مَمْلُوكًا سَيِّئَ الْخُلُقِ؛ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: **(أَدْرُسُ عَلَيْهِ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ!)**[٥].

❁ الْعَوَائِدُ وَالْمُزَاوَلَاتِ؛ تُعْطِي الْأَخْلَاقَ والْمَلَكَاتِ[٦].

❁ التَّكَلُّفُ وَالتَّعَمُّلُ فِي أَوَائِلِ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ؛ لَا بُدَّ مِنْهُ[٧].

---

(١) انظر: (٣/ ٢٤٩).

(٢) انظر: (٢/ ٢٩٨).

(٣) انظر: (٢/ ٣٠١).

(٤) انظر: (٢/ ٤٧٨).

(٥) انظر: (٢/ ٣٣٥).

(٦) انظر: (٢/ ٤٥٧).

(٧) (٣/ ٦٩).

المبحث الخامس والستون

الحَيَـــاءُ

(١) حَقِيقَةُ الحيَاء

* مَقَامُ الْحَيَاءِ: جَامِعٌ لِمَقَامِ الْمَعْرِفَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ(١).

* **الْحَيَاءُ مِن اللهِ:** نُورٌ يَقَعُ فِي الْقَلْبِ، يُرِيهِ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ؛ فَيَسْتَحِيي مِنْهُ فِي خَلَوَاتِهِ وَجَلَوَاتِهِ، وَيُرْزَقُ (دَوَامَ الْمُرَاقَبَةِ لله)؛ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ(٢).

* **عَلَىٰ حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ:** يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ: مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ؛ فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَىٰ: كَانَ الْحَيَاءُ أَتَمَّ(٣).

* **الحياءُ:** مِنْ مَقَامَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، غَيْرَ أَنَّه أَقْرَبُ إِلَىٰ مَقَامِ الْإِحْسَانِ، إِذْ أَنْزَلَ نَفْسَهُ مَنْزِلَةَ مَنْ كَأَنَّهُ يَرَىٰ اللهَ؛ فَنبَعَتْ يَنَابِيعُ الْحَيَاءِ مِنْ عَيْنِ قَلْبِهِ، وَتَفَجَّرَتْ عُيُونُهَا!(٤)

* خُلُقُ (الْحَيَاءِ) مُشْتَقٌّ مِن (الْحَيَاةِ): اسْمًا وَحَقِيقَةً؛ فَأَكْمَلُ النَّاسِ حَيَاةً: أَكْمَلُهُمْ حَيَاءً، وَنُقْصَانُ حَيَاءِ الْمَرْءِ: مِنْ نُقْصَانِ حَيَاتِهِ(٥).

(٢) أَنْوَاعُ الحيَاء

* **حَيَاءُ الشَّرَفِ وَالْعِزَّةِ:** هو حَيَاءُ النَّفْسِ إِذَا صَدَرَ مِنْهَا مَا هُوَ دُونَ قَدْرِهَا مِنْ

---

(١) (١/ ١٥٧).

(٢) انظر: (٣/ ٣٥٣).

(٣) انظر: (٢/ ٢٤٩).

(٤) انظر: (٢/ ١٦٥).

(٥) (٣/ ٢٤٩).

بَذْلٍ وَعطَاءٍ، واسْتِحيَاؤُهُ مِن الْآخِذِ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ هُوَ الْآخِذُ السَّائِلُ![1]

* بَعْضُ (أَهْلِ الْكَرَمِ) لَا تُطَاوِعُهُ نَفْسُهُ بِمُوَاجَهَتِهِ لِمَنْ يُعْطِيهِ؛ حَيَاءً مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحْيِي مِنْ خَجْلَةِ الْآخِذِ![2]

* **حَيَاءُ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ**: هُوَ حَيَاءُ النُّفُوسِ الشَّرِيفَةِ مِنْ رِضَاهَا لِنَفْسِهَا بِالنَّقْصِ، وَقَنَاعَتِهَا بِالدُّونِ؛ فَيَجِدُ نَفْسَهُ مُسْتَحِيًا مِنْ نَفْسِهِ، حَتَّىٰ كَأَنَّ لَهُ نَفْسَيْنِ، يَسْتَحْيِي بِإِحْدَاهُمَا مِن الْأُخْرَىٰ![3]

* **حَيَاءُ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ**: أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِن الْحَيَاءِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اسْتَحْيَىٰ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَهُوَ بِأَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْ غَيْرِهِ أَجْدَرُ[4].

(٣) فَوَائِدُ الحَيَاء

* **الْحَيَاءُ**: يَكُفُّ الْعَبْدَ أَنْ يَشْتَكِيَ لِغَيْرِ اللهِ؛ فَيَكُونَ قَدْ شَكَا اللهَ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَلَا يَمْنَعُ الشَّكْوَىٰ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ الشَّكْوَىٰ إِلَيْهِ: فَقْرٌ، وَذِلَّةٌ، وَعُبُودِيَّةٌ[5].

* الْكَبِيرَةُ قَدْ يَقْتَرِنُ بِهَا مِن الْحَيَاءِ؛ مَا يُلْحِقُهَا بِالصَّغَائِرِ، وَقَدْ يَقْتَرِنُ بِالصَّغِيرَةِ مِنْ قِلَّةِ الْحَيَاءِ؛ مَا يُلْحِقُهَا بِالْكَبَائِرِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَرْجِعُهُ إِلَىٰ مَا يَقُومُ بِالْقَلْبِ[6].

* (الْحَيَاءُ) مِنْ شِيَمِ الْأَشْرَافِ، وَأَهْلِ الْكَرَمِ وَالنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ، ويَدُلُّ عَلَىٰ

---

(١) انظر: (٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر: (٢/ ٢٥٢).

(٣) انظر: (٢/ ٢٥٢).

(٤) انظر: (٢/ ٢٥٢).

(٥) انظر: (٢/ ٢٥٤).

(٦) انظر: (١/ ٣٣٧).

مُرَاقَبَةِ اللهِ وتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ؛ فقَلْبُهُ حَاضِرٌ مَعَ اللهِ(١).

❁ فِي الْحَيَاءِ مِن اللهِ: مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مُرَاقَبَتِهِ، وَحُضُورِ الْقَلْبِ مَعَهُ، وَفِيهِ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ، فالْمُسْتَحِي: قَلْبُهُ حَاضِرٌ مَعَ اللهِ، مُرَاعٍ جَانِبَ رَبِّهِ، وَمُلَاحِظٌ عَظَمَتَهُ!(٢)

(٤) أَسْبَابُ الحَيَاء

❁ **الْحَيَاءُ**: رُؤْيَةُ الْآلَاءِ، وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ؛ فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّىٰ (الْحَيَاءُ). وَحَقِيقَتُهُ: خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَىٰ تَرْكِ الْقَبَائِحِ، وَيَمْنَعُ مِن التَّفْرِيطِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ(٣).

❁ أَحْيوا الْحَيَاءَ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ. وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ: بِالْهَيْبَةِ وَالْحَيَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَا مِن الْقَلْبِ؛ لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَيْرٌ!(٤)

❁ **حَيَاءُ الْعُبُودِيَّةِ**: حَيَاءٌ مُمْتَزِجٌ مِنْ مَحَبَّةٍ وَخَوْفٍ، وَمُشَاهَدَةِ عَدَمِ صَلَاحِ عُبُودِيَّتِهِ لِمَعْبُودِهِ، وَأَنَّ قَدْرَهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ مِنْهَا؛ فَعُبُودِيَّتُهُ لَهُ تُوجِبُ اسْتِحْيَاءَهُ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ(٥).

❁ مَتَىٰ عَلِمَ العَبدُ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَىٰ **نَاظِرٌ إِلَيْهِ**؛ أَوْرَثَهُ هَذَا حَيَاءً مِنْهُ، يَجْذِبُهُ إِلَىٰ احْتِمَالِ الطَّاعَةِ: كالْعَبْدِ إِذَا عَمِلَ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ نَشِيطًا، مُحْتَمِلًا لِأَعْبَائِهِ(٦).

---

(١) انظر: (٢/ ١٦٤).

(٢) انظر: (٢/ ١٦٤).

(٣) (٢/ ٢٤٩).

(٤) (٢/ ٢٤٩).

(٥) انظر: (٢/ ٢٥٢).

(٦) انظر: (٢/ ٢٥٣).

(٥) قِلَّةُ الحَيَاء

❋ الرَّبُّ تَعَالَىٰ لَا يَغِيبُ نَظَرُهُ عَنْ عَبْدِهِ، وَلَكِنْ يَغِيبُ نَظَرُ الْقَلْبِ وَالْتِفَاتُهُ إِلَىٰ نَظَرِهِ سُبْحَانَهُ إِلَىٰ الْعَبِيدِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا قَلَّ الْتِفَاتُهُ إِلَىٰ نَظَرِ اللهِ إِلَيْهِ: تَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ قِلَّةُ الْحَيَاء![1]

❋ إِذَا انْحَرَفَتْ النَّفْسُ عَنْ خُلُقِ الْحَيَاءِ؛ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَىٰ قِحَةٍ وَجُرْأَةٍ، وَإِمَّا إِلَىٰ عَجْزٍ وَمَهَانَةٍ، بِحَيْثُ يُطْمِعُ فِي نَفْسِهِ عَدُوَّهُ، وَيَفُوتُهُ كَثِيرٌ مِنْ مَصَالِحِهِ[2].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٥٣).

(٢) انظر: (٢/ ٢٩٥).

المبحث السادس والستون

التَّوَاضُــعُ

(١) حَقِيقَةُ التَّوَاضِعِ

* **التَّوَاضُعُ**: أَنْ يَتَلَقَّىٰ الْعَبْدُ سُلْطَانَ الْحَقِّ بِالْخُضُوعِ، وَالذُّلِّ، وَالِانْقِيَادِ، وَالدُّخُولِ تَحْتَ رِقِّهِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ الْحَقُّ مُتَصَرِّفًا فِيهِ تَصَرُّفَ الْمَالِكِ فِي مَمْلُوكِهِ[(١)].

* **حَقِيقَةُ التَّوَاضُعِ**: خُضُوعُ الْعَبْدِ لِصَوْلَةِ الْحَقِّ، وَانْقِيَادُهُ لَهَا؛ فَلَا يُقَابِلُهَا بِصَوْلَتِهِ عَلَيْهَا[(٢)].

* **التَّوَاضُعُ لِلدِّينِ**: هُوَ الِانْقِيَادُ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ، وَالْإِذْعَانُ[(٣)].

* **مِنَ التَّوَاضُعِ لِلدِّينِ**: أَنْ لَا يُعَارِضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ، بِشَيْءٍ مِنَ الْمُعَارَضَاتِ الْأَرْبَعَةِ: (الْمَعْقُولِ، وَالْقِيَاسِ، وَالذَّوْقِ، وَالسِّيَاسَةِ)[(٤)].

* ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣][(٥)]: أَيْ سَكِينَةً وَوَقَارًا، مُتَوَاضِعِينَ، غَيْرَ أَشِرِينَ، وَلَا مَرِحِينَ وَلَا مُتَكَبِّرِينَ[(٦)].

* ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٤]: لَمْ

---

(١) انظر: (٢/ ٣١٧).

(٢) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٣) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٤) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٥) **الْهَوْنُ**: بِالْفَتْحِ: الرِّفْقُ وَاللِّينُ. **وَالْهُونُ** بِالضَّمِّ: الْهَوَانُ. فَالْمَفْتُوحُ مِنْهُ: صِفَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ. وَالْمَضْمُومُ: صِفَةُ أَهْلِ الْكُفْرَانِ، وَجَزَاؤُهُمْ مِنَ اللهِ: النِّيرَانُ! (٢/ ٣١٠).

(٦) (٢/ ٣١٠).

يُرِدْ بِهِ ذُلَّ الْهَوَانِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ: ذُلُّ رَحْمَةٍ وَعَطْفٍ وَشَفَقَةٍ، ولِيْنٍ وَانْقِيَادٍ[١].

❁ سُئِلَ «الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ» عَنِ التَّوَاضُعِ؟ فَقَالَ: (**يَخْضَعُ لِلْحَقِّ، وَيَنْقَادُ لَهُ، وَيَقْبَلُهُ مِمَّنْ قَالَهُ**). وَقِيلَ: (**التَّوَاضُعُ: أَنْ لَا تَرَىٰ لِنَفْسِكَ قِيمَةً؛ فَمَنْ رَأَىٰ لِنَفْسِهِ قِيمَةً؛ فَلَيْسَ لَهُ فِي التَّوَاضُعِ نَصِيبٌ!**)[٢].

❁ يَنْبَغِي أَنْ تُرَاعِيَ حُقُوقَ النَّاسِ فَتُؤَدِّيَهَا، وَلَا تُطَالِبَهُمْ بِحُقُوقِ نَفْسِكَ، وَتَعْتَرِفَ بِفَضْلِ ذِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ، وَتَنْسَىٰ فَضْلَ نَفْسِكَ![٣]

❁ **الْمُؤْمِنُ**: يَتَّهِمُ نَفْسَهُ فِي اجْتِهَادِهِ؛ فَلَا يَطْغَىٰ بِهِ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَلَا يَعْتَدُّ بِهِ![٤]

❁ **مِنَ التَّوَاضُعِ لِلدِّيْنِ**: أَنْ لَا يَتَّهِمَ دَلِيلًا مِنْ أَدِلَّةِ الدِّينِ: بِحَيْثُ يَظُنُّهُ فَاسِدَ الدَّلَالَةِ، أَوْ نَاقِصَ الدَّلَالَةِ، أَوْ قَاصِرَهَا، أَوْ أَنَّ غَيْرَهُ كَانَ أَوْلَىٰ مِنْهُ؛ وَمَتَىٰ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ فَلْيَتَّهِمْ فَهْمَهُ![٥]

❁ لَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَاضُعِ؛ حَتَّىٰ تَقْبَلَ **الْحَقَّ** مِمَّنْ تُحِبُّ وَمِمَّنْ تُبْغِضُ؛ فَتَقْبَلُهُ مِنْ عَدُوِّكَ، كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ![٦]

❁ **حَقِيقَةُ التَّوَاضُعِ**: أَنَّهُ إِذَا جَاءَكَ الحَقُّ مِنْ عَدُوِّكَ: قَبِلْتَهُ، وَإِذَا كَانَ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ: أَدَّيْتَهُ؛ فَلَا تَمْنَعُكَ عَدَاوَتُهُ مِنْ قَبُولِ حَقِّهِ، وَلَا مِنْ إِيتَائِهِ إِيَّاهُ[٧].

---

(١) انظر: (٢/ ٣١٠).

(٢) (٢/ ٣١٤).

(٣) انظر: (١/ ٥١٩).

(٤) انظر: (٢/ ٦٣).

(٥) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٦) (٢/ ٣٢١).

(٧) انظر: (٢/ ٣٢١).

* مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، ثُمَّ جاءَ يَعْتَذِرُ مِنْ إِسَاءَتِهِ؛ فَإِنَّ التَّوَاضُعَ يُوجِبُ عَلَيْكَ قَبُولَ مَعْذِرَتِهِ، وإِذَا رَأَيْتَ الْخَلَلَ فِي عُذْرِهِ: لَا تُوقِفُهُ عَلَيْهِ، وَلَا تُحَاجُّهُ[1].

* **الْمُتَوَاضِعُ**: لَا يَرَىٰ لِنَفْسِهِ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ لِأَجْلِ عَمَلِهِ؛ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ مَعَ اللهِ: بِالْعُبُودِيَّةِ، وَالْفَقْرِ الْمَحْضِ، وَالذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ[2].

* خُذْ مِنْ النَّاسِ مَا أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَأْخُذَهُ (وَهُوَ الْعَفْوُ)، وَدَعْهُمْ يَطَؤُونَكَ مِنْ لِينِكَ وَتَوَاضُعِكَ، وَخَفْضِ جَنَاحِكَ، بِحَيْثُ لَا تَتْرُكُ لِنَفْسِكَ رُتْبَةً تَتَقَاضَاهُمْ أَنْ يَحْتَرِمُوكَ لِأَجْلِهَا![3]

(٢) أَسْبَابُ التَّوَاضُعِ

* **مَنْ بَذَلَ الطَّاعَةَ لِلهِ وَبِاللهِ**: صَانَهُ ذَلِكَ عَنْ الشِّرْكِ، وَإِذَا شَهِدَ تَقْصِيرَهُ فِيهَا: صَانَهُ عَنِ الْإِعْجَابِ؛ فَيَكُونُ قَائِمًا بِـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥][4].

* مَنْ تَدَارَكَهُ اللهُ بِقَاذُورَةٍ: لِيَكْسِرَ بِهَا نَفْسَهُ، وَيَتُوبَ إِلَىٰ رَبِّهِ؛ فَهِيَ رَحْمَةٌ فِي حَقِّهِ، وَإِلَّا فَهُوَ عَلَىٰ خَطَرٍ![5]

* الْخَيْرُ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْ الْعَبْدِ؛ إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللهِ وَبِهِ، لَا مِنَ الْعَبْدِ، وَلَا بِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١][6].

* **رُؤْيَةُ الْأَعْمَالِ**: حِجَابٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللهِ، وَيُخَلِّصُهُ مِنْهَا: شُهُودُ السَّبْقِ،

---

(١) انظر: (٢/ ٣٢١).

(٢) انظر: (٢/ ٣٢٢).

(٣) انظر: (٢/ ٣٣٨).

(٤) انظر: (٢/ ٤١٨).

(٥) انظر: (١/ ٢٠٥).

(٦) انظر: (٢/ ٩٣).

وَمُطَالِعَةُ الْفَضْلِ(١).

❁ كُلُّ خَيْرٍ فِي الْعَبْدِ؛ فَهُوَ مُجَرَّدُ فَضْلِ اللهِ وَمِنَّتِهِ؛ فَرُؤْيَةُ الْعَبْدِ لِأَعْمَالِهِ فِي الْحَقِيقَةِ؛ كَرُؤْيَتِهِ لِصِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ: مِنْ سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَسَلَامَةِ أَعْضَائِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَالْكُلُّ مُجَرَّدُ عَطَاءِ اللهِ وَنِعْمَتِهِ(٢).

❁ إِذَا وَقَعَ الْعَبْدَ فِي الذَّنْبِ: خَرَجَتْ مِنْ قَلْبِهِ تِلْكَ الْغِلْظَةُ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلْمُذْنِبِيْنَ الْخَاطِئِينَ؛ فَتبَدَّلَتْ تِلْكَ الْغِلْظَةُ والقَسْوَةُ: رَحْمَةً وَلِينًا، مَعَ قِيَامِهِ بِحُدُودِ اللهِ(٣).

❁ كُلَّمَا شَهِدْتَ (حَقِيقَةَ الرُّبُوبِيَّةِ والْعُبُودِيَّةِ)؛ تَبَيَّنَ أَنَّ مَا مَعَكَ مِن الْبِضَاعَةِ لَا يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ الْحَقِّ، وَلَوْ جِئْتَ بِعَمَلِ الثَّقَلَيْنِ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُهُ وَيُثِيبُكَ عَلَيْهِ بِكَرَمِهِ وَتَفَضُّلِهِ!(٤)

❁ مَنْ شَهِدَ وَاجِبَ رَبِّهِ، وَمِقْدَارَ عَمَلِهِ، وَعَيْبَ نَفْسِهِ: لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِن اسْتِغْفَارِ رَبِّهِ مِنْ عَمَلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ إِيَّاهُ، وَاسْتِصْغَارِهِ!(٥)

(٣) احْتِقَارُ العُصَاة

❁ أَكْثَرُ النَّاسِ مِن الْمُتَنَزِّهِينَ عَنِ الْكَبَائِرِ الْحِسِّيَّةِ؛ فِي كَبَائِرَ مِثْلِهَا أَوْ أَعْظَمَ مِنْهَا أَوْ دُونَهَا! وَلَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ أَنَّهَا ذُنُوبٌ؛ لِيَتُوبُوا مِنْهَا!(٦)

---

(١) (٢/ ٤١٧).

(٢) انظر: (٢/ ٩٤).

(٣) انظر: (١/ ٤٢٥-٤٢٦).

(٤) انظر: (١/ ١٩٤).

(٥) انظر: (٢/ ٦٢).

(٦) (١/ ٢٠٥). قال ابنُ القيِّم: (حِجَابُ أَهْلِ الْكَبَائِرِ الظَّاهِرَةِ: أَرَقُّ مِنْ حِجَابِ إِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ الْبَاطِنَةِ! فَكَبَائِرُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْ كَبَائِرِ أُولَئِكَ، فَأَهْلُ الْكَبَائِرِ الظَّاهِرَةِ؛ أَدْنَىٰ إِلَىٰ السَّلَامَةِ مِنْهُمْ!). (٣/ ٢١١). باختصار

* بَعْضُ الْمُتَنَزِّهِينَ عَنِ الْكَبَائِرِ؛ عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِزْرَاءِ عَلَىٰ أَهْلِ الْكَبَائِرِ وَاحْتِقَارِهِمْ؛ مَا هُوَ أَبْغَضُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ كَبَائِرِ أُولَئِكَ![1]

* قال حَاتِمُ الْأَصَمُّ: (**لَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ: فَإِنَّ إِبْلِيسَ بَعْدَ طُولِ الْعِبَادَةِ؛ لَقِيَ مَا لَقِيَ! وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ: فَإِنَّ بَلْعَامَ بْنَ بَاعُورَا، لَقِيَ مَا لَقِيَ! وَكَانَ يَعْرِفُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ**)[2].

* لَوْ بَلَغَ الْعَبْدُ مِن طَّاعَةِ اللهِ مَا بَلَغَ؛ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُفَارِقَهُ **الْحَذَرُ**! وَقَدْ خَافَهُ خِيَارُ خَلْقِهِ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ[3].

* ذَنْبٌ تَذِلُّ بِهِ: أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ **طَاعَةٍ** تُدِلُّ بِهَا[4].

* لَعَلَّ اللهَ أَسْقَىٰ الْمُذْنِبَ بِهَذَا الذَّنْبِ **دَوَاءً** اسْتَخْرَجَ بِهِ دَاءً قَاتِلًا هُوَ فِيكَ، وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ![5]

* طُغْيَانُ الْمَعَاصِي، أَسْلَمُ عَاقِبَةً مِنْ طُغْيَانِ الطَّاعَاتِ![6]

(٤) أَضْرَارُ الكِبْر

* مَنْ أَوْرَثَتْهُ الطَّاعَاتُ جبرُوتًا، وَحَجْبًا عَنْ رُؤْيَتِهِ عُيُوبَ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ، وَكَثُرَتْ حَسَنَاتُهُ فِي عَيْنِهِ؛ فَهُوَ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَىٰ الْهَلَاكِ![7]

---

(١) انظر: (١/ ٢٠٥).

(٢) (١/ ٥١٠).

(٣) انظر: (٣/ ١٠٧).

(٤) انظر: (١/ ١٩٥).

(٥) انظر: (١/ ١٩٥).

(٦) (٣/ ٢١٣).

(٧) انظر: (١/ ٢٧٣-٢٧٤).

❁ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ الرَّبِّ (مَسَافَةٌ)، وَعَلَيْهَا قُطَّاعٌ تَمْنَعُ وُصُولَ الْعَمَلِ إِلَيْهِ: مِنْ كِبْرٍ وَإِعْجَابٍ وَإِدْلَالٍ، وَرُؤْيَةِ الْعَمَلِ، وَنِسْيَانِ الْمِنَّةِ، وَعِلَلٍ خَفِيَّةٍ، لَوِ اسْتَقْصَىٰ فِي طَلَبِهَا؛ لَرَأَىٰ الْعَجَبَ![(١)]

❁ **آفَةُ الْعَبْدِ**: رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَىٰ نَفْسِهِ بِاسْتِحْسَانِ شَيْءٍ مِنْهَا: فَقَدْ أَهْلَكَهَا، وَمَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ عَلَىٰ دَوَامِ الْأَوْقَاتِ: فَهُوَ مَغْرُورٌ![(٢)]

❁ أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصَىٰ اللهَ بِهِ أَبَوَا الثَّقَلَيْنِ: (**الْكِبْرُ، وَالْحِرْصُ**)؛ فَكَانَ الْكِبْرُ: ذَنْبَ إِبْلِيسَ، وَكَانَ الْحِرْصُ: ذَنْبَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ![(٣)]

❁ جَعَلَ اللهُ النَّارَ دَارَ الْمُتَكَبِّرِينَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢][(٤)].

❁ **أَهْلُ الْكِبْرِ وَالتَّجَبُّرِ**: هُمُ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَىٰ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

❁ **مَنْ تَوَاضَعَ للهِ**: رَفَعَهُ، **وَمَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الِانْقِيَادِ لِلْحَقِّ**: أَذَلَّهُ اللهُ وَوَضَعَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ، وَدِينُهُ حَقٌّ؛ فَإِذَا رَدَّهُ الْعَبْدُ وَتَكَبَّرَ عَنْ قَبُولِهِ: فَإِنَّمَا رَدَّ عَلَىٰ اللهِ، وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ![(٥)]

❁ لَمَّا كَانَ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالٌ وَصَوْلَةٌ: كَانَتِ النُّفُوسُ الْمُتَكَبِّرَةُ لَا تُقِرُّ لَهُ بِالصَّوْلَةِ؛ لِكِبْرِهَا[(٦)].

---

(١) (١/ ٤٣٨).

(٢) (٢/ ٩٥).

(٣) انظر: (٢/ ٣١٦).

(٤) انظر: (٢/ ٣١٦).

(٥) انظر: (٢/ ٣١٧).

(٦) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٥) صِفَاتُ الْمُتَكَبِّرِيْن

* **أَهْلُ الْكِبْرِ مِنِ الْمُتَكَلِّمِينَ**: عَارَضُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ بِمَعْقُولَاتِهِم الْفَاسِدَةِ، وَقَالُوا: **إِذَا تَعَارَضَ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ: قَدَّمْنَا الْعَقْلَ، وَعَزَلْنَا النَّقْلَ!**(١)

* **الْمُتَكَبِّرُونَ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ الْفِقْه**: إِذَا تَعَارَضَ عِنْدَهُمْ الْقِيَاسُ وَالنَّص: قَدَّمْوا الْقِيَاسَ عَلَىٰ النَّصِّ!(٢)

* **الْمُتَكَبِّرُونَ مِن الْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ التَّصَوُّفِ وَالزُّهْدِ**: إِذَا تَعَارَضَ عِنْدَهُمُ الذَّوْقُ وَالْأَمْرُ؛ قَدَّمُوا الذَّوْقَ وَالْحَالَ، وَلَمْ يَعْبَؤوا بِالْأَمْرِ!(٣)

* **الْمُتَكَبِّرُونَ مِن الْوُلَاةِ وَالْأُمَرَاءِ الْجَائِرِينَ**: إِذَا تَعَارَضَتْ عِنْدَهُم الشَّرِيعَةُ وَالسِّيَاسَةُ؛ قَدَّمُوا السِّيَاسَةَ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ حُكْمِ الشَّرِيعَةِ!(٤)

(٦) الِافْتِخَار

* **الِافْتِخَارُ الْمَحْمُودُ**: التَّصْرِيحُ بِالنِّعْمَةِ، عَلَىٰ وَجْهِ تَعْظِيمِهَا، وَالتَّحَدُّثِ بِهَا؛ فَافْتِخَارُهُ بِالْمُنْعِمِ وَنِعَمِهِ، لَا بِنَفْسِهِ وَصِفَتِهِ، وَاطْلَاعُهُ لِغَيْرِهِ: تَعْلِيمٌ وَإِرْشَادٌ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»(٥).

---

(١) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٢) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٣) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٤) انظر: (٢/ ٣١٨).

(٥) انظر: (٣/ ٣٩١، ٣٩٣).

المبحث السابع والستون
العِـــــزَّةُ

(١) حَقِيقَةُ العِزَّة

* ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]: هُوَ مِنْ عِزَّةِ الْقُوَّةِ، وَالْمَنَعَةِ، وَالْغَلَبَةِ. قَالَ عَطَاءٌ: (لِلْمُؤْمِنِينَ: كَالْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَعَلَى الْكَافِرِينَ: كَالسَّبُعِ عَلَى فَرِيسَتِهِ!)(١).

(٢) أَسْبَابُ العِزَّة

* إِنَّ لِلطَّاعَةِ وَلِلتَّوْبَةِ: عِزًّا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا! ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨](٢).

* قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: (الْعِزُّ: فِي التَّوَاضُعِ؛ فَمَنْ طَلَبَهُ فِي الْكِبْرِ: فَهُوَ كَتَطَلُّبِ الْمَاءِ مِن النَّارِ!). وقيل: (الشَّرَفُ فِي التَّوَاضُعِ، وَالْعِزُّ فِي التَّقْوَى، وَالْحُرِّيَّةُ فِي الْقَنَاعَةِ)(٣).

(٣) قَوَادِحُ العِزَّة

* مَنْ بَذَلَ سُؤَالَهُ لِغَيْرِ اللهِ: فَقَدْ رَضِيَ بِإِسْقَاطِ شَرَفِ نَفْسِهِ، وَعِزَّةِ تَعَفُّفِهِ؛ إِذْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَأَذْهَبَ عِزَّهَا، وَلَوْلَا الضَّرُورَةُ لَمْ يُبَحْ ذَلِكَ فِي الشَّرْعِ!(٤)

* أَرْبَعَةٌ يَعْشَقُهُمُ (الذُّلُّ) أَشَدَّ الْعِشْقِ: ١- الْكَذَّابُ، ٢- وَالنَّمَّامُ، ٣- وَالْبَخِيلُ، ٤- وَالْجَبَّارُ(٥).

---

(١) (٢/ ٣١١).

(٢) (١/ ٢١٩). تنبيه: قال ابنُ القيِّم: (فَلَا يَكُونُ مَقْصُودُهُ الْعِزَّةَ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهَا تَحْصُلُ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ، فَمَنْ تَابَ لِأَجْلِ الْعِزَّةِ؛ فَتَوْبَتُهُ مَدْخُولَةٌ!). المصدر السابق.

(٣) (٢/ ٣١٤).

(٤) (٢/ ٢٢٣).

(٥) (٢/ ٣١١).

(٤) عِزَّةُ السَّلَف

* كَانَ (ثَوْبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَقَعُ سَوْطُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ؛ فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ: (**نَاوِلْنِيهِ**)، حَتَّىٰ يَنْزِلَ هُوَ فَيَتَنَاوَلَهُ![1]

---

(١) (٢/٢٢٦).

المبحث الثامن والستون

الأَدَبُ

(١) حَقِيْقَةُ الأَدَب

❁ **الأَدَبُ**: حِفْظُ الْحَدِّ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ. **وقِلَّةُ الأَدَبِ**: هو الِانْحِرَافُ إِلَىٰ أَحَدِ طَرَفَيِ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ. **والأَدَبُ**: الْوُقُوفُ فِي الْوَسَطِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ[١].

❁ **حَقِيقَةُ الأَدَبِ**: هِيَ الْعَدْلُ[٢]. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (**دِينُ اللهِ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ، وَالْجَافِي عَنْهُ**)[٣].

❁ **الأَدَبُ**: اجْتِمَاعُ خِصَالِ الْخَيْرِ فِي الْعَبْدِ، وَمِنْهَا (الْمَأْدُبَةُ): وَهِيَ الطَّعَامُ الَّذِي يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ[٤].

❁ **الأَدَبُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ**: ١- أَدَبٌ مَعَ اللهِ سُبْحَانَهُ، ٢- وَأَدَبٌ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ وَشَرْعِهِ، ٣- وَأَدَبٌ مَعَ خَلْقِهِ[٥].

(٢) أَنْوَاعُ الأَدَب

❁ **أَكْبَرُ آدَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا**: الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ، وَحِفْظُ الْعُلُومِ. **وَأَمَّا أَهْلُ الدِّينِ؛ فَأَكْبَرُ آدَابِهِمْ**: طَهَارَةُ الْقُلُوبِ، وَحِفْظُ الْوَقْتِ، وَقِلَّةُ الِالْتِفَاتِ إِلَىٰ الْخَوَاطِرِ![٦]

---

(١) انظر: (٢/ ٣٧٠).

(٢) (٢/ ٣٧١).

(٣) (٢/ ٣٧٠).

(٤) (٢/ ٣٥٦).

(٥) (٢/ ٣٥٦).

(٦) انظر: (٢/ ٣٥٧).

• سُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَنْ أَنْفَعَ الْأَدَبِ؟ فَقَالَ: (**التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا لِلهِ عَلَيْكَ**)(١).

(٣) أَهَمِّيَّةُ الأَدَب

• قَالَ ابْنُ الْمُبَارَك: (**نَحْنُ إِلَىٰ قَلِيلٍ مِن الْأَدَبِ؛ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِن الْعِلْمِ!**)(٢).

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:٦]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**أَدِّبُوهُمْ وَعَلِّمُوهُمْ**)(٣).

• قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ مُعَاذٍ: (**مَنْ تَأَدَّبَ بِأَدَبِ اللهِ؛ صَارَ مِنْ أَهْلِ مَحَبَّةِ اللهِ**)(٤).

• **تَرْكُ الْأَدَبِ**: يُوجِبُ الطَّرْدَ؛ فَمَنْ أَسَاءَ الْأَدَبَ عَلَىٰ الْبِسَاطِ؛ رُدَّ إِلَىٰ الْبَابِ، وَمَنْ أَسَاءَ الْأَدَبَ عَلَىٰ الْبَابِ؛ رُدَّ إِلَىٰ سِيَاسَةِ الدَّوَابِّ!(٥)

• **أَدَبُ الْمَرءِ**: عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ. **وَقِلَّةُ أَدَبِهِ**: عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ؛ فَمَا اسْتُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ حِرْمَانُهُمَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ(٦).

• تَأَمَّلْ أَحْوَالَ كُلِّ شَقِيٍّ: كَيْفَ تَجِدُ (قِلَّةَ الْأَدَبِ) هِيَ الَّتِي سَاقَتْهُ إِلَىٰ الْحِرْمَانِ!(٧)

---

(١) (٢/ ٣٥٦).

(٢) (٢/ ٣٥٦).

(٣) (٢/ ٣٥٥).

(٤) (٢/ ٣٥٦).

(٥) (٢/ ٣٦٨).

(٦) (٢/ ٣٦٨).

(٧) انظر: (٢/ ٣٦٩).

(٤) الأَدَبُ مَعَ اللهِ

* الْأَدَبُ مَعَ اللهِ: هُوَ الْقِيَامُ بِدِينِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا[١].

* لَا يَسْتَقِيمُ (الْأَدَبُ مَعَ اللهِ) إِلَّا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

١- مَعْرِفَتُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

٢- وَمَعْرِفَتُهُ بِدِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَمَا يُحِبُّ وَمَا يَكْرَهُ.

٣- وَنَفْسٌ مُسْتَعِدَّةٌ لِقَبُولِ الْحَقِّ[٢].

* حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ: عُنْوَانُ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ. والْأَدَبُ مَعَ اللهِ: حُسْنُ الصُّحْبَةِ مَعَهُ، وَإِيقَاعُ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالْحَيَاءِ[٣].

* قَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة:١١٦] وَلَمْ يَقُلْ: (لَمْ أَقُلْهُ!)، وَفَرْقٌ بَيْنَ الْجَوَابَيْنِ فِي حَقِيقَةِ الْأَدَبِ[٤].

* ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة:١١٨]: وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ: أَيْ شَأْنُ السَّيِّدِ: رَحْمَةُ عَبِيدِهِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ؛ وَهَؤُلَاءِ عَبِيدُكَ، لَيْسُوا عَبِيدًا لِغَيْرِكَ![٥]

* ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]: وَلَمْ يَقُلْ: (الْغَفُورُ الرَّحِيمُ!)، وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ، فَإِنَّهُ قَالَهُ فِي وَقْتِ غَضَبِ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ،

---

(١) (٢/ ٣٦٥).

(٢) انظر (٢/ ٣٦٥).

(٣) (٢/ ٣٥٧).

(٤) انظر: (٢/ ٣٥٨).

(٥) انظر: (٢/ ٣٥٨).

فَلَيْسَ هُوَ مَقَامَ اسْتِعْطَافٍ وَلَا شَفَاعَةٍ[١].

* قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٠]: وَلَمْ يَقُلْ: (وَإِذَا أَمْرَضَنِي)؛ حِفْظًا لِلْأَدَبِ مَعَ اللهِ[٢].

* قَوْلُ الْخَضِرِ -فِي السَّفِينَةِ-: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩]، وَلَمْ يَقُلْ: (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ أَعِيبَهَا!)[٣].

* قَوْلُ مُؤْمِنِي الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجن:١٠] وَلَمْ يَقُولُوا: (أَرَادَهُ بِهِمْ)، ثُمَّ قَالُوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠][٤].

* قَوْلُ مُوسَىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]: وَلَمْ يَقُلْ: (أَطْعِمْنِي!)[٥].

* قَوْلُ آدَمَ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]: وَلَمْ يَقُلْ: (رَبِّ قَدَرْتَ عَلَيَّ، وَقَضَيْتَ عَلَيَّ!)[٦].

* قَوْلُ أَيُّوبَ عليه السلام: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]. وَلَمْ يَقُلْ: (فَعَافِنِي وَاشْفِنِي!)[٧].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٥٩).

(٢) (٢/ ٣٥٩).

(٣) (٢/ ٣٥٩).

(٤) (٢/ ٣٥٩).

(٥) (٢/ ٣٥٩).

(٦) (٢/ ٣٦٠).

(٧) (٢/ ٣٦٠).

* مِنْ الأَدَبِ: أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ الرَّجُلَ: أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهُ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ؛ أَدَبًا مَعَ اللهِ[١].

* الأَدَبُ مَعِ اللهِ: عَلَىٰ حَسَبِ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنْهُ، وَمَعْرِفَةِ وَقَارِهِ![٢]

(٥) أَدَبُ الصَّلَاة

* (سَتْرُ الْعَوْرَةِ، وَالْوُضُوءُ، وَالتَّطَهُّرُ): كُلُّهُ مِن الْأَدَبِ؛ حَتَّىٰ يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ! وَلِهَذَا كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَجَمَّلَ الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ؛ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ[٣].

* قال تعالىٰ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١]: أَمَرَ اللهُ بِقَدْرٍ زَائِدٍ عَلَىٰ سَتْرِ الْعَوْرَةِ فِي الصَّلَاةِ (وَهِيَ أَخْذُ الزِّينَةِ)؛ إِيذَانًا بِأَنَّ الْعَبْدَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْبَسَ أَزْيَنَ ثِيَابِهِ، وَأَجْمَلَهَا فِي الصَّلَاةِ[٤].

* كَانَ لِبَعْضِ السَّلَفِ حُلَّةٌ بِمَبْلَغٍ عَظِيمٍ مِن الْمَالِ، وَكَانَ يَلْبَسُهَا وَقْتَ الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: (**رَبِّي أَحَقُّ مَنْ تَجَمَّلْتُ لَهُ فِي صَلَاتِي!**)[٥].

* مِن الْأَدَبِ: نَهْيُ النَّبِيِّ ﷺ عن رَفْعِ الْمُصَلِّي بَصَرَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ. يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (**هَذَا مِنْ كَمَالِ أَدَبِ الصَّلَاةِ: أَنْ يَقِفَ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ: مُطْرِقًا، خَافِضًا طَرْفَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ**)[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٦٠).

(٢) انظر: (٢/ ٣٦٠).

(٣) انظر: (٢/ ٣٦٣).

(٤) انظر: (٢/ ٣٦٣).

(٥) (٢/ ٣٦٣).

(٦) انظر: (٢/ ٣٦٤).

❁ مِن الْأَدَبِ مَعَ الْمُلُوكِ: أَنَّ الْوَاقِفَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يُطْرِقُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَلَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَيْهِمْ؛ فَمَا الظَّنُّ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ سُبْحَانَهُ؟![١].

❁ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ: (رَأَيْتُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ فِي الصَّلَاةِ إِلَىٰ أَنْفِهِ؛ فَقَبَضَ عَلَىٰ يَدِهِ!)[٢].

(٦) أَدَبُ النَّبِيِّ ﷺ

❁ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧]: هَذَا وَصْفٌ لِأَدَبِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، إِذْ لَمْ يَلْتَفِتْ جَانِبًا، وَلَا تَجَاوَزَ مَا رَآهُ؛ فَالِالْتِفَاتُ زَيْغٌ، وَالتَّطَلُّعُ إِلَىٰ مَا أَمَامَ الْمَنْظُورِ: طُغْيَانٌ وَمُجَاوَزَةٌ[٣].

❁ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧]: فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَسْرَارٌ عَجِيبَةٌ، وَهِيَ مِنْ غَوَامِضِ الْآدَابِ اللَّائِقَةِ بِأَكْمَلِ الْبَشَرِ ﷺ؛ فَتَوَاطَأَ فِي حَقِّهِ مَشْهَدُ الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ![٤]

❁ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧]: اعْتَدَلَ الْبَصَرُ نَحْوَ الْمَرْئِيِّ، كَمَا اعْتَدَلَ الْقَلْبُ فِي الْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ، وَهَذَا غَايَةُ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ، فَإِنَّ عَادَةَ النُّفُوسِ، إِذَا أُقِيمَتْ فِي مَقَامٍ رَفِيعٍ: تَتَطَلَّعُ إِلَىٰ مَا هُوَ أَعْلَىٰ![٥].

(٧) الْأَدَبُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

❁ رَأْسُ الْأَدَبِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ: كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ، وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، دُونَ مُعَارَضَةٍ أَوْ شُبْهَةٍ أَوْ شَكٍّ، أَوْ أَن يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ، وَزُبَالَاتِ أَذْهَانِهِمْ![٦]

---

(١) (٢/ ٣٦٤).

(٢) (٢/ ٣٥٦).

(٣) انظر: (٢/ ٣٦١).

(٤) انظر: (٢/ ٣٦١).

(٥) انظر: (٢/ ٣٦٢).

(٦) انظر: (٢/ ٣٦٥).

* مِن الْأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَلَا إِذْنٍ وَلَا تَصَرُّفٍ؛ حَتَّىٰ يَأْمُرَ هُوَ، وَيَنْهَىٰ وَيَأْذَنَ[١].

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]: وَهَذَا بَاقٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ: كَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَّاتِهِ![٢].

* مِن الْأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: أَنْ لَا تُرْفَعَ الْأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ؛ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِحُبُوطِ الْأَعْمَالِ؛ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الْآرَاءِ، وَنَتَائِجِ الْأَفْكَارِ، عَلَىٰ سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ؟![٣]

* مِن الْأَدَبِ مَعَ النبيِّ ﷺ: أَنَّ الصحابَةَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ، لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ فِي حَاجَتِهِ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنَهُ[٤]؛ فَكَيْفَ بِأَمْرٍ فِي تَفَاصِيلِ الدِّينِ: هَلْ يُشْرَعُ الذَّهَابُ إِلَيْهِ بِدُونِ اسْتِئْذَانِهِ؟![٥].

* مِن الْأَدَبِ مَعَ النبيِّ ﷺ: أَنْ لَا يُسْتَشْكَلَ قَوْلُهُ، بَلْ تُسْتَشْكَلُ الْآرَاءُ لِقَوْلِهِ، وَأَنْ لَا يُعَارَضَ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ، وَلَا يُحَرَّفَ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَلَا يُوقَفَ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَىٰ مُوَافَقَةِ أَحَدٍ![٦].

* خَصَّ اللهُ بِالْفَلَاحِ مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ فَنَمَّاهَا وَعَلَّاهَا، وَرَفَعَهَا بِآدَابِهِ الَّتِي أَدَّبَ بِهَا

---

(١) (٢/ ٣٦٧).

(٢) انظر: (٢/ ٣٦٧).

(٣) انظر: (٢/ ٣٦٧).

(٤) كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢].

(٥) انظر: (٢/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٦) انظر: (٢/ ٣٦٨).

رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ[1].

❁ انْظُرْ أَدَبَ (الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ عندما قَالَ: **(مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ: أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)**؛ كَيْفَ أَوْرَثَهُ ذلك الأدبُ مَقَامَ الإِمَامَة بَعْدَهُ؟![2]

❁ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ إِجْلَالًا لَهُ! قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ؛ إِجْلَالًا لَه، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ لَكُمْ: لَمَا قَدَرْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ!)**[3].

❁ الْعِصْمَةُ النَّافِعَةُ: أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ -غَيْرَ الْمَعْصُوم ﷺ-: فَمَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ وَمَتْرُوكٌ، وَكُلَّ سَبِيلٍ لَا يُوَافِقُ سَبِيلَهُ: فَمَهْجُورٌ غَيْرُ مَسْلُوكٍ[4].

(٨) الْأَدَبُ مَعَ النَّاسِ

❁ **الْأَدَبُ مَعَ الْخَلْقِ:** هُوَ مُعَامَلَتُهُمْ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ، بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ[5].

❁ قَوْلُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف:١٠٠]: وَلَمْ يَقُلْ: (أَخرَجَنِي مِن الْجُبِّ!)؛ حِفْظًا لِلْأَدَبِ مَعَ إِخْوَتِهِ؛ لِئَلَّا يُخْجِلَهُمْ بِمَا جَرَىٰ فِي الْجُبِّ[6].

❁ قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف:١٠٠]: وَلَمْ يَقُلْ: (رَفَعَ

(١) انظر: (٢/ ٣٦١).

(٢) (٢/ ٣٦٩).

(٣) (٣/ ١٠٠).

(٤) (٢/ ٢٤٠).

(٥) انظر: (٢/ ٣٦٨).

(٦) (٢/ ٣٦٠).

عَنْكُمْ جُهْدَ الْجُوعِ وَالْحَاجَةِ!)؛ أَدَبًا مَعَهُمْ[١].

* ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف:١٠٠]: أَضَافَ (يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَا جَرَىٰ مِنْ أَذَىٰ إِخْوَتِهِ إِلَىٰ (السَّبَبِ)، وَلَمْ يُضِفْهُ إِلَىٰ (الْمُبَاشِرِ)، الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْهُ![٢]

* انْظُرْ إِلَىٰ الْأَدَبِ مَعَ (الْوَالِدَيْنِ): كَيْفَ نَجَّىٰ صَاحِبَهُ مِنْ حَبْسِ الْغَارِ، حِينَ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ![٣]

---

(١) (٢/ ٣٦٠).

(٢) انظر: (٢/ ٣٦٠).

(٣) (٢/ ٣٦٨).

المبحث التاسع والستون

الإِيْثَـــارُ

(١) حَقِيقَةُ الإِيْثَار

* **الإِيثَارُ**: أَنْ يُؤْثِرَ غَيْرَهُ بِالشَّيْءِ، مَعَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ. وَعَكْسُهَا **الأَثَرَةُ**: وَهُوَ اسْتِئْثَارُهُ عَنْ أَخِيهِ، بِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ[١].

* **الإِيثَارُ**: ضِدُّ الشُّحِّ؛ فَإِنَّ الْمُؤْثِرَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، تَارِكٌ لِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. **وَالشَّحِيحُ**: حَرِيصٌ عَلَىٰ مَا لَيْسَ بِيَدِهِ؛ فَإِذَا حَصَلَ بِيَدِهِ شَيْءٌ: بَخِلَ بِإِخْرَاجِهِ[٢].

* سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ؛ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ![٣]

(٢) أَسْبَابُ الإِيْثَار

* **مَحَبَّةُ اللهِ**: تَبْعَثُ عَلَىٰ إِيثَارِ الْحَقِّ عَلَىٰ غَيْرِهِ، وَهِيَ مَحَبَّةٌ تَظْهَرُ مِنْ مُطَالَعَةِ الإِحْسَانِ وَالْمِنَّةِ[٤].

* **إِيثَارُ أَحَبِّ الأَمْرَيْنِ إِلَىٰ اللهِ**: يُعْرَفُ بِنَفْعِ الْعَمَلِ وَثَمَرَتِهِ: مِنْ زِيَادَةِ الإِيمَانِ بِهِ، وَتَرَتُّبِ الْغَايَاتِ الْحَمِيدَةِ عَلَيْهِ[٥].

* إِذَا كَانَ سُخْطُ النَاسِ لَا بُدَّ مِنْهُ؛ فَآثِرْ سُخْطَهُم (الَّذِي يُنَالُ بِهِ رِضَا اللهِ)؛ فَإِنْ هُمْ رَضُوا عَنْكَ بَعْدَ هَذَا، وَإِلَّا فَأَهْوَنُ شَيْءٍ رِضَا مَنْ لَا يَنْفَعُكَ رِضَاهُ، وَلَا يَضُرُّكَ سُخْطُهُ فِي دِينِكَ![٦]

---

(١) انظر: (٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر: (٢/ ٢٧٧).

(٣) (٢/ ٢٧٢).

(٤) انظر: (٣/ ٤٠).

(٥) انظر: (٣/ ١١٣).

(٦) انظر: (٢/ ٢٨٦).

* إِنْ ضَرَّكَ سُخْطُ الناسِ فِي أَمْرٍ يَسِيرٍ فِي الدُّنْيَا؛ فَمَضَرَّةُ سُخْطِ اللهِ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ! وَالْعَاقِلُ: يحْتَمِلُ أَدْنَىٰ الْمَفْسَدَتَيْنِ؛ لِدَفْعِ أَعْلَاهُمَا[١].

* الْبَخِيلُ: مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الشُّحِّ. وَالْمُؤْثِرُ: مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الْجُودِ[٢].

(٣) فَوَائِدُ الإِيْثَار

* إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْكَ -مَعَ كَوْنِكَ مِنْ أَهْلِ الإِيْثَارِ-؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِخَيْرٍ يُرَادُ بِكَ![٣]

* مَنْ آثَرَ رِضَا اللهِ: كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ غَضَبِ الْخَلْقِ، وَإِذَا آثَرَ رِضَاهُمْ: لَمْ يَكْفُوهُ مُؤْنَةَ غَضَبِ اللهِ عَلَيْهِ![٤]

* لَا صَلَاحَ لِلنَّفْسِ؛ إِلَّا بِإِيثَارِ رِضَا رَبِّهَا وَمَوْلَاهَا عَلَىٰ غَيْرِهِ[٥].

(٤) أَهْلُ الإِيْثَار

* قَدَّرَ اللهُ اسْتِئْثَارَ النَّاسِ عَلَىٰ (الْأَنْصَارِ) بِالدُّنْيَا -وَهُمْ أَهْلُ الإِيْثَارِ-؛ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ إِيثَارِهِمْ بِالْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ![٦]

* الْمُؤْثِرُ لِرِضَا اللهِ: مُتَصَدٍّ لِمُعَادَاةِ الْخَلْقِ وَأَذَاهُمْ -وَلَا بُدَّ-، وهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي

---

(١) انظر: (٢/ ٢٨٦).

(٢) (٢/ ٢٧٧). وَعَكْسُ الإيثار: الأَثَرَةُ، وَهِيَ: اسْتِئْثَارُهُ عَنْ أَخِيهِ بِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا ﷺ لِلأَنْصَارِ: (إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً؛ فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ). وَالأَنْصَارُ: هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِالإِيثَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

(٣) (٢/ ٢٧٩).

(٤) انظر: (٢/ ٢٨٦).

(٥) (٢/ ٢٨٦).

(٦) انظر: (٢/ ٢٧٨).

خَلْقِهِ؛ وَإِلَّا فَمَا ذَنْبُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَالَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُمْ؟!(١)

❁ **مَنْ آثَرَ رِضَا اللهِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُعَادِيَهُ رَذَالَةُ الْعَالَمِ وَسَقَطُهُمْ وَجُهَّالُهُمْ، وَأَهْلُ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ مِنْهُمْ!**(٢)

❁ كَانَ صَبْرُ (يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ: مُحَارَبَةً لِلنَّفْسِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ شَابًّا وَعَزَبًا، وَالْمَرْأَةُ جَمِيلَةٌ وَذَاتُ مَنْصِبٍ، وَتَوَعَّدَتْهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِالسِّجْنِ؛ وَمَعَ ذَلِكَ صَبَرَ إِيثَارًا لِمَا عِنْدَ اللهِ!(٣)

(٥) الإِيثَارُ المَذْمُوم

❁ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ: أَنَّ مَنْ آثَرَ **مَرْضَاةَ الْخَلْقِ** عَلَىٰ مَرْضَاتِهِ: أَنْ يُسْخِطَ عَلَيْهِ مَنْ آثَرَ رِضَاهُ، وَيَخْذُلَهُ مِنْ جِهَتِهِ، وَيَجْعَلَ مِحْنَتَهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ؛ فَيَعُودَ حَامِدُهُ ذَامًّا!(٤)

❁ مَنْ آثَرَ **مَرْضَاةَ النَّاسِ** علىٰ مَرْضَاةِ اللهِ؛ فَلَا عَلَىٰ مَقْصُودِهِ حَصَلَ، وَلَا إِلَىٰ مَرْضَاةِ رَبِّهِ وَصَلَ! وَهَذَا أَعْجَزُ الْخَلْقِ وَأَحْمَقُهُمْ!(٥)

❁ (رِضَا الْخَلْقِ): لَا مَقْدُورٌ، وَلَا مَأْمُورٌ، وَلَا مَأْثُورٌ؛ فَهُوَ مُسْتَحِيلٌ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ سُخْطِهِمْ عَلَيْكَ(٦).

❁ كُلُّ سَبَبٍ يَعُودُ عَلَيْكَ بِصَلَاحِ قَلْبِكَ وَوَقْتِكَ وَحَالِكَ مَعَ اللهِ؛ فَلَا تُؤْثِرْ بِهِ أَحَدًا؛ فَإِنْ آثَرْتَ بِهِ؛ فَإِنَّمَا تُؤْثِرُ الشَّيْطَانَ عَلَىٰ اللهِ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ!(٧)

---

(١) انظر: (٢/ ٢٨٧).

(٢) انظر: (٢/ ٢٨٧).

(٣) انظر: (٢/ ١٥٦).

(٤) (٢/ ٢٨٦).

(٥) انظر: (٢/ ٢٨٦).

(٦) (٢/ ٢٨٦).

(٧) (٢/ ٢٨٤).

المبحث السبعون
الغَيْـرَةُ

(١) أَهَمِيَّةُ الغَيْرَة

❋ الْغَيْرَةُ: مَنْزِلَةٌ شَرِيفَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، جَلِيلَةُ الْمِقْدَارِ. وعَلَىٰ قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَقِّ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ؛ تَكُونُ الْغَيْرَةُ عَلَيْهِ[١].

(٢) غَيْرَةُ الله

❋ الْحَقُّ ﷻ (غَيُورٌ): لَا يَرْضَىٰ مِمَّنْ عَرَفَهُ وَوَجَدَ حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَاتَّصَلَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّتِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ، وَتَعَلَّقَتْ رُوحُهُ بِإِرَادَةِ وَجْهِهِ الْأَعْلَىٰ؛ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْتِفَاتٌ إِلَىٰ غَيْرِهِ الْبَتَّةَ[٢].

❋ قَالَ بَعْضُهُمْ: احْذَرِ اللهَ؛ فَإِنَّهُ غَيُورٌ، لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ سِوَاهُ![٣]

❋ **اللهُ يَغَارُ عَلَىٰ عَبْدِهِ**: أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَىٰ سِوَاهُ؛ فَإِذَا أَذَاقَهُ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِهِ، ثُمَّ سَاكَنَ غَيْرَهُ: بَاعَدَهُ مِنْ قُرْبِهِ، وَشَتَّتَ قَلْبَهُ، وَنَغَّصَ عَيْشَهُ، وَأَلْبَسَهُ رِدَاءَ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ![٤]

❋ **غَيْرَةُ الرَّبِّ عَلَىٰ عَبْدِهِ**: هِيَ أَنْ لَا يَجْعَلَهُ لِلْخَلْقِ عَبْدًا، بَلْ يَتَّخِذُهُ لِنَفْسِهِ عَبْدًا؛ فَلَا يَجْعَلُ لَهُ فِيهِ شُرَكَاءَ مُتَشَاكِسِينَ، بَلْ يُفْرِدُهُ لِنَفْسِهِ![٥]

❋ جَعَلَ اللهُ بَيْنَ الكُفَّارِ وَبَيْنَ كَلَامِهِ: حِجَابًا مَسْتُورًا عَنِ الْعُيُونِ؛ **غَيْرَةً عَلَيْهِ** أَنْ

---

(١) انظر: (١/ ١٤٦) (٣/ ٤٥).

(٢) (٣/ ٣٠٧).

(٣) انظر: (٣/ ٣٠٨).

(٤) انظر: (٣/ ٣٠٧).

(٥) انظر: (٣/ ٤٥).

يَنالَهُ مَنْ لَيسَ أَهْلًا! ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥][1].

✽ **مِنْ غَيْرَةِ اللهِ:** أَنَّ آدمَ عليه السلام لَمَّا ساكَنَ بِقَلْبِهِ الْجَنَّةَ، وَحَرِصَ عَلَىٰ الْخُلُودِ فِيهَا: أَخْرَجَهُ مِنْهَا، وأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أَخَذَ إِسْمَاعِيلُ شُعْبَةً مِنْ قَلْبِهِ: أَمَرَهُ بِذَبْحِهِ؛ حَتَّىٰ يُخْرِجَ مِنْ قَلْبِهِ ذَلِكَ الْمُزَاحِمَ[2].

✽ أَمَرَ اللهُ الْخَلِيلَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ؛ لِأَنَّهُ تَعَلَّقَتْ بِهِ شُعْبَةٌ مِنْ قَلْبِهِ، **وَالْخُلَّةُ:** مَنْصِبٌ لَا يَقْبَلُ الشَّرِكَةَ وَالْقِسْمَةَ؛ فَغَارَ الْخَلِيلُ عَلَىٰ خَلِيلِهِ: أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ لِغَيْرِهِ؛ فَأَمَرَهُ بِذَبْحِ الْوَلَدِ![3]

(٣) غَيْرَةُ الْمُؤْمِنِ

✽ **مِنْ غَيْرَةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ:** أَنْ لَا يَجْعَلَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَوْقَاتِهِ وَأَنْفَاسِهِ لِغَيْرِ رَبِّهِ، وَأَنْ يَغْضَبَ لِمَحَارِمِهِ إِذَا انْتَهَكَهَا الْمُنْتَهِكُونَ، وَلِحُقُوقِهِ إِذَا تَهَاوَنَ بِهَا الْمُتَهَاوِنُونَ![4]

✽ **الْوَقْتُ** أَعَزُّ شَيْءٍ يَغَارُ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ: أَنْ يَنْقَضِيَ بِدُونِ الْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ؛ لِأَنَّ الْوَقْتَ إِذَا فَاتَ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ تَدَارُكِهِ الْبَتَّةَ![5]

✽ الْمُؤْمِنُ يَغَارُ عَلَىٰ مَا ضَاعَ عَلَيْهِ مِنْ **عَمَلٍ صَالِحٍ**؛ فَهُوَ يَسْتَرِدُّ ضَيَاعَهُ، وَيَجْبُرُ مَا

---

(١) انظر: (٣/ ٤٤).

(٢) انظر: (٣/ ٣٠٨).

(٣) انظر: (٣/ ٣٣).

(٤) انظر: (٣/ ٤٥).

(٥) انظر: (٣/ ٥٠).

فَاتَهُ مِن الْأَوْرَادِ وَالنَّوَافِلِ؛ فَيَقْضِي مَا يَنْفَعُ فِيهِ الْقَضَاءُ، وَيُعَوِّضُ مَا يَقْبَلُ الْعِوَضَ[١].

❁ **الْمُؤْمِنُ كَالنَّخْلَةِ**، كُلُّهَا مَنْفَعَةٌ حَتَّىٰ شَوْكُهَا، وَهُوَ مَوْضِعُ الْغِلْظَةِ مِنْهُ عَلَىٰ الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللهِ، وَالْغَضَبِ إِذَا انْتُهِكَتْ مَحَارِمُ اللهِ[٢].

---

(١) انظر: (٣/ ٤٩).

(٢) انظر: (١/ ١١١).

المبحث الحادي والسبعون

الـمُـــرُوْءَةُ

(١) حَقِيقَةُ المُرُوْءَة

* **حَقِيقَةُ المُرُوْءَةِ:** تَجَنُّبُ الدَّنَايَا وَالرَّذَائِلِ: مِن الْأَقْوَالِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ[١]. **وَقِيْلَ:** هِيَ اتِّصَافُ النَّفْسِ بِصِفَاتِ الإِنْسَانِ، الَّتِي فَارَقَ بِهَا الْحَيَوَانَ الْبَهِيمَ، وَالشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ![٢].

* **قِيلَ فِي حَدِّ الْمُرُوءَةِ:** إِنَّهَا غَلَبَةُ الْعَقْلِ لِلشَّهْوَةِ. **وقيل:** هِيَ اسْتِعْمَالُ مَا يُجَمِّلُ الْعَبْدَ وَيَزِينُهُ، وَتَرْكُ مَا يُدَنِّسُهُ وَيَشِينُهُ. **وَقِيلَ:** الْمُرُوءَةُ: اسْتِعْمَالُ كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَاجْتِنَابُ كُلِّ خُلُقٍ قَبِيحٍ[٣].

(٢) أَنْوَاعُ المُرُوْءَة

* **مُرُوْءَةُ الْإِحْسَانِ والْبَذْلِ:** تَعْجِيلُهُ وَتَيْسِيرُهُ، وَتَوْفِيرُهُ، وَعَدَمُ رُؤْيَتِهِ حَالَ وُقُوعِهِ، وَنِسْيَانُهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ![٤]

* **مُرُوءَةُ التَّرْكِ:** تَرْكُ الْخِصَامِ وَالْمُعَاتَبَةِ، وَالْمُطَالَبَةِ وَالْمُمَارَاةِ، وَالْإِغْضَاءُ عَنْ عَيْبِ مَا يَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّكَ، وَتَرْكُ الِاسْتِقْصَاءِ فِي طَلَبِهِ[٥].

* **مِن الْمُرُوْءَةِ:** التَّغَافُلُ عَنْ عَثَرَاتِ النَّاسِ، وَإِشْعَارُهُمْ أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَثْرَةً، وَالتَّوْقِيرُ لِلْكَبِيرِ، وَحِفْظُ حُرْمَةِ النَّظِيرِ، وَرِعَايَةُ أَدَبِ الصَّغِيرِ[٦].

---

(١) (٢/ ٣٣٤).

(٢) انظر: (٢/ ٣٣٤).

(٣) (٢/ ٣٣٤).

(٤) انظر: (٢/ ٣٣٥).

(٥) (٢/ ٣٣٥).

(٦) انظر: (٢/ ٣٣٥).

المبحث الثاني والسبعون

الفُتُـــوَّةُ

(١) حَقِيقَةُ الفُتُوَّة

* مَنْزِلَـةُ الْفُتُـوَّةِ: هِـيَ الْإِحْسَـانُ إِلَـىٰ النَّـاسِ، وَكَـفُّ الْأَذَىٰ عَنْهُـمْ، وَاحْتِمَـالُ أَذَاهُـمْ[١].

* لَيْسَ مِن الْفُتُوَّةِ: أَنْ تَرْبَحَ عَلَىٰ صَدِيقِكَ![٢]

* الفُتُوَّةُ: تَرْكُ الْخُصُومَةِ، وَالتَّغَافُلُ عَنِ الزَّلَّةِ، وَنِسْيَانُ الْأَذِيَّةِ[٣].

* مِن الْفُتُوَّةِ: أَنْ تَنْسَىٰ أَذِيَّةَ مَنْ نَالَكَ بِأَذًىٰ؛ لِيَصْفُوَ قَلْبُكَ لَهُ. وَنِسْيَانٌ آخَرُ: وهو نِسْيَانُ إِحْسَانِكَ إِلَىٰ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ، وَهَذَا أَكْمَلُ مِن الْأَوَّلِ[٤].

* الفُتُوَّةُ: تَتَضَمَّنُ الْإِحْسَانَ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَمُعَامَلَتَهُ بِضِدِّ مَا عَامَلَكَ بِهِ![٥]

(٢) فُتُوَّةُ ابْنِ تَيْمِيَّة

* مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَجْمَعَ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنْ (شَيْخِ الْإِسْلَامِ). قال بَعْضُ أَصْحَابِهِ: (وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي؛ مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ!)[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٢٣).

(٢) (٢/ ٣٢٦).

(٣) انظر: (٢/ ٣٢٧).

(٤) انظر: (٢/ ٣٢٨).

(٥) انظر: (٢/ ٣٢٨).

(٦) انظر: (٢/ ٣٢٨).

❁ مَا رَأَيْتُ (شَيْخَ الإِسْلامِ) يَدْعُو عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ، وَجِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرِ أَعْدَائِهِ؛ فَنَهَرَنِي وَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ وَقَالَ: (**إِنِّي لَكُمْ مَكَانَهُ!**)(١).

---

(١) انظر: (٢/ ٣٢٩).

المبحث الثالث والسبعون

الهِجْــــرَةُ

(١) حَقِيْقَةُ الهِجْرَة

* كُلُّ مُتَوَجِّهٍ إِلَىٰ اللهِ بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ، فَإِنَّهُ مِن الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ هَذِهِ الْهِجْرَةِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَصْحَبَهَا سَرْمَدًا، حَتَّىٰ يَلْحَقَ بِاللهِ![1]

* لِله عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ هِجْرَتَانِ:

١- هِجْرَةٌ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ.

٢- وَهِجْرَةٌ إِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ[2].

(٢) الهِجْرَةُ إِلَىٰ الله

* الْهِجْرَةُ إِلَىٰ اللهِ: بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالْحُبِّ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالْعُبُودِيَّةِ[3].

* لَا يَسْتَقِرُّ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْوُصُولِ إِلَىٰ اللهِ! ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢][4].

* الْغَايَاتُ وَالنِّهَايَاتُ كُلُّهَا تَنْتَهِي إلىٰ اللهِ! ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢]، وَلَيْسَ لَهُ سُبْحَانَهُ غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ: لَا فِي وُجُودِهِ، وَلَا فِي مَزِيدِ جُودِهِ![5]

---

(١) (٢/ ٤٣٣).

(٢) انظر: (٢/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٣) انظر: (٢/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٤) انظر: (٣/ ٢١٢).

(٥) انظر: (٢/ ٢٥٦).

(٣) الهِجْرَةُ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ

* **الهِجْرَةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ**: بِالتَّحْكِيمِ لَهُ، وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ، وَالِانْقِيَادِ لِحُكْمِهِ، وَتَلَقِّي الأَحْكَامِ مِنْ مِشْكَاتِهِ[١].

* مَا لَمْ يَكُنْ لِلقَلْبِ **هِجْرَةٌ إِلىٰ اللهِ وَرَسُوْلِهِ**؛ فَلْيَحْثُ عَلَىٰ رَأْسِهِ الرَّمَادَ، وَلْيُرَاجِعِ الْإِيمَانَ مِنْ أَصْلِهِ، فَيَرْجِعَ وَرَاءَهُ لِيَقْتَبِسَ نُورًا، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَيُقَالَ لَهُ ذَلِكَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ![٢]

---

(١) انظر: (٢/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٢) انظر: (٢/ ٤٣٣-٤٣٤).

المبحث الرابع والسبعون
الفِـــرَارُ

(١) أَنْوَاعُ الفِرَار

❁ قالَ تَعالَىٰ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات:٥٠]: هُوَ الْفِرَارُ مِن الْجَهْلَيْنِ:

١- مِن الْجَهْلِ بِالْعِلْمِ إِلَىٰ تَحْصِيلِهِ.

٢- وَمِن جَهْلِ الْعَمَلِ إِلَىٰ السَّعْيِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمِنَ الْكَسَلِ إِلَىٰ التَّشْمِيرِ[١].

❁ **فِرَارُ السُّعَدَاءِ**: الْفِرَارُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ. **وَفِرَارُ الْأَشْقِيَاءِ**: الْفِرَارُ مِنْهُ **لَا إِلَيْهِ!**[٢]

(٢) الفِرَارُ إِلَىٰ الله

❁ فِي الْقَلْبِ **حُزْنٌ**: لَا يُذْهِبُهُ إِلَّا السُّرُورُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ، وَصِدْقِ مُعَامَلَتِهِ، وَفِيهِ **قَلَقٌ**: لَا يُسَكِّنُهُ إِلَّا الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَالْفِرَارُ مِنْهُ إِلَيْهِ[٣].

❁ ما الظَّنُّ بِمَنْ هُوَ أَرْحَمُ مِن الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا: **إِذَا فَرَّ عَبْدٌ إِلَيْهِ**، وَهَرَبَ مِنْ عَدُوِّهِ إِلَيْهِ، وَأَلْقَىٰ بِنَفْسِهِ طَرِيحًا بِبَابِهِ، يُمَرِّغُ خَدَّهُ فِي ثَرَىٰ أَعْتَابِهِ![٤]

---

(١) انظر: (١/ ٤٦٧).

(٢) (١/ ٤٦٧).

(٣) انظر: (٣/ ١٥٦).

(٤) انظر: (١/ ٤٢٩).

المبحث الخامس والسبعون
الأَعْمَالُ القَلْبِيَّةُ المُرَكَّبَةُ

(١) الصَّبْرُ والشُّكْر

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: **(لَا أُبَالِي عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ أَصْبَحْتُ أَوْ أَمْسَيْتُ؛ إِنْ كَانَ الْغِنَىٰ: إِنَّ فِيهِ للشُّكْرِ، وَإِنْ كَانَ الْفَقْرَ: إِنَّ فِيهِ للصَّبْرِ)**[١].

* **الْقَلْبُ يَعْرِضُ لَهُ حَالَتَانِ:**

١- حَالَةُ حَزْنٍ عَلَىٰ مَفْقُودٍ.

٢- وَحَالَةُ فَرَحٍ بِمَوْجُودٍ، وَلَهُ فِي الْحَالَتَيْنِ عُبُودِيَّتَانِ:

١- عُبُودِيَّةُ الرِّضَىٰ والصَّبرِ عِنْدَ الحُزْنِ.

٢- وعُبُودِيَّةُ الشُّكْرِ عِنْدَ الفَرَحِ[٢].

(٢) المَحَبَّةُ والخَوْفُ والرَّجَاء

* القَلْبُ فِي (سَيْرِهِ إِلىٰ اللهِ) بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ: **فالمحَبَّةُ**: رَأْسُهُ. **والخوفُ والرَّجَاءُ**: جَنَاحَاهُ. واللهُ المُوْصِلُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ![٣]

* كُلُّ مَحَبَّةٍ فَهِيَ مَصْحُوبَةٌ **بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ**، وَعَلَىٰ قَدْرِ تَمَكُّنِهَا مِنْ قَلْبِ الْمُحِبِّ: يَشْتَدُّ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ[٤].

* **خَوْفُ الْمُحِبِّ**: لَا يَصْحَبُهُ وَحْشَةٌ، بِخِلَافِ خَوْفِ الْمُسِيءِ. **وَرَجَاءُ الْمُحِبِّ**:

---

(١) (١/ ٤٩٧).

(٢) انظر: (١/ ٤٩٤-٤٩٥).

(٣) انظر: (١/ ٥١٣).

(٤) (٢/ ٤٣).

لَا يَصْحَبُهُ عِلَّةٌ، بِخِلَافِ رَجَاءِ الْأَجِيرِ![(١)]

* (الرَّجَاءُ، والْحُبُّ، وَالْخَوْفُ): عَلَيْها مَدَارُ السَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ[(٢)].

* ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧]، فَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ: مِن الْحُبِّ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ[(٣)].

* (الْحُبُّ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ): هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَىٰ عِمَارَةِ الْوَقْتِ بِمَا هُوَ الْأَوْلَىٰ لِصَاحِبِهِ، وَالْأَنْفَعُ لَهُ، وَهِيَ أَسَاسُ السُّلُوكِ، وَالسَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ[(٤)].

(٣) الخَوْفُ والرَّجَاء

* الْخَوْفُ: مُسْتَلْزِمٌ لِلرَّجَاءِ. وَالرَّجَاءُ: مُسْتَلْزِمٌ لِلْخَوْفِ؛ فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ، وَكُلُّ خَائِفٍ رَاجٍ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح:١٣][(٥)].

* السَّلَفُ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَىٰ (فِي الصِّحَّةِ): جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَىٰ جَنَاحِ الرَّجَاءِ. وَعِنْدَ (الْخُرُوجِ مِن الدُّنْيَا): يَقْوَىٰ جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَىٰ جَنَاحِ الْخَوْفِ[(٦)].

* الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ: كَجَنَاحَيِ الطَّائِرِ؛ إِذَا اسْتَوَيَا: اسْتَوَىٰ الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيَرَانُهُ. وَإِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا: وَقَعَ فِيهِ النَّقْصُ. وَإِذَا ذَهَبَا: صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ![(٧)].

(١) (٢/ ٤٣).

(٢) انظر: (٢/ ٤٢).

(٣) (٢/ ٤٢).

(٤) (٣/ ١٢٨).

(٥) انظر: (٢/ ٥١).

(٦) (١/ ٥١٣).

(٧) (٢/ ٣٧).

* **الرَّجَاءُ مُلَازِمٌ لِلْخَوْفِ**؛ فَكُلُّ رَاجٍ: خَائِفٌ مِنْ فَوَاتِ مَرْجُوِّهِ. وَالْخَوْفُ بِلَا رَجَاءٍ: يَأْسٌ وَقُنُوطٌ(١).

* **الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ**: يُفَارِقَانِ أَهْلَ الْجَنَّةِ؛ بِحُصُولِ مَا كَانُوا يَرْجُونَهُ، وَأَمْنِهِمْ مِمَّا كَانُوا يَخَافُونَهُ. وَإِنْ كَانَ رَجَاؤُهُمْ دَائِمًا، لَكِنَّهُ لَيْسَ رَجَاءً مَشُوبًا بِشَكٍّ، بَلْ رَجَاءٌ وَاثِقٌ بِوَعْدٍ صَادِقٍ، مِنْ حَبِيبٍ قَادِرٍ!(٢).

(٤) التَّوَكُّلُ والإِنَابَة

* **التَّوَكُّلُ**: نِصْفُ الدِّينِ. وَالنِّصْفُ الثَّانِي: **الإِنَابَةُ**؛ فَإِنَّ الدِّينَ اسْتِعَانَةٌ وَعِبَادَةٌ؛ **فَالتَّوَكُّلُ**: هُوَ الِاسْتِعَانَةُ، **وَالإِنَابَةُ**: هِيَ الْعِبَادَةُ(٣).

(٥) الصَّبْرُ والرِّضَا

* إِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ لِلهِ **بِالرِّضَا** مَعَ الْيَقِينِ: فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ: فَإِنَّ فِي **الصَّبْرِ** عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ النَّفْسُ خَيْرًا كَثِيرًا(٤).

* قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: (**إِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرْضَىٰ، وَإِلَّا فَاصْبِرْ**)(٥).

(٦) الرَّغْبَةُ والرَّهْبَة

* **الْمُنِيبُ**: يحتاجُ إِلَىٰ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. **وَالْمُعْرِضُ**: يحتاجُ إِلَىٰ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ. **وَالْمُتَكَبِّرُ**: يحتاج إِلَىٰ الْمُجَادَلَةِ! ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥](٦).

---

(١) انظر: (٢/ ٥١)

(٢) انظر: (٢/ ١٧٣).

(٣) (٢/ ١١٣).

(٤) (٢/ ١٤٤).

(٥) (٢/ ١٧٥).

(٦) انظر: (١/ ٤٤٤).

المبحث السادس والسبعون

فُرُوقٌ قَلْبِيَّة

(١) الفُتُوَّةُ والمُرُوْءَةُ

❁ **الْفُتُوَّةُ**: نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُرُوءَةِ. **فَالْمُرُوءَة**: اسْتِعْمَالُ مَا يَجْمُلُ وَيَزِينُ، وَتَرْكُ مَا يُدَنِّسُ وَيُشِينُ، مِمَّا هُوَ مُخْتَصٌّ بِالْعَبْدِ، أَوْ مُتَعَدٍّ إِلَىٰ غَيْرِهِ. **وَالْفُتُوَّةُ**: هِيَ اسْتِعْمَالُ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ مَعَ الْخَلْقِ(١).

(٢) الْمُنَافَسَةُ والْحَسَدُ والْغِبْطَةُ

❁ **الْمُنَافَسَةُ**: تَتَضَمَّنُ مُسَابَقَةً وَاجْتِهَادًا وَحِرْصًا. **وَالْحَسَدُ**: يَدُلُّ عَلَىٰ مَهَانَةِ الْحَاسِدِ وَعَجْزِهِ! **وَالْغِبْطَةُ**: تَتَضَمَّنُ نَوْعَ تَعَجُّبٍ وَفَرَحٍ لِلْمَغْبُوطِ، وَاسْتِحْسَانٍ لِحَالِهِ(٢).

(٣) الْإِلْهَامُ والتَّحْدِيثُ والْفِرَاسَةُ

❁ **الْإِلْهَامُ**: عَامٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ إِيمَانِهِمْ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ فَقَدْ أَلْهَمَهُ اللهُ رُشْدَهُ الَّذِي حَصَلَ لَهُ بِهِ الْإِيمَانُ. **وَالتَّحْدِيثُ**: إِلْهَامٌ خَاصٌّ، وَهُوَ الْوَحْيُ إِلَىٰ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ(٣).

❁ **الْفِرَاسَةُ**: قَدْ تَتَعَلَّقُ بِنَوْعِ كَسْبٍ وَتَحْصِيلٍ، وَأَمَّا **الْإِلْهَامُ**: فَمَوْهِبَةٌ مُجَرَّدَةٌ، لَا تُنَالُ بِكَسْبٍ الْبَتَّةَ(٤).

---

(١) انظر: (٢/ ٣٢٤).

(٢) انظر: (٣/ ٤٨).

(٣) انظر: (١/ ٦٨).

(٤) (١/ ٦٩).

(٤) الْجِدُّ وَالْعَزْمُ

* **الْعَزْمُ**: صِدْقُ الْإِرَادَةِ، وَاسْتِجْمَاعُهَا.

* **والْجِدُّ**: صِدْقُ الْعَمَلِ، وَبَذْلُ الْجُهْدِ فِيهِ(١).

(٥) الفَرَحُ والرِّضَا

* **الْفَرَحُ بِالشَّيْءِ**: فَوْقَ الرِّضَا بِهِ؛ فَإِنَّ **الرِّضَا**: طُمَأْنِينَةٌ وَسُكُونٌ وَانْشِرَاحٌ. **والْفَرَحُ**: لَذَّةٌ وَبَهْجَةٌ وَسُرُورٌ؛ فَكُلُّ فَرِحٍ رَاضٍ، وَلَيْسَ كُلُّ رَاضٍ فَرِحًا(٢).

(٦) الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ

* **الشُّكْرُ**: يَقَعُ بِالْجَوَارِحِ. **وَالْحَمْدُ**: يَقَعُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ(٣).

(٧) الْوَجَلُ وَالْخَوْفُ، وَالْخَشْيَةُ وَالرَّهْبَةُ، والهَيْبَةُ والإِجْلَالُ

* (الْوَجَلُ، وَالْخَوْفُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالرَّهْبَةُ): أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ غَيْرُ مُتَرَادِفَةٍ(٤).

* **الخَشْيَةُ**: خَوْفٌ بِمَعْرِفَةٍ. **والرَّهْبَةُ**: الْهَرَبُ مِن الْمَكْرُوهِ. **والْوَجَلُ**: رَجَفَانُ الْقَلْبِ مِمَّنْ يُخَافُه. **والْهَيْبَةُ**: خَوْفٌ بِتَعْظِيمِ. **وَالْإِجْلَالُ**: تَعْظِيمٌ بِحُبٍّ(٥). **والْإِشْفَاقُ**: خَوْفٌ بِرَحْمَةٍ(٦).

* **الْخَوْفُ**: لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ. **وَالْخَشْيَةُ**: لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ. **وَالْهَيْبَةُ**: لِلْمُحِبِّينَ.

---

(١) (١/ ٤٦٨).

(٢) (٣/ ١٥٠).

(٣) (٢/ ٢٣٧).

(٤) (١/ ٥٠٧).

(٥) انظر: (١/ ٥٠٧-٥٠٨).

(٦) انظر: (١/ ٥١٤).

وَالْإِجْلَالُ: لِلْمُقَرَّبِينَ[١].

* **صَاحِبُ الْخَوْفِ**: يَلْتَجِئُ إِلَىٰ الْهَرَبِ. **وَصَاحِبُ الْخَشْيَةِ**: يَلْتَجِئُ إِلَىٰ الْعِلْمِ[٢].

* مَثَلُ (**الخَائِفِ، وصَاحِبِ الخَشْيَةِ**): مَثَلُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالطِّبِّ، وَمَثَلُ الطَّبِيبِ الْحَاذِقِ؛ فَالْخائف: يَلْتَجِئُ إِلَىٰ الْحِمْيَةِ وَالْهَرَبِ. وَالطَّبِيبُ: يَلْتَجِئُ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَدْوَاءِ[٣].

(٨) الصَّبْرُ الْجَمِيلُ، والصَّفْحُ الْجَمِيلُ، والْهَجْرُ الْجَمِيلُ

* سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَام ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: (**الصَّبْرُ الْجَمِيلُ: هُوَ الَّذِي لَا شَكْوَىٰ فِيهِ وَلَا مَعَهُ. وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ: هُوَ الَّذِي لَا عِتَابَ مَعَهُ. وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ: هُوَ الَّذِي لَا أَذَىٰ مَعَهُ**)[٤].

(٩) الرَّغْبَةُ وَالرَّجَاءُ

* **الرَّجَاءَ**: طَمَعٌ. **وَالرَّغْبَةَ**: طَلَبٌ. فَالرَّغْبَةُ: ثَمَرَةُ الرَّجَاءِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا رَجَا الشَّيْءَ طَلَبَهُ.

* **الرَّغْبَةُ مع الرَّجَاءِ**: كَالْهَرَبِ مع الْخَوْفِ؛ فَمَنْ رَجَا شَيْئًا: طَلَبَهُ وَرَغِبَ فِيهِ، وَمَنْ خَافَ شَيْئًا: هَرَبَ مِنْهُ[٥].

(١٠) الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ

* **الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ**: كُلٌّ مِنْهُمَا مُلْتَئِمٌ مِن الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ.

* **الرَّجَاءُ عَلَىٰ الرَّغْبَةِ**: أَغْلَبُ. **وَالْخَوْفُ عَلَىٰ الرَّهْبَةِ**: أَغْلَبُ[٦].

---

(١) (١/ ٥٠٨).

(٢) انظر: (١/ ٥٠٩).

(٣) انظر: (١/ ٥٠٩).

(٤) (٢/ ١٦٠).

(٥) انظر: (٢/ ٥٥).

(٦) (١/ ١٥٨).

(١١) الأُمْنِيَّةُ والأَمَلُ

❁ **الْأُمْنِيَّةُ**: هِيَ مَا يَتَمَنَّاهُ الْعَبْدُ مِن الْحُظُوظِ. **والْأَمَلُ**: يَتَعَلَّقُ بِمَا يُرْجَىٰ وُجُودُهُ. **وَالْأُمْنِيَّةُ**: قَدْ تَتَعَلَّقُ بِمَا لَا يُرْجَىٰ حُصُولُهُ، كَمَا يَتَمَنَّىٰ الْعَاجِزُ الْمَرَاتِبَ الْعَالِيَةَ![١]

(١٢) الهَمُّ والحُزْنُ

❁ الْمَكْرُوهُ الَّذِي يَرِدُ عَلَىٰ الْقَلْبِ (إِنْ كَانَ لِمَا يُسْتَقْبَلُ): أَوْرَثَهُ **الْهَمَّ**. (وَإِنْ كَانَ لِمَا مَضَىٰ): أَوْرَثَهُ **الْحُزْنَ**؛ وَكِلَاهُمَا مُضْعِفٌ لِلْقَلْبِ عَنِ السَّيْرِ![٢]

(١٣) الفَرَحُ والاِسْتِبْشَارُ

❁ **الْفَرَحُ**: يَكُونُ بَعْدَ حُصُولِ الْمَحْبُوب. **وَالِاسْتِبْشَارُ**: يكون قَبْلَ حُصُولِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران:١٧٠][٣].

(١٤) الزُّهْدُ والوَرَعُ

❁ سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: (**الزُّهْدُ: تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. وَالْوَرَعُ: تَرْكُ مَا تَخَافُ ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ**). وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ، وَأَجْمَعِهَا![٤]

(١٥) الرَّجَاءُ والتَّمَنِّي

❁ **التَّمَنِّي**: يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ.

---

(١) انظر: (٣/ ٩٣).

(٢) (١/ ٥٠١).

(٣) انظر: (٣/ ١٥٠).

(٤) (٢/ ١٢).

* والرَّجَاءُ: يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ[١].

* الرَّجَاءُ: يَكُونُ مَعَ العَمَلِ والتَّوَكُّلِ.

* والتَّمَنِّي: يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ والتَّوَاكُلِ![٢].

(١٦) الرِّضَا وَالْمَحَبَّةُ، والخَوْفُ والرَّجَاءُ

* **الرِّضَا وَالْمَحَبَّةُ**: حَالَانِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَا يُفَارِقَانِ الْمُتَلَبِّسَ بِهِمَا فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْبَرْزَخِ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ؛ بِخِلَافِ **الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ**[٣].

(١٧) التَّوَكُّلُ والتَّفْوِيضُ

* **التَّوَكُّلُ**: أَوْسَعُ مِنَ **التَّفْوِيضِ**، وَأَعْلَىٰ وَأَرْفَعُ[٤].

(١٨) الصِّدْقُ والإِخْلَاصُ

* **الصِّدْقُ**: بَذْلُ الْجُهْدِ. وَ**الإِخْلَاصُ**: إِفْرَادُ الْمَطْلُوبِ[٥].

(١٩) المَعْرِفَةُ والعِلْمُ

* **الْمَعْرِفَةُ**: فَوْقَ الْعِلْمِ، وَأَخَصُّ مِنْهُ[٦].

---

(١) انظر: (٢/ ٣٧).

(٢) انظر: (٢/ ٣٧).

(٣) (٢/ ١٧٣).

(٤) (٢/ ١٣٩).

(٥) (١/ ١٣٠).

(٦) انظر: (٣/ ٣٤٧).

فِهرِسُ المَوْضُوْعَات

مُقَدِّمَةٌ ٥
مَنْهَجُ الكِتَاب ٧
المبحث التمهيدي: **قَوَاعِدُ إِصْلاحِ القَلْب** ٩
المبحث الأول: **أَهَمِّيَةُ أَعْمَالِ القُلُوْب** ١٣
المبحث الثاني: **التَّوْحِيْدُ** ١٦
المبحث الثالث: **الإِخْلاصُ** ٢٣
المبحث الرابع: **اليَقَظَةُ** ٢٨
المبحث الخامس: **العَزْمُ** ٣١
المبحث السادس: **المُحَاسَبَةُ** ٣٣
المبحث السابع: **التَّوْبَةُ** ٣٥
المبحث الثامن: **الإِنَابَةُ** ٤٢
المبحث التاسع: **الهِدَايَةُ** ٤٤
المبحث العاشر: **الاِعْتِصَامُ** ٤٧
المبحث الحادي عشر: **التَّوَكُّلُ** ٥٠
المبحث الثاني عشر: **الاِسْتِعَانَةُ** ٥٨
المبحث الثالث عشر: **الاِسْتِقَامَةُ** ٥٩
المبحث الرابع عشر: **التَّقْوَىٰ** ٦٢
المبحث الخامس عشر: **العُبُوْدِيَّةُ** ٦٣
المبحث السادس عشر: **الإِسْلامُ** ٧٢

المبحث السابع عشر: **الإِيْمَانُ**........................ ٧٤
المبحث الثامن عشر: **الإِحْسَانُ**........................ ٧٨
المبحث التاسع عشر: **الصِّدْقُ**........................ ٨٠
المبحث العشرون: **الخَوْفُ**........................ ٨٩
المبحث الحادي والعشرون: **المُرَاقَبَةُ**........................ ٩٤
المبحث الثاني والعشرون: **الخُشُوْعُ**........................ ٩٦
المبحث الثالث والعشرون: **الإِخْبَاتُ**........................ ٩٩
المبحث الرابعُ والعشرون: **الرَّجَاءُ**........................ ١٠٠
المبحث الخامس والعشرون: **حُسْنُ الظَّن**........................ ١٠٤
المبحث السادِس والعشرون : **المَحَبَّةُ**........................ ١٠٦
المبحث السَّابع والعشرون: **الشَّوْقُ**........................ ١١٧
المبحث الثامن والعشرون: **التَّسْلِيْمُ**........................ ١١٩
المبحث التاسع والعشرون: **الصَّبْرُ**........................ ١٢٣
المبحث الثلاثون: **الرِّضَا**........................ ١٣١
المبحث الحادي والثلاثون: **الشُّكْرُ**........................ ١٤٣
المبحث الثاني والثلاثون: **الاِمْتِنَانُ**........................ ١٤٨
المبحث الثالث والثلاثون: **اليَقِيْنُ**........................ ١٤٩
المبحث الرابع والثلاثون: **الذِّكْرُ**........................ ١٥٤
المبحث الخامس والثلاثون: **تَدَبُّرُ الْقُرْآن**........................ ١٥٩
المبحث السادس والثلاثون: **سَمَاعُ القَلْب**........................ ١٦٣
المبحث السَّابع والثلاثون: **التَّفَكُّرُ**........................ ١٦٩

المبحث الثامن والثلاثون: **الذُّلُّ لله** ١٧٤

المبحث التاسع والثلاثون: **الانْكِسَارُ** ١٧٧

المبحث الأربعون: **الافْتِقَارُ** ١٨١

المبحث الحادي والأربعون: **المَعْرِفَةُ بِالله** ١٨٧

المبحث الثاني والأربعون: **تَعْظِيْمُ الله** ١٩٤

المبحث الثالث والأربعون: **التَّعَلُّقُ بِالله** ٢٠٠

المبحث الرابع والأربعون: **الطُّمَأْنِيْنَةُ** ٢٠٦

المبحث الخامس والأربعون: **السَّكِيْنَةُ** ٢٠٨

المبحث السادس والأربعون: **الأُنْسُ بِالله** ٢١٢

المبحث السابع والأربعون: **القُرْبُ مِن الله** ٢١٦

المبحث الثامن والأربعون: **الفَرَحُ والسُّرُوْرُ** ٢٢٠

المبحث التاسع والأربعون: **الحُزْنُ** ٢٢٥

المبحث الخمسون: **سَلامَةُ القَلْب** ٢٢٧

المبحث الحادي والخمسون: **الحَيَاةُ** ٢٣١

المبحث الثاني والخمسون: **قُوَّةُ القَلْب** ٢٣٥

المبحث الثالث والخمسون: **الزُّهْدُ** ٢٣٧

المبحث الرابع والخمسون: **الوَرَعُ** ٢٤٦

المبحث الخامس والخمسون: **قِصَرُ الأَمَل** ٢٤٨

المبحث السادس والخمسون: **الهِمَّةُ العَالِيَة** ٢٥٠

المَبْحَثُ السابع والخمسون: **مُجَاهَدَةُ النَّفْس** ٢٦٣

المبحث الثامن والخمسون: **العِلْمُ** ٢٦٧

المبحث التاسع والخمسون: **الحِكْمَةُ** ٢٨١
المبحث الستون: **الفَهْمُ** ٢٨٣
المبحث الحادي والستون: **البَصِيْرَةُ** ٢٨٥
المبحث الثاني والستون: **العَقْلُ** ٢٩٢
المبحث الثالث والستون: **الفِرَاسَةُ** ٢٩٥
المبحث الرابع والستون: **الأَخْلاقُ** ٢٩٩
المبحث الخامس والستون: **الحَيَاءُ** ٣٠٣
المبحث السادس والستون: **التَّوَاضُعُ** ٣٠٧
المبحث السابع والستون: **العِزَّةُ** ٣١٤
المبحث الثامن والستون: **الأَدَبُ** ٣١٦
المبحث التاسع والستون: **الإِيْثَارُ** ٣٢٥
المبحث السبعون: **الغَيْرَةُ** ٣٢٨
المبحث الحادي والسبعون: **المُرُوْءَةُ** ٣٣١
المبحث الثاني والسبعون: **الفُتُوَّةُ** ٣٣٢
المبحث الثالث والسبعون: **الهِجْرَةُ** ٣٣٤
المبحث الرابع والسبعون: **الفِرَارُ** ٣٣٦
المبحث الخامس والسبعون: **الأَعْمَالُ القَلْبِيَّةُ المُرَكَّبَةُ** ٣٣٧
المبحث السادس والسبعون: **فُرُوْقٌ قَلْبِيَّة** ٣٤٠
الفهرس ٣٤٥